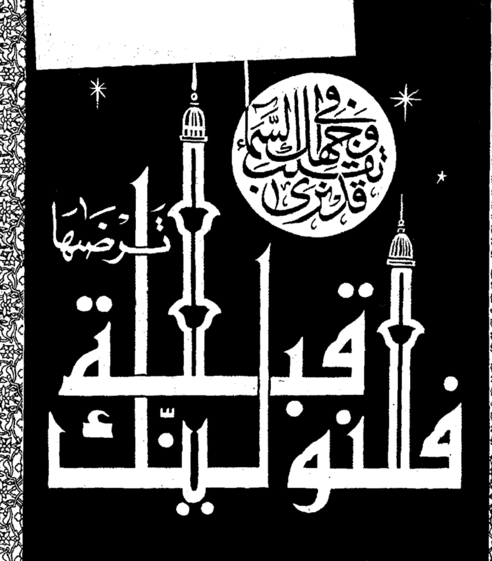
الوعي الإسلامي

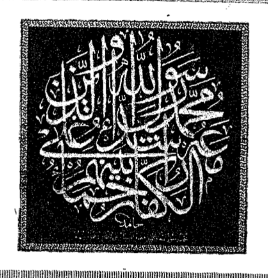
اسلامية ثقافية شهرية

العدد (١٠٤) غرة شعبان ١٣٩٣ هـ — ٢٩ أغسطس (آب) ١٩٧٣ م ٠





فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ
وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ



الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

العـدد (١٠٤)

غرة شعبان ١٣٩٣ هـ

٢٩ أغسطس (آب) ١٩٧٣ م

هدفها : المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيداً عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

الاشتراك السنوي للهيآت فقط

أما الأفراد فيشتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل في قطره

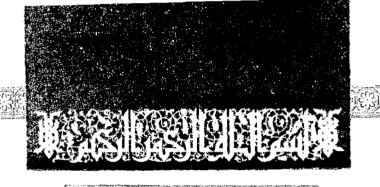
الثمـن :

الكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريال
العراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجزائر	دينار وربع
المغرب	درهم وربع
الخليج العربي	٧٥ فلسا
اليمن وعدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنوان المراسلات :

مجلة الوعي الاسلامي ــ وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية

صندوق بريد : ١٣ ــ كويت ــ هاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨



حديث الشهر

خواطر

الصمود الفـكرى

ترتفع فى هذه الأيام صيحات الغيورين على الاسـلام مطالبة المسـلمين بضرورة الصمود الفكرى فى مواجهة التيارات الفكرية والغزوات الالحادية التى يتعرض لها دينهم وكتابهم ونبيهم وتاريخهم ، لأن هذا الصمود هو الدرع الواقى الذى تتحطم على صخرته الصلبة الآراء المشبوهة والأفكار الضـالة ، ويحفظ للأجيال المسلمة عقيدتها ويحمى رسالتها ، ويقيها شر التردى فى هاوية البعـد عن الله ، ويجنبها عقبى الضياع والانسلاخ من الايمان الحق بالله ورسله وكتبه واليوم الآخـر .

وترتفع هذه الصيحات المؤمنة فى وقت بدأ فيه الغزو الفكرى المشبوه يتفاعل فى قلوب وعقول نفر من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا وينتسبون الى ديننـا بيد انهم مفتونون فى تفكيرهم وآرائهم . فى دينهم وايمانهم ، فى قلوبهم وعقولهم والسنتهم .. فالاسلام عندهم ليس الا نهضة عربية كانت وزالت ، وقائد هذه النهضـة محمد صلى الله عليه وسلم ليس الا عبقريا فلا نبوة ولا انبياء ، والذى جاء به ليس وحيا أوحى اليه ، فلا وحى ولا ايحـاء ، وشريعته التى وضح معـالمها وأبان مناهجها فات أوانها وانتهت صلاحيتها ، والألوهية لا مكان لها فى عصر التقدم العلمى الطبيعى والاباحية والفوضى الخلقية حرية شخصية ، والتهجم على الأديان والسخرية منها حـرية فكرية ، والدعوة الى تحكيم شريعـة الله تخلف ورجعية .. الى آخر هذه الحماقات والجهالات التى وسوس بها اليهم شياطينهم من الأنس من عبدة المادة .

ومن هنا نستطيع ان نعلن فى صراحة أن الغزو الفكرى اشد خطرا من الغزو العسكرى والاستيلاء على العقول أبعد مدى من احتلال الأرض والسيطرة على القواعد والثغور والخسارة فى القلب والفكر افدح من الخسارة فى المـال والجسم ، وما يخربه الأعداء من الدور والجسور يسهل تجديده واعادته أروع وأضخم مما كان ، وما يخربونه من القلوب ويفسدونه من العقول يعسر تطهيره وتعميره ، ويصعب اصلاحه وتقويمه والأمة التى تترك آفاق فكرها وعقلها دون رقابة ولا حراسة تتعرض لأشد الغزوات فتكا ويتخطفها اعداؤها من كل جانب .

ومن هنا تظهر حتمية الصـــمود الفكرى لمواجهة الغــزو الفكرى المشبوه والصمود هو الثبات على الحق عن اقتناع ، والاستمســاك به عن وعى وادراك « فاستمسك بالذى أوحى اليك أنك على صراط مستقيم وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون » .

تجفيف منابع الاثم :

الآثام والشهوات المحرمة ، وهى مفسدة للدين والخلق ، مضيعة للمال ، هادمة للجســد . مقبرة للطهر والفضيلة ، والغــارقون فى الآثام لا ينهضــون بواجب ، ولا يؤتمنون على عمل ، ضمائرهم ميتة ، وارادتهم منحلة ، وعزائمهم رخوة ، وآمالهم فى بطونهم وفروجهم ، ومن هذه مواصفات حياتهم يفسدون ولا يصلحون ، ويهدمون ولا يبنون ويعيشون عبيدا ، ويموتون عبيدا ، وبطن الأرض خير لهم من ظهرها .

ومنابع الاثم موارد الهلكة ومواطن الفجور ومنابت السوء وسوق الفساد ومجتمع الشياطين .. فأندية القمار ، ومشارب الخمر ، وبيوت الخنا منابع الاثم .. والاختلاط والتبرج والتكشف والصور العارية ، واستغلالها فى الدعاية والاعلان ، ووسائل الاثارة والاغراء والمراقص والملاهى . كل هذه منافذ مفتوحة موصلة الى منابع الإثم وموارد الهلكة والأمة التى تشيع فيها الآثام ، وتقوم على ارضها موارد الهلكة تفتن الغاوين والغاويات أمة منحلة منهارة لا يجتمع لها شمل ولا تقوم لها قائمة ، فريسة سهلة ولقمة سائغة للطامعين والعادين .

والدعوات المخلصة التى تتردد فى انحاء الوطن الاسلامى لاقامة مجتمع مسلم يحمى عقيدته ويحمل رسالته ويتبوأ مكانته يجب أن يبــدأ بتجفيف منابع الاثم وسد موارد الهلكة وازالة مواطن الفجــور ، وبذلك نحمى شــبابنا من الانحلال ، ونعد لجلائل الأعمال ونأخذ بأسباب العزة والنصر .

مراكز الدعــوة والتوجيــه :

تطورت مراكز الدعوة والتوجيه فى هذا العصر تطورا كبيرا ، كما تطورت وسائلها وأساليبها ، فلم تعد محصــورة فى المسجد والمنبر ، ولا فى الدرس والخطبة .. فالاذاعة والتلفزيون والصحف والمجلات والأفلام والتمثيليات من اكبر مراكز التوجيه واشدها تأثيرا وابعدها مدى ولكى تحقق هذه المراكز رسالتها الكبرى يجب أن يكون القائمون عليها من أصحاب الدين المتين والخلق الفاضل والعمل الصالح والقدوة الحسنة ، ويجب أن تكون برامجها متناسقة متكاملة يساند بعضها بعضا .. تدعو الى الفضيلة ، وتنفر من الرذيلة ، وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر كما يعبر القرآن الكريم .

ولكى يتم إقامته على اساس اسلامى سليم يجب تنحية الغرباء عن أفكارهم الذين تسللوا الى هذه المراكز لأنهم حولوها الى مراكز افســاد والحاد ، ومتى يستقيم الظل والعود أعوج .

رضوان البيلى



للدكتور : على عبد المنعم عبد الحميد

ورد فى صحيح البخارى :
عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : دخلنا مع رسول الله صلى الله علية وسلم على أبى سيف القين وكان ظئرا لابراهيم ، فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ابراهيم فقبله وشمه ، ثم دخلنا عليه بعد ذلك وابراهيم يجود بنفسه ، فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان . فقال له عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه : وأنت يا رسول الله ؟ فقال : « يا ابن عوف : انها رحمة » ، ثم اتبعها باخرى ، فقال : « ان العين تدمع ، والقلب يحزن ، ولا نقول الا ما يرضى ربنا ، وانا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » ــ رواه موسى عن سليمان عن ثابت عن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم .

اولا ــ فذلكة فى مفردات الحديث :

ابو سيف : هو البراء بن اوس ، وام أوس زوجته : هى أم بردة واسمها خولة بنت المنذر ، روى ابن سعد فى كتاب (الطبقات) عن يعقوب بن أبى صعصعة : لما ولد ابراهيم تنافست فيه نساء الأنصار أيتهن ترضعه فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أم بردة بنت المنذر بن زيد بن لبيد من بنى عدى بن النجار ، وزوجها البراء بن اوس بن خالد بن الجعد من بنى عدى بن النجار أيضا ، فكانت ترضعه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتيه فى بنى النجار .

والقين : هو الحداد ، وقيل يطلق على كل صانع ، والجمع اقيان وقيون ، قال ابن السكيت : قلت لعمارة : ان بعض الرواة زعم أن كل عامل قين ، فقال : كذب ، انما القين من يعمل بالحديد ويعمل بالكير ، ولا يقال للصائغ قين ولا للنجار قين ، وأما القينة (بالتاء) فهى المغنية وهى كلمة هذلية ، وقد وردت لاستعمالات كثيرة تختص بالجوارى وغير ذلك .

الظئر : بكسر المعجمة ، وسكون المهموز : المرضـــع وأطلق على البراء ذلك لأنه كان زوجا للمرضعة ، واصل الاســـتعمال اللغوى : ان الظئر هى العاطفة على ولد غيرها المرضعة له من الناس والابل ، والجمع اظؤر ، وأظآر وظؤور ، وهو عند سيبويه اســم للجمع ، لأن فعـلا ليس مما يكسر على فعلة عنده .

وابراهيم : هو ابن رسول الله صلى الله عليه وســلم من مارية القبطية المصرية التى أهداها اليه المقوقس عظيم القبط حينذاك بمصر ، وقد ورد فى صحيح الامام مسلم ما نصه : « .. ولد الليلة غلام فسميته باسم أبى ابراهيـم .. ثم دفعه الى أم سيف امراة قين بالمدينة يقال له : ابو سيف فانطلق رسـول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته ، فانتهى الى أبى سيف وهو ينفخ كيره ، وقد امتـلأ البيت دخانا ، فأسرعت المشى بين يدى رســـول الله صلى الله عليه وســلم ، فقلت : ياأباســيف ، امسك ، جاء رســول الله صلى الله عليه وسلم .. الخ » . وفى رواية أخرى للامام مسلم ايضا : « .. ما رايت أحـدا كان أرحم بالعيـال من رسول الله صلى الله عليه وســـلم .. كان ابراهيم مسترضعا فى عوالى المدينة ، وكان ينطلق ونحن معـه فيدخل البيت ، وانه ليدخن ، وكان ظئره قينا .. » .

يجود بنفسه : تقول العرب : هو يجود بنفسه ، معناه يســوق بنفسه ، من قولهم : ان فلانا ليجار الى فلان ، اى يساق اليه ، وفى الحديث : فاذا ابنه ابراهيم عليه السلام يجود بنفسه ، اى يخرجها ، ويدفعها كما يدفع الانســان ما له يجود به ، والجـود : الكرم ، يريـد انه كان فى النزع وســياق الموت ، ويقال : جيد فلان ، اذا أشرف على الهلاك ، كأن الهلاك جاده ، ويقال : إنى لأجاد الى لقائك اى أشتاق .

تذرفان : اى يجرى دمعهما ، ومذارف العين مدامعها ، والمذارف المدامع ، واستذرف الشىء استقطره ، واستذرف الضرع دعا الى ان يحلب ويستقطر .

وأنت يا رسول الله .. ؟ : فى هذا الاستفهام معنى التعجب ، ولما كانت الواو تستدعى معطوفا عليه كان المراد : الناس لا يصبرون على المصيبة وأنت تفعل فعلهم .. ؟ فتعجب عبد الرحمن بن عوف مما رأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عهده منه أنه يحث على الصبر وينهى عن الجزع ، ولهذا كان جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انها رحمة » أى أن ما شاهدته منى ، منشؤه رقة القلب على الولد لا ما توهمت من الجزع ، وفى رواية أخرى للحديث عن عبد الرحمن بن عوف نفسه : « فقلت : يا رسول الله تبكي ! أولم تنه عن البكاء .. ؟ وزاد فيه : انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة لهو ولعب ومزامير الشيطان ، وصوت عند مصـــيبة وخمش وجه وشق جيوب ورنة شيطان ، وانما هذا رحمة ومن لا يرحم لا يرحم » .

أى بكلمة مفصلــة هى قوله صــلى الله عليه وســلم : « ان العين تدمع .. الخ . وقد جزم الواقدى بأن ابراهيم مات يوم الثـلاثاء لعشر ليال خلون من شهر ربيع الاول سنة عشر ، وقال ابن حزم : انه مات قبل وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بثلاثة أشهر واتفقوا على انه ولد فى ذى الحجة ســنة ثمان من الهجرة الكبرى ..

ثانيا : ان ما راى عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه من سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يندرج تحت الجزع بحال أبدا ، فأحواله صلى الله عليه وسلم تبدى نقيض ذلك ــ ومن يصبر اذا جزع رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ؟! وانما هى (الرحمة) كما مر آنفا ، ويشهد لهذا انه صلى الله عليه وسلم قد لبث ثلاثة وعشرين عاما يواصل الدعوة الى الله تعالى ليل نهار صباح مساء لا ينى ولا يكل صابرا على ما يلاقى من اعدائه أعداء دعوته ومعانديه وخصومها الألداء ، صامدا لا يتراجع ولا يتقاعس ، ولا يهاب فى سبيلها الأهوال ، ولا تزعجه المعوقات مهما كانت عاتية مبيدة ، محتسبا عناءه وبلاءه عند الله تبارك وتعالى ، وقد أدركته فى رحلة الدعوة محن لا حصر لها ، واحن تفوق الوصف ، وهو يعلم موقنا أن من جاء بما يخالف ما عليه الناس عودى وحورب وأخرج من دياره وأهله ، ولهذا وردت آيات كثيرة بالكتاب العزيز حاثة على الصبر ، واصفة الجزاء الأوفى الذى ينتظر الصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس ، وقد وعى عنه صلى الله عليه وسلم ذلك صحابته رضوان الله عليهم ، وأخذوا أنفسهم وأهليهم بتعاليمه حذوك القذة بالقذة(١) يترسمون خطاه ، يعملون ما يعمل ، ويتركون ما ترك ، فمما رواه البخارى انه قال : حدثنى أبو بردة بن أبى موسى رضى الله عنه قال : « وجع أبو موسى وجعا شديدا فغشى عليه ورأسه فى حجر امرأة من أهله فلم يستطع أن يرد عليها شيئا(٢) فلما أفاق قال : أنا برىء ممن برىء منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم برىء من الصالقة والحالقة والشاقة »(٣) .

وقد غصت كتب السنة بالاحاديث الشريفة الداعية الى الصبر ، واحتمال المكاره برحابة صدر ، وتفويض الامور الى الله ، وحده ، والرضا بقضائه وقدره بالصورة الجادة التى سار الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وصحابته رضوان الله عليهم ، لا بالصورة الخانعة الذليلة التى يأباها الاسلام كل الإباء ، والتى أضفت على المجتمع الاسلامى صورة قذرة قاتمة أخرت المسلمين وربطتهم فى حظائر السوائم تحت عنوان الجمود والرضوخ للأمر الواقع المزرى ، ويشهد الله أن الايمان بالقضاء والقدر كما يريد الله ورسوله يدفع الجماد الى الحركة ويقود الاعمى الى أقوم طريق ، وما رضى رسول الله لأحد من أمته أن يستكين لحزن أو لمصيبة أو يخضع لقارعة زمن وبلاء أم دفر .

قالت عائشة رضى الله عنها : « لما جاء النبى صلى الله عليه وسلم قتل ابن حارثة وجعفر وابن رواحة جلس يعرف فيه الحزن وأنا أنظر من صائر الباب ــ شق الباب ــ فأتاه رجل فقال : ان نساء جعفر ! وذكر بكاءهن ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينهاهن فذهب ، ثم أتاه الثانية فقال : ان نساء جعفر لم يطعنه ــ اى لم يطعن الرجل ــ فقال : انههن ، فأتاه الثالثة ، وقال : والله غلبننا يا رسول الله ، فزعمت انه قال : فاحث فى افواههن التراب ، فقلت ــ اى عائشة ــ أرغم الله انفك لم تفعل ما امرك به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تترك رسول الله من العناء »(٤) ، قال النووى : « معناه انك قاصر لم تقم بما أمرت به من الانكار ، ولم تخبر رسول الله صلى الله عليه

وسلم بعجزك عن التنفيذ لأوامره حتى يرسل غيرك فيستريح من عناء مراجعتك له وتكرار الأمر » .

والمستحق لاسم الصبر هو الذى لا يظهر عليه حزن فى جارحة ولا لسان ، قال الطبرى : روى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه نعى اليه اخوه عتبة فقال : لقد كان من اعز النـــاس على ، وما يسرنى انه بين اظهركم اليوم حيا : قالوا : وكيف ، وهو من اعز الناس عليك ؟! قال : انى لأن أؤجر فيه أحب الى من أن يؤجر هو فى ، وروى أن الصلت بن اشيم مات أخوه فجاءه رجل وهو يطعم فقال : ان أخاك قد مات ، قال : هلم فكل فقد نعى الينـــا من قبل ، قال الرجل : والله ما سبقنى اليك احد ، فمن نعاه اليــك ؟! قال : يقول الله تبارك وتعالى : « انك ميت وانهم ميتون » . وقال العلماء : ان منتهى الصبر ان يكون المرء يوم تصيبه المصيبة مثله قبل أن تصيبه ، واما جزع القــلب وحزن النفس ودمع العين فان ذلك لا يخرج العبد من معانى الصـــابرين اذا لم يتجاوز الى ما لا يجوز فعله او قوله ، قال عمر رضى الله عنـــه نعم العدلان (بكسر العين المهملة) ونعم العلاوة : « الذين اذا أصابتهم مصـــيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون ، أولئك عليهم صـــلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتـــدون » والعدلان : المثلان : الصلوات والرحمة ، والعلاوة أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المهتدون ، وهو ثناء عظيم من الله تعالى على الصابرين .

ثالثا : ومن الناس من يستولى عليهم الجزع(٥) فيسلبهم الارادة والتعقل ، ويدعهم حيرى فاقدى الصواب وربما زاد الجزع عن حده فأبعد صاحبه عن مسالك العقلاء المؤمنين ، فشق جيبه ولطم خده ودعا بدعوى الجاهلية ، وتلك امــور مستقبحة ينهى عنها الشارع الحكيم ، ووصف الادوية الناجعة التى تبعد صاحبها عن مدراج الجازعين ، وتنأى به عن مهاويهم ، وتصعد به فى روحية كريمة الى السمو بنفسه الى مصاف المتعالين على الاحداث المترفعين عن الاسفاف والتدنى بانسانيتهم ، الذين يزنون صروف الدهر بميزان الحقيقة الواقعة ، وهى ان خضوع تصـــاريف الأقدار لارادة الانسان محال :

ومكلف الأيام ضـد طبـــاعها
متطلب فى المـــاء جذوة نار

ولا ينجو انسان مهما علت مكانته أو نزلت مما يعكر عليه صفو الحياة فى اى شكل من الاشكال ، فلا عاصم من امر الله الا من رحم ، فمن فحص وفتش العالم من أقصاه الى أقصاه فى ماضـــيه وحاضره لا يجد الا مختبرا اما بفوات مطلوب ، او حصول ما هو مرغوب فيه ، فسرور الدنيا أوهام حالم وخيـــال شاعر ، وسعادتها هباء ووباء ، ومن سره زمن اساءته ازمان ، ولقد قالت هند بنت النعمان : لقد رايتنا ونحن من أعز الناس واشدهم ملكا ثم لم تغب الشمس حتى رايتنا ونحن اقل الناس،وسألها بعضهم الحديث عما كان من امرها فأجابت :

اصبحنا ذات صباح وما فى العرب أحد الا وهو يرجونا ، ثم امسينا وما فى العرب احد الا وهو يرحمنا وتمثلت :

فبينا نسوس النـاس والأمر أمرنا اذا نحن فيهم سـوقة نتنصف
فأف لدنيـا لا يدوم نعيمهـا تقـلب تارات بنا وتصـرف

على أن الجزع لا يدفع المصائب وانما يزكيها ويضاعفها فهو يشـمت العدو ، وما أقسى شماتة الأعداء ، لقد استعاذ منها رسل الله عليهم صلاته وسلامه ، وحكى القرآن الكريم على لسان موسى عليه السلام فى الآية المـائة والخمسين من سورة الأعراف « .. فلا تشمت بى الأعداء ولا تجعلنى مع القوم الظالمين » .. وقال الشاعر :

كل المصـائب قد تمر على الفتى وتهـون غير شـماتة الأعداء

والجزع يغضب الله ورسوله ، ويحبط الأجر ، ويضعف النفس ، وقد يلاشى صاحبه من الوجود الانسانى الكريم ، ونعود فنشير الى أن الانسان خلق ضعيفا ، وانه حساس لا بد أن تخزه المصيبة وخزا ولو ضئيلا ، وسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب المثل ليقتدى به فى تلقى المصـائب والصمود لها ، فهو يتألم لما راى ما نزل بفلذة كبده ، يتألم كانسـان ، وقد ورد أنه قال : « انما أنا بشر » ، وهنا يتجه اليه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، يتجه الى الاسوة والقدوة ويقول : وانت يا رسـول الله ؟! ما هذا الذى نرى من دموعك الطاهرة تتحدر على وجنتيك الشريفتين ، ويجيب سيد الخلق عليه أفضل الصلاة وازكى السلام : ليس هذا جزعا يا ابن عوف وانما هى الرحمة ، وقد حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم لموت ابراهيم ، والحزن نقيض السرور ، اى انقبض قلبه وتألم وتحسر لفراقه ، ولكن مع الايمان الراسخ بقضـاء الله وقدره ، واحتساب ذلك الصبى الطاهر عند الله وما عند الله خير للأبرار ، والحزن قد يدفع الى العمل المثمر ، فالحزين العاقل المؤمن يرى أن الحياة جد لا لهو فيها لمدرك غورها وسابر كنهها ، فيها يفنى الجديدان كل شىء ويأتيان على كل طارف وتليد ، ولا يبقى من الانسان الا ذكراه ، والذكر للانسان عمر ثان ، فيحمله ذلك على فعل المكرمات وتقوية الفضائل ، ودفع الضر عن النـاس ما استطاع الى ذلك سبيلا ، ويحاول أن يكون رسول سعادة وسلام للبشرية جمعاء ، والصبر على البلاء من عزم الأمور ، وفى وصايا لقمان لابنه « واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الأمور » ورب ضارة نافعة :

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القـوم بالنعم

والمحن ادوية لغرور العباد ، وتهذيب لصلفهم ، وهدم لكبريائهم ، واشعار لهم بأن للسكون مدبرا بيده الأمر والنهى ، فلو ثاب هؤلاء المـارقون الى ربهم وتضرعوا اليه ليكشف ما مسهم من ضر لاستجاب لهم ، كما مر ذلك بأصفيائه وأوليائه بل برسله الكرام الذين انقطعوا لجلال عزه ومجده وفوضوا كل أمورهم لله رب العالمين فاصطفاهم واجتباهم وهداهم صراطه المستقيم ، ولنتأمل كيف اسـتجاب الله لذى النون يوم دعاه بعد أن ذهب مغاضـبا قال تعالى :

« وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى فى الظلمـــات أن لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين فاســتجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين » ولولا انه لجأ الى مولاه لكان من أمره أن لبث فى بطن الحوت ، دهرا طويلا « فلولا انه كان من المســبحين للبث فى بطنــه الى يوم يبعثون » .

وخلاصة القول : أن الحديث الشريف يرسم خطة الصبر مع اظهـــار الشعور الانسانى بالحزن الذى لا يخدش الدين ولا يغضب رب العالمين ، وأن العائذ بحمى الله اللاجىء اليه مقبول منصور معافى مما يبعده عن ساحة رب العالمين ، فاللهم نجنا بلطفك من بلاء الدنيا ، واجمعنا فى الآخرة فى رحمتك يا أرحم الراحمين .

---

(١) القذة : ريش السهم (وحذو القذة بالقذة) قال ابن الاثير مثل يضـرب للشيئين يستويان ولا يتفاوتان وقد ورد هذا فى كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ، ومنه « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة » .

(٢) وفى رواية الامام مسلم : « اغمى على أبى موسى وأقبلت امرأته ام عبد الله تصــيح برنة » ..

(٣) الصالقة : هى التى ترفع صوتها عند المصيبة ، والصلق : الصياح والولولة والصوت الشديد ..

والحالقة : هى التى تحلق شعرها لدى النوازل والدواهى .

والشاقة : هى التى تشق ثيابها اذا نزلت بها كارثة كموت عزيز او فراق حبيب .

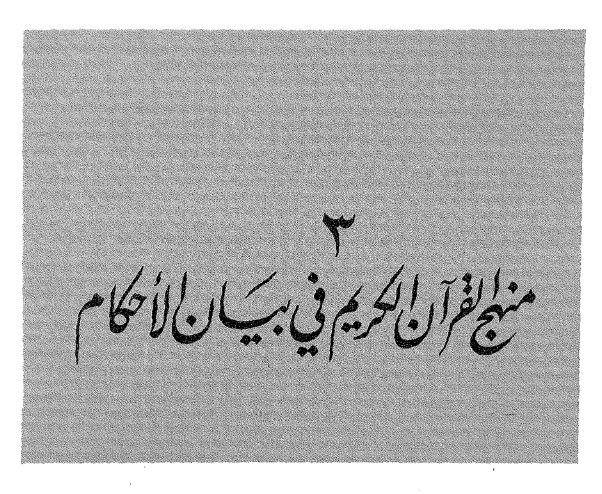
(٤) وقصة النفر الثلاثة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد ارسلهم فى ثلاثة آلاف مقاتل الى أرض البلقاء بالشام فى جمادى الاولى سنة ثمان للهجرة واستعمل عليهم زيدا وقال : ان أصيب زيد فجعفر ، فان أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس فخرجوا وخرج رســول الله صلى الله عليه وسلم يشيعهم ، ثم مضوا حتى نزلوا (معان) من أرض البلقاء ، واشتبكوا مع هرقل ، وانحاز المسلمون الى قرية (مؤتة) ثم احتدم القتال ، فقتلوا الواحد تلو الاخر ، ثم اخذ الراية خالد بن الوليد رضى الله عنهم جميعا وقاتل حتى انتصر ، قال خالد رضى الله عنه : « لقد انقطعت فى يدى يوم مؤتة تسعة أســياف فما بقى فى يدى الا صفيحة يمانية .. » . والثــلاثة الشهداء هم :

أ) زيد بن حارثة : هو زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب بن عبد العزى الكلبى القضــاعى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله يحبه حبا شديدا ، روى أحمد والنسائى عن عائشة رضى الله عنها قولها : « ما بعث رســول الله زيد بن حارثة فى سرية الا أمره عليهم ولو بقى بعده لاستخلفه » .

ب) وجعفر : هو ابن أبى طالب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يكبر اخاه عليا بعشر سنوات أسلم ثم هاجر الى الحبشة ، وبشره الرسول الكريم بالشــهادة فهو من المقطوع لهم بالجنة .

هـ) وابن رواحة : هو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن عمرو ، أسلم مبكرا ، وشهد بيعة العقبة وبدرا وأحدا والخندق وخيبر ، وبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشهادة فهو من المقطوع لهم بالجنة .

(٥) الجزع : نقيض الصبر ، والجزوع ضد الصبور على الشر ، وقد ورد فى محكم التنزيل الحكيم وصفا للانسان : « .. اذا مسه الشر جزوعا ، واذا مسه الخير منوعا » .



للدكتور / محمد حسين الذهبى

للقرآن الكريم فى بيان الأحكام منهج فريد اقتضته ضرورة كونه عالميا خالدا . ويتلخص هذا المنهج فى النقاط التالية :

١ — ان بعض احكامه جاءت بصيغة قاطعة فى الدلالة على الحكم ، فلم يكن محل اجتهاد ولا خلاف بين الفقهاء ، وهذا — عادة — يكون فى اصول الأحكام كوجوب الصلاة والزكاة وحرمة القتل والزنى ، وهذه الأحكام يجب اعتقادها ، ويلزم العمل بها ، ومن جحدها كان بجحودها خارجا عن الاسلام .

٢ — ان بعضا آخر من احكامه جاء بصيغة غير قاطعة فى الدلالة على الحكم ، لاحتمالها اكثر من وجه فكانت محلا لاجتهاد المجتهدين ، ونتج عن ذلك اختلافهم فى الرأى ، وذلك يكون — عادة — فى فروع الأحكام كمقدار ما يجب مسحه من الرأس فى الوضوء وعدد الرضعات التى يتحقق بها كون المرضع أما من الرضاع . وهذه الأحكام الاجتهادية التى قال بها الفقهاء لا يجب اعتقاد واحد منها بعينه ، كما لا يجب العمل به إلا على المجتهد الذى توصل اليه باجتهاده ،أما المقلد فله ان يختار من بين آراء المجتهدين ما شاء .

٣ — ان القرآن لم يتناول كل الأحكام التى يحتاجها الانسان فى حياته جملة وتفصيلا ، لأنه ليس من المعقول ولا من الحكمة أن ينص

القرآن علي احكام كل ما يعرض للناس من اقضية فى ماضيهم وحاضرهم ، ومستقبل حياتهم الممتدة الى يوم القيامة .

اما انه ليس من المعقول : فذلك امر بدهي ، إذ لا يتصور عقل ان يتسع كتاب لهذا كله .

واما انه ليس من الحكمة : فذلك لأن الحكمة تقضى أن تكون الشريعة التى جعلها الله خاتمة الشرائع وجعلها للناس كافة ، شريعة يكون فيها جانب المرونة محققا حتى تتسع لأنماط من الحكم مختلفة ، يقتضيها اختلاف طبائع المكلفين وما يحيط بهم من ملابسات وظروف على مدى تاريخ الاسلام الطويل .

وحسب القرآن الكريم أن يقرر الأصول العامة ويتناول بعض الجزئيات الهامة ويقرن كل هذا بعلة التشريع وما يهدف إليه من مصلحة ، ثم يترك للمجتهدين بعد ذلك أن يستنبطوا من الأحكام ما يلائمهم بشرط الا يخرج عن نطاق ما قرره من الأصول العامة ، وما نبه إليه من علة التشريع التى هى مناط الحكم .

٤ — أن القرآن لم يلتزم وحدة الموضوع فى بيان احكامه لأنه ليس كتاب قانون يبوب لكل موضوع بابا ثم يسرد كل مسائله ، وإنما هو كتاب هداية وارشاد : يسوق الآيات تلو الآيات فى جانب من جوانب الموعظة ، ويتوخى المناسبة الملائمة فيسوق فى ثنايا موعظته حكما شرعيا ويضفى عليه جوا من الترغيب أو الترهيب يوحى بوجوب الأخذ به ، ويحذر من مخالفته .

وفى جانب آخر من جوانب الموعظة يلقى بحكم آخر يضفى عليه من جو الترغيب أو الترهيب ما يحتم الأخذ به ويحذر من مخالفته .

وهكذا يلقى القرآن بأحكامه كلها فى اجواء مختلفة من الوعظ والهداية والإرشاد ، وفى كل مرة يحس السامع بأنه يسمع شيئا جديدا ، فيقبل عليه بشوق ولهفة دون أن يحس بسآمة أو ملل .

ثم أن القرآن الكريم نزل مفرقا واحكامه نزلت مفرقة علـى حسب الحوادث واسئلة السائلين وحاجات الناس ، ومن الاحكام ما هو منسوخ بأحكام اخرى ، فلو جمعت كل الأحكام ناسخها ومنسوخها فى مكان واحد وتحت عنوان واحد ، لظهر القرآن بمظهر المتناقض فى بعض احكامه . أما أن توضع آية متضمنة حكما فى موضع ما ولمناسبة ما ، ثم توضع آية أخرى ناسخة لها فى موضع آخر ولمناسبة اخرى ويعرف بطريق ما أن هذه ناسخة وتلك منسوخة ، فذلك يوحى بتدرج التشريع ، ويعطى القارىء المتأمل فكرة واضحة عن مراحله من غير أن يستشعر تناقضا بين احكامه .

بقى سؤال يثار حول التشريع القرآنى وهو :

هل كل ما فى القرآن من تشريع يعد جديدا غير مسبوق ؟

وللجواب عن هذا السؤال نقول :

إن القرآن الكريم نزل للناس جميعا ونزوله — كما قلنا — كان لغرض الإعجاز أولا ثم ليكون مصدر هداية وإرشاد بما احتواه من تشريع وتوجيهات مختلفة وبدهى أن اى تشريع يراد له أن يكون صالحا لتنظيم حياة أمة وعلاج مشاكلها فى حاضرها ومستقبل أمرها ، لا بد أن تتوفر فيه عناصر اربعة :

١ — أن يكون ملائما للفطرة البشرية ملاءمة تامة حتى لا يصادمها ولا يعاندها فى أمر جبلت عليه ، ومن هنا حرم نكاح الأمهات والبنات فى

كل الشرائع المعتبرة تحريما باتا ، ولو عرف أن تشريعا أباح ذلك لعد شذوذا وخروجا عن الانسانية الى الحيوانية.

٢ ـ أن يكون ملائما للقدرة الانسانية غير خارج عن طاقتها ، والا كان تعنتا وتعجيزاً ينافى مفهوم التكليف الذى يهدف الى الامتثال والطاعة ومن هنا شرع التيسير فى كثير من الأحكام عند تحقق المشقة أو مظنتها كاباحة الفطر فى السفر والصلاة قاعدا لمن عجز عن أدائها من قيام .

٣ ـ أن يكون ملائما للسنن الاجتماعية فلا ينافرها ولا يعطلها وإلا كان ذلك خروجا عما تقتضيه طبيعة الجماعات فى ترابطها وتعاونها وتكاملها ، ومن هنا شرعت قوانين الولاء لولى الأمر ، وقوامة الزوج على زوجته ، وولاية الوالد على ولده القاصر .

٤ ـ أن يكون مراعيا للعرف وما اصطلح عليه الناس فى معاملاتهم ، مالم يؤد ذلك الى مفسدة ، لفساده فى ذاته ، أو فساد ما يترتب عليه ، ومن هنا حرم التبنى ، وحرم الجمع بين الأختين فى الزواج ، وكلاهما كان متعارفا بين العرب قبل الاسلام فجاء الاسلام وحرم الأول لفساده فى ذاته ، لأن الدعى لا يكون ابنا ، وحرم الثانى ، لفساد ما يترتب عليه من قطيعة الرحم التى تنشأ ـ عادة ـ بين الأختين إن كانتا تحت زوج واحد ..

والقرآن الكريم راعى كل العناصر المتقدمة فى تشريعه ، ونظر إليها جميعا بعين الاعتبار فيما تضمنه من أحكام كلية كانت أم جزئية ، وعلى هذا الأساس جاء تشريع القرآن الكريم على نمط يتمشى مع عمومه وعالميته .. نمط يأخذ من كل دين وعرف ما يلائم طبيعة الإنسان ويدخل فى نطاق قدرته ، ويساير تطوره الاجتماعى ، وما لا يلائم طبيعته ، ولا يدخل فى نطاق قدرته ، ولا يساير تطوره الاجتماعى يبطله ولا يقره ، ثم هو بعد ذلك يشرع ما يراه متمشيا مع هذا كله .

وليس من شك فى أن القرآن الكريم جاء وهناك تشريعات قائمة ، بعضها منبثق عن شرائع سماوية ، وبعضها الآخر منبثق عن أعراف خاصة لجماعات مختلفة .

وليس من شك ـ أيضا ـ فى أن القرآن الكريم وقف من كل هذه التشريعات موقف الناقد البصير : يقر منها ما يراه صالحا ، ويعدل منها ما يحتاج الى تعديل ، ويبطل منها ما يراه غير صالح ، ويشرع أحكاما أخرى لم تكن معروفة من قبل ، وهو فى كل هذا مشرع مستقل بنفسه ، وليس عالة على غيره من التشريعات أو الأعراف والعادات ، لأنه حين أقر ما أقر منها لم يقره على أنه مقلد لا رأى له ، وإنما أقره لأنه جرى ويجرى على مقتضى الطبيعة الانسانية والسنن الاجتماعية ، وما كان لمشرع أبدا أن يحيد عما تقتضيه طبيعة الإنسان وسنن الاجتماع وإلا كان أحمق لا يعرف الحكمة ولا يدرك المصلحة .

وخلاصة المقال :

١ ـ أن ما فى القرآن من تشريع ليس كله جديدا مبتكرا .

٢ ـ وأن موقف التشريع القرآنى من الشرائع السابقة كان على النحو التالى :

أ) أنه أقر بعض الأحكام وأبقاها معمولا بها فى الشريعة الاسلامية لملاءمتها وصلاحيتها ، كالقصاص ، والديات فى القتل وغيره من الجنايات على النفس .

ب) أنه هذب وعدل بعضا آخر منها ، كالظهار الذى كان معروفا عند

العرب ، يقول الرجل لزوجته : انت على كظهر أمي ، فتصبح في عرفهم محرمة عليه ابدا ، فجاء القرآن وهم على ذلك ، فعدل حكم الظهار : فمن ظاهر من زوجته لا يعتبره القرآن مطلقا ولا محرما لها على التأبيد ، بل اعتبره عابثا بالحياة الزوجية ، وجزاؤه على ذلك : انه لا يحل له قربانها والاستمتاع بها حتى يكفر عن خطيئته بعتق رقبة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فان لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ، وفي ذلك يقول الله تعالى معاتبا ومعاقبا :

« الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائى ولدنهم وانهم ليقولون منكرا من القول وزورا وإن الله لعفو غفور . والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فاطعام ستين مسكينا ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله وتلك حدود الله وللكافرين عذاب اليم » (١) .

ح) انه الغى بعضا ثالثا منها : كالتبنى الذى كان معروفا فى الجاهلية وصدر الاسلام .

كان الرجل يتبنى ولد غيره وهو يعرف ذلك ، فينسبه الى نفسه ، وتجرى عليه احكام الابن الصلبى من التوارث بينهما ، وعدم جواز نكاح احدهما زوجة الآخر إذا طلقها او مات عنها ، فجاء القرآن فأبطل التبنى وما كان يترتب عليه .

فقال فى بيان انتساب الأدعياء المتبنين :

« .. وما جعل ادعياءكم ابناءكم ذلكم قولكم بافواهكم والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . ادعوهم لآبائهم هو اقسط عند الله فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم » (٢) .

وقال فى ابطال التوارث بالتبنى :

« وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا كان ذلك فى الكتاب مسطورا » (٣) .

وقال فى إباحة زواج المتبنى بزوجة من تبناه بعد فراقه لها :

« فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا »(٤)

.. يريد زينب بنت جحش ، وكان قد تزوجها زيد بن حارثة ثم طلقها ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد تبنى زيدا حتى كان يدعى زيد بن محمد ، فأمره الله بزواجها من بعده ، فكان ذلك هدما لعرف جرى عليه العرب فى الجاهلية .

د) وقد يقر القرآن بعض ما كان شائعا من أحكام لنوع المصلحة فيه ، ولكنه يحيط هذا الحكم الذى أقره بكثير من الضمانات حتى لا ينحرف به احد عن حكمة التشريع .

ثم هو لا يكتفى بهذه الضمانات ، فينشىء من التشريعات ما يكاد يلغى هذا الحكم أو يوحى بعدم الرغبة فيه، وذلك كالرق فقد كان شائعا بين العرب فجاء القرآن واقر الاسترقاق فى الحرب ، لا على انه اهدار لآدمية المسترق وحطم لمعانى الإنسانية فيه ، وإنما أعطاه كل حقوقه كانسان ، واعتبر الاسترقاق إدخالا له فى مدرسة الإسلام ، لعل قلبه يتفتح على ما فيه من الحق والهدى فينضوى تحت لوائه ، وفتح له مع ذلك أبوابا كثيرة يخرج منها الى الحرية التامة .

فمن ذلك : انه جعل تحرير الرقـــاب المسترقة من افضل القرب واحبها الى الله .

ومن تخلى عن انانيته وطوعت له نفسه عتق عبده عن سماحـــة نفس تخطي العقبة وسلك طريقـــه الـــى الجنة » (٥) .

ومن كان مسترقا يسعى للحصول على حريته ، فله فى مال الزكاة نصيب يأخذه ليشترى له حريته من سيده إن كان قد شح عليه بها .

ومن حلف يمينا ثم حنث فيهـــا فكفارته اطعـــام عشرة مساكين او كسوتهم أو **تحرير رقبة**)) (٦) .

ومن قتل مؤمنا خطأ فكفارته **تحرير رقبة مؤمنة** وديـــة مسلمـــــة الى أهله » (٧) .

. ومن ظاهر من زوجته ثم أراد ان يعود لها فكفارته **عتق رقبة**)) (٨) .

ومن أفطر متعمداً فى نهار رمضان فكفارته **عتق رقبة أيضا**)) (٩) .

ومن لطم مخدومه او ضربه فكفارته أن **يعتقه**)) (١٠) .

ومن يتأمل الآيات القرآنية التـــى وردت فى الكفارات يخرج بحقيقتين هامتين :

الحقيقة الأولى : أن العتق هـــو الأصل فى الكفارة ، وأنه لا تخيير بين العتق وغيره من المكفرات إلا فـــى كفارة اليمين .

الحقيقة الثانية : ان العتق لا يعدل عنه إلى البديل وهو الصوم الا اذا لم يجد المكفر رقبة يعتقها .

ومعنى هذا : ان الاسلام يتشوف الى الحرية ويراها أحب الى اللـــه وأرضى من الصـــوم وغيـــره مـــن العبادات والقرب .

ثم ان الاسلام يملك الرقيق نفسه ويعطيه حريته لأدنى مناسبة ، فإذا ما لاح للمسترق شعاع أمل فى الحرية من خلال نافذة ضيقة ، فتح الله له الباب على مصراعيه لينطلق منه إلى الحرية الكاملة ، كالأمة يستولدهـــا سيدها فلا يحل له ان يخرجها عـــن ملكه ببيع أو هبة او نحوهما ، فاذا مات فهى حرة .

والعبد يكون بين شريكين فيعتق احدهما نصيبه فيعتق العبد كله ، ويضمن المعتق الأول نصيب شريكه إن كان له مال ، فان لم يكن له مال قوم نصيب من لم يعتق ، وسعى العبد فى تحصيله له من غير عنت ولا مشقة .

.. وهكذا يقر الاسلام أمرا كان شائعا بين الناس ، ولكنه يحيطه بكل الضمانات التى تجعله لا يخـــرج عن نطاق الحكمة والمصلحة .. ثم هـــو بعد يلغيه بضروب من الجـــــزاءات والعبادات والقرب الى الله .

(**للبحث بقية**)

---

(١) الآيات ٢ ، ٣ ، ٤ ، من سورة المجادلة

(٢) فى الآيتين ٤ ، ٥ من سورة الاحزاب .

(٣) فى الآية ٦ من سورة الاحزاب .

(٤) فى الآية ٣٧ من سورة الاحزاب .

(٥) انظر الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، من سورة البلد .

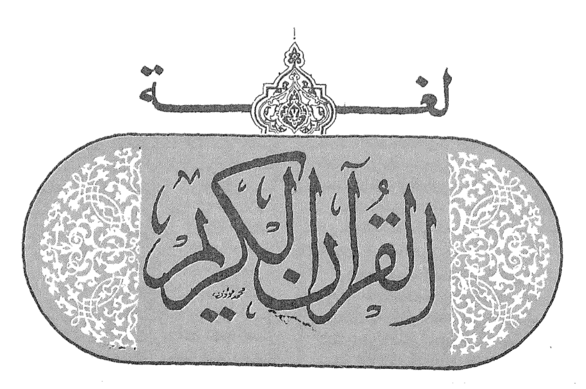
(٦) انظر الآية ٨٩ من سورة المائدة .

(٧) انظر الآية ٩٢ من سورة النساء .

(٨) انظر الآية ٣ من سورة المجادلة .

(٩) عـــلى خلاف بين الفقهاء فى ذلك .

(١٠) هذا نص حديث رواه الامام احمد والامام مسلم وغيرهما وفى معناه عدة احـــاديث مروية فى الصحيح .



بقلم : اللواء الركن محمود شيت خطاب

— ١ —

ذكرت فى مقال سابق فى هـذه المجلة بعنوان : لغة القرآن الكريم ، أن الدعوة الى العامية هدفها أن يصبح هذا القرآن مهجورا ، لأن كل جزء من أجزاء الشعب العربى سيلتزم بلهجته العامية ، وما أكثر اللهجات العامية فى الوطن العربى فى كل قطر من أقطاره ، بل كل منطقة من مناطق أقطاره ، بل فى كل مدينة من مدنه وقراه ، فلا يستطيع المتعلمون بالعامية ، قراءة القرآن الكريم حينذاك ، الا الذى يدرس العربية الفصحى ، وكأنها لغة أجنبية كما يفعل الفرنسيون والايطاليون والاسبان مثلا فى دراسة اللغة اللاتينية — وكانت أم لغاتهم القومية التى يستعملونها فى الوقت الحاضر .

وحين تشيع اللغات العامية فى الأمة العربية ، تصبح الأمة الواحدة أمما ، وينفرط عقدها الذى ربطه القرآن الكريم برباط متين منذ أربعة عشر قرنا حتى اليوم .

ان هذا القرآن الذى يهدى للتى هى أقوم ، ومنها جمع شمل العرب على لغة واحدة تجمع شملهم وترص صفوفهم وتجعل الأمل باتحادهم ووحدتهم لا شك فيه — هو العقبة الكأداء والصخرة الصماء التى أقضت مضاجع المستعمرين والصهاينة وأعداء الأمة العربية والمسلمين ، وطالما صرح دهاقنة الاستعمار والصهيونية العالمية ، أن العرب لا يزالون بخير مهما تكاثرت عليهم النكبات ، مادام هذا القرآن بين ظهرانيهم يتلى صباح مساء ، ويحول دون نجاح المؤامرات التى تحاك على العربية الفصحى .

وقد ذكرت فى المقال السابق أن الدعوة للعامية دعوة مريبة تخدم مصالح أعداء العرب والمسلمين .

وذكرت أن التوقيت بين محاولات الصهاينة لإحياء لغتهم الميتة وهى

اللغة العبرية وبين الدعوة الى اتخاذ العامية فى البلاد العربية دل على أن الدعوة للعامية لم تكن صدفة ، انما جاءت بتخطيط الصهاينة والسائرين فى ركابهم ، فرددها بعض العرب تنفيذا لتلك المخططات اما عن حسن نية تغريرا بهم أو عن سوء نية تظاهرا بالخير للعرب . ولا اظن احدا يصدق هؤلاء المغرر بهم أو العملاء ، ولذلك قبرت دعواتهم المريبة وماتت فى مهدها .

اليس غريبا أن يظهر دعاة من العرب وغير العرب يدعون الى العامية فى التعليم والتخاطب فى نفس الوقت الذى يظهر فيه دعاة إحياء اللغة العبرية ؟

أهذا مجرد صدفة يا أولى الألباب ؟؟!!

وأسجل أن الفضل كل الفضل ، فى إخفاق مؤامرات دعاة اشاعة اللهجات العامية فى البلاد العربية ، يعود للقرآن الكريم وحده ، فلولا القرآن لنجح هؤلاء الدعاة — خاصة وأن القوى الخفية والعلنية التى كانت وراءهم كانت قوية جدا من الناحيتين المادية والمعنوية .

وشكرا للقرآن الكريم الذى لا تنقضى أفضاله على الأمة العربية والمسلمين ، وشكرا لله الذى أنزل القرآن وجعله سراجا منيرا .

— ٢ —

لقد أخطأ الذين ظنوا أن المخططين لاشاعة اللهجات العامية قد رضوا بالهزيمة النكراء والاخفاق الشنيع .

ذلك لأن هؤلاء المخططين من الاستعماريين والصهاينة من أعداء العرب والمسلمين ، ومن التافهين والإمعات والعملاء العرب الذين شايعوا أولئك المخططين ، هؤلاء وأولئك يعلمون حق العلم أن القرآن الذى يتلى بلغته المعجزة : يتلوه الصغار كما يتلوه الكبار ، ويتلوه المتعلمون كما يحفظه الأميون ، ويحفظه عن ظهر قلب كثير من العرب وكثير من غير العرب ، هذا القرآن لا بد أن (يهْجَر) ليسهل على الطامعين بالعرب والمسلمين ازدرادهم بعد تجزئتهم وتقطيعهم اربا اربا .

فاذا اخفق أعداء العرب والمسلمين فى محاولة ، فلا بد من محاولات اخرى .

وقد جاءت المحاولة الجديدة فى مؤتمر : بحث مشروع اللغة العربية الاساسية الذى عقد فى (برمانا) بلبنان فى شهر حزيران (يونيو) سنة ١٩٧٣ .

وابادر الى القول ، بأن هذا المؤتمر كان مريبا الى ابعد الحدود ، وأن على سدنة اللغة العربية الفصحى من مجمعيين وجامعيين أن يفضحوا هذا المؤتمر على أوسع نطاق وفى كل مجال ، حتى لا تأخذ مقرراته طريقها الى التطبيق فى قطر عربى أولا ، ثم يتوسع تطبيقه فيشمل أقطارا عربية أخرى .

لقد عقد المؤتمر بجو من الصمت الرهيب كأنه مؤتمر عسكرى على مستوى عال من الكتمان ، خوفا من تسرب الاسرار العسكرية الى الأعداء فلم تنشر عنه الصحف الا لمحات خاطفة لا تكشف نياته ولا تتحدث عن أهدافه .

وكما كان انعقاده (سريا للغاية) اختتم المؤتمر المريب بنفس (السرية) ذات الدرجة العالية ، فكان المؤتمرون كاللصوص الجبناء الذين يدخلون بيوتا غير بيوتهم ، فاذا انكشف أمرهم لاذوا بالفرار ، قانعين بالخيبة وكتمان اشخاصهم حتى لا يفتضح أمرهم وينالهم العقاب .

ولكن شاء الله ، أن يفتضح هذا

المؤتمـــــر وتعرف أســـماء بعض المشاركين فيه والجهات التى يمثلونها فى المؤتمر ، وكلها تدل على أن هذا المؤتمر مريب الى أبعد الحدود (١) .

ولست فى حرج لمهاجمتى المؤتمر والمشاركين فيه بشدة ، لأننى أعتقد انه ليس من الحكمة معاملة العقرب بالحسنى ، بل يجب أن تسحق فورا والا سممت من يحاول معاملتها بالتى هى احسن .

والمؤتمر يحاول التشكيك فى قدرة العربية الفصحى وكفايتها ، ويحاول بطرق جديدة فرض العامية واغفال الفصحـــى ، فمـــن يجامل امثـــال المشاركين فى هذا المؤتمر كالـــذى يجامل العقرب ، وللعقرب حـــل وحيد ، هو سحقها بالحذاء .

— ٣ —

ما هو مشـــروع اللغة العربيـــة الأساسية الذى تبناه هذا المؤتمر ؟

يقولون : إن تعدد لهجات اللغـــة العربية وصعوبة تعلمها وتعليمها ، اقضت مضاجع بعض الأســاتـــذة الفرنسيين وهم : جاك بيول واندريه رومان ورولان مانيه الذين اكتشفوا « أن الواقع اللغوى فى العالـــم العربي ، هو وجود لغة فصحى **شبه موحدة** ، تقابلها طائفة من اللهجـــات المحلية تتفاوت فى بعدها عن اللغـــة الفصحى المشتركة ، وتتفاوت فـــى بعدها الواحدة عن الأخرى من حيث الصوتيـــات والصرف والتراكيـــب والمفردات » .

لذلك قرر أولئك الفرنسيون خلق **لغة جديدة** تكون مفـــرداتها هـــى المفردات الأكثر تداولا بين الناطقيـــن بالضاد .

ولمعرفة المفردات الأكثر تداولا ، استمانوا بدماغ الكتروني ، وقاموا بعملية احصائية محضة : تثقيـــب بطاقات وفرزها !!

وقد جاء فى تقريـــر الأب رولان مانيه : « إنّ المقصـــود هو تحديـــد اللغة العربية الأساسية (مفـــردات وتراكيب) بحسابات احصائية دقيقة . وليس المقصـــود باللغة العربيـــة الأساسية ما يجب أن تكون عليـــه اللغة العربية بحسب معايير جامدة رافقت العصور الماضية ، أو ما يمكن أن تكون عليه ، بموجب مشاريـــع اصلاحية حديثة اقترحها اناس مهتمون بالتجديد ، أو بذهنية تستند فـــى اصلاحاتها الى الرجوع لهذا او ذاك من الشواهد النادرة التى وردت عند القدامى . المقصود فقط وصف اللغة كما هى بطريقة موضوعية وعلميـــة وتعيين تواتر المفردات والتراكيب !

« ليس المقصود بأية حـــال ، تبسيط اللغة العربية ولا صنع لغة محدودة المفردات ومختصرة التراكيب اى لغـــة مصطنعـــة وفقيـــرة . إن المقصود هو اكتشاف السلّم الـــذى يقيمه الاستعمال بين ما هو كثيـــر التردد وكثير الاستعمال ، وما هـــو نادر واقل ترددا ، ليتاح خلق تعليـــم متدرج متكامل ، يبدأ بما هو اكثـــر شيوعا ، اى انه يبدأ بالأســـاس ، ولكنه يبقى بالطبع منفتحـــا على كل **الثروات الحقيقية فى اللغة** .

« ليس المقصود بأيـــة حال تغيير اللغة ، وحتى لو اردنـــا ذلك لمـــا استطعناه ، ففى اللغة أن الاستعمال هو السيد الذى يفرض نفســه . أما اذا تبيّن لنا بعد استقصاءات رصينة ان ما يكثر استعماله حاليا يختلف عما اعتبره النحويـــون القـــدامى واجب الشيوع ، وقد لا يكون دائما كثيـــر الشيوع فى النصوص القديمة ، فلا **بد من الاعتراف بذلك** ومن اخذه بعين الاعتبار . وبتعبيـــر آخـــر ، ليس المقصود اصلاح اللغة بحجة تيسيرها حتى ولو كانت التغييرات المقترحة

(١) الحوادث — العدد ٨٦٨ — ص (٦٨ — ٦٩) — طلال رحمة .

مستندة الى شواهد قديمة ، **لا بل لانها مستندة اليها** ، بل تسجيل التغيير في حال وجوده والذى لا يكون سوى نتيجة التطور الملازم لكل لغة ، فاللغات الميتة وحدها لا يطرأ عليها تغيير ، والوصف العلمى وحده المنطلق من مجموعة واسعة من النصوص ، كفيل باعطائنا المعلومات الثابتة والصورة الدقيقة عن واقع اللغة العربية الراهن .

« ليس المقصود التعرض للغة الماضى ، لا لشىء إلا لأن مسّها لا يجوز لأسباب يمليها العقل والمنطق السليم ، فالعربية القديمة قائمة على مجموعة من نصوص مختلفة لها شكلها النهائى الثابت . وليس المقصود أيضا التضحية بالماضى ، بل تيسير الوصول اليه ، **بارجاء دراسته الى مرحلة لاحقة ، يكون** التلاميذ قد أعدوا فيها بما فيه الكفاية لفهمه وتذوقه وتمثله ، فالعربية الاساسية ، تهدف اذن وقبل أى شىء آخر ، لا الى تبسيط اللغة ، بل الى تيسير تعليمها لتلامذة المرحلة الابتدائية » .

ومعنى هذا استعمال اللهجة العامية فى التعليم ، لأن مفرداتها شائعة أكثر من مفردات اللغة العربية الفصحى ، مع تطعيم هذه اللهجة العامية ببعض المفردات العربية الشائعة كثيرا ، أى خلق لغة هجين : تسودها اللهجة العامية ، وفرضها فى مراحل التعليم الاولى على التلاميذ ، لكى يصلوا عبر هذه اللغة الهجين الى التعليم باللغة العربية .

واذا افترضنا النية الحسنة فى واضعى هذا المشروع ، فستكون أمام العربى ثلاث لغات : اللهجة العامية الصرفة ، واللهجة الهجين ، واللغة العربية الفصحى ، وبذلك نعقد الدراسة بدلا من تبسيطها .

أما اذا افترضنا النية السيئة فى واضعى المشروع ، فهى عودة الى الدعوة الى العامية بأسلوب شيطانى جديد ، بحجة : « أن الاستعمال هو السيد الذى يفرض نفسه » كما يقول الأب رولان مانيه واضع هذا المشروع الرئيسى .

وقد كشف الدكتور وديع حداد رئيس المركز التربوى للبحوث فى لبنان والداعي لهذا المؤتمر فى الجلسة الافتتاحية نيات المؤتمر بقوله : « إن المفردات والتراكيب اللغوية المشتركة بين اللغة العربية الفصحى واللهجة العامية المحلية هى التى سيتم الاحتفاظ بها فى البدء من أجل تعليم القراءة والكتابة » ، وكان عليه أن يقول : إنه سيحتفظ بالعامية المحلية اللبنانية — وحتى هذه العامية اللبنانية فيها لهجات كثيرة !

والسؤال لهذا الدكتور : لماذا لا يستعمل العربية الفصحى فى تعليم القراءة والكتابة ؟ وما هى افضلية استعمال المفردات العامية ؟ وأى لهجة سيستعمل : لهجة بيروت أم طرابلس أم البقاع ؟؟!

والأهم من ذلك أن المفردات العامية اللبنانية لا تفهم فى العراق وغيره من الأقطار العربية ، فهل يريد هذا الدكتور ان ينقطع التلميذ اللبنانى والمواطن اللبنانى عن العالم العربى وعن التراث العربى العظيم ؟

ولكى نعرف مبلغ الريبة التى يتمتع بها هذا المؤتمر ، لا بد من معرفة المؤسسات والمعاهد التى شاركت فيه .

شارك فى المؤتمر : مؤسسة (فورد) التى كانت ممثلة بداود عبدو ، وجامعة (أنديانا » ممثلة بصالح جواد طعمه ، وجامعة (ميشكان) ممثلة بآرنست مكاريوس ، وجامعة (أكس) ممثلة بسامى فراج ، وجامعة (هولندا) ممثلة بيان بيتر ، وجامعة (مدريد) ممثلة بستراوستر وجامعة (تونس) ممثلة بمحمد المعمورى ، ومعهد الآداب الشرقية

فى الجامعة اليسوعية ممثلة بالأب ميشال آلار .

وقد شاركت فى المؤتمر جامعة بيروت العربية والجامعة اللبنانية ، وممثل هاتين الجامعتين استاذان لا غبار على اخلاصهما للغة العربية الفصحى .

ولكننى سمعت فى لبنان من شخصيات حريصة على لغة القرآن الكريم نقدا شديدا ولوما قارصا لهذين الأستاذين على مشاركتهما فى هذا المؤتمر المريب على الرغم من انهما قالا كلمة الحق داخل المؤتمر ، ولولا ما قالاه لساد الباطل على الحق ، وقد ذهبت اقوالهما أدراج الرياح .

ولكن حضورهما فى هذا المؤتمر المريب ، أعطى نوعا من (الشرعية) له ، كما أن ما قالاه ضاع فى خضم ضجيج الباطل ، ثم لم يؤخذ بآرائهما الحصيفة ، حيث قرر المؤتمر لنفسه برنامج عمل يبدأ من تموز (يوليو) ١٩٧٣ وينتهى فى أيلول (سبتمبر) ١٩٧٤ متجاهلا ردود الفعل التى جاءت من داخل المؤتمر ومن خارجه .

وانا أعرف الرجلين ، واثق بهما ، لذلك اعتقد انهما حضرا المؤتمر ليقولا كلمة الحق ، وقد فعلا .

إن اللغة العربية الفصحى ليست (شبه موحدة) كما يدعى رءوس أولئك المؤتمرين .

ولا حاجة للعرب بـ (لغة جديدة) يخطط لها الفرنسيون وغير الفرنسيين .

(والثروات الحقيقية) التى يريد أولئك المشبوهون ادخالها فى اللغة العربية الفصحى ، هى ليست فى اللهجات العامية ، بل فى التراث العربى العظيم وفى مقررات مجمع اللغة العربية فى القاهرة ومجمع اللغة العربية فى دمشق والمجمع العلمى العراقى فى بغداد ، ومجمع البحوث الاسلامية فى الازهر الشريف

وقد استطاعت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية العربية وضع المعجم العسكرى الموحد (انكليزى — عربى) بالعربية الفصحى ، ثم وضعت ثلاثة معجمات عسكرية موحدة (عربى — انكليزى) و (فرنسى — عربى) و (عربى — فرنسى) . وقد بلغت صفحات المعجم العسكرى الموحد (انكليزى — عربى) الف صفحة ضمت ثمانين الف مصطلح عسكرى كلها تقريبا مقتبسة من : (المصطلحات العسكرية فى القرآن الكريم) .

وما استطاعت لجنة توحيد المصطلحات العسكرية للجيوش العربية تحقيقه ، تستطيع غيرها من اللجان فى مختلف العلوم والآداب والفنون تحقيقه اذ صدق العزم وتوفر الاخلاص والعلم واستمر العمل الدائب ، وكل جهد فى خدمة لغة القرآن الكريم يهون .

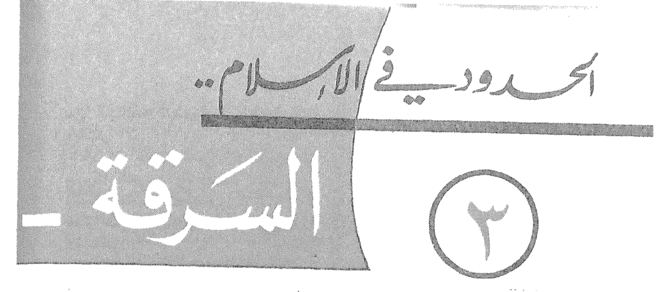
والعربية الفصحى غنية بالمفردات وليس هناك لغة فى العالم كلهتشابه أو تقارب لغة الضاد فى غناها .

وقد أجرت الاذاعة المرئية اللبنانية فى منتصف شهر حزيران (يونيو) مناقشة مع شاعرة معروفة فى اللغتين العربية والفرنسية ، فسألها المذيع : « أى لغة اكثر مطاوعة فى نظم الشعر : العربية أم الفرنسية ؟ » فأجابت : « العربية طبعا ، فهى غنية بالمفردات التى تشكل معينا لا ينضب من القافية التى تعين الشاعر فى النظم » .

ان العربية الفصحى بخير ما دام هذا القرآن يتلى صباح مساء .

والذين يريدون بها شرا يخزيهم الله فى الدنيا والآخرة ، ومصير مخططاتهم الاخفاق الشنيع .

ولكن حذار من أحابيل اعداء العربية الفصحى وهم كثيرون .



١ ــ تحدثنا فى العددين : الثامن والتسعين (غرة صفر سنة ١٣٩٣) والعدد الواحد بعد المائة (غرة جمادى الأولى سنة ١٣٩٣) من مجلة « الوعى الاسلامى » ــ عن الحدود فى الاسلام ، والميزان الذى أقامها الله تعالى عليه ، من الحكمة ، والرحمة ، والعدل .. وقد عرضنا فى الحديث الأول لجريمة الزنا ، ثم عرضنا فى الحديث الثانى لجريمة القتل ، وكشفنا عن وجههما الشنيع ، والآثار المدمرة التى تنجم عن شيوعهما فى أى مجتمع انسانى ..

ونعرِض فى هذا الحديث لجريمة السرقة ، على أن نعرض فى حديث تال إن شاء الله لجريمة شرب الخمر ، وبهذا نكون قد استوفينا عرض أهم وأنكر الجرائم التى رصد الإسلام العقوبة الرادعة لها ، والتى تعرف فى لسان الشرع بالحدود ، تلك الحدود التى كانت مدخل فتنة وتلبيس ، يدخل منها أعداء الاسلام لصد الناس عنه ، وجفوة أهله له ..

٢ ــ والسرقة ، هىَ عدوان على ملك الغَيْر ، من مال ومتاع ، ونحـو هذا ، مما يحرزه الإنسان لينتفع به ..

والمال ، وما يدور فى فلكه ، هو ثمرة جهد ، وحصيلة كدّ وعمل ، ونِتَاجُ كِفاح وجهاد .. وبالمال تدور عجلة الحياة ، ومن أجله يسعى الناس فى كل وجه من وجوه الأرض ، إذ كان طلبُه وليد غريزةِ التَّملك ، التى تأخذ المكان الأول فى الغرائز الانسانية ، بعد غريزة حب الحياةَ ، وتنازع البقاء !

ومن هنا كانت نظرة الإسلام الى المال ، باعتباره الجامع لممتلكات الانسان ومقتنياته ، تلك النظرة التى تقيم للمال وزنه الصحيح فى الحياة ، وتعترف له بأثره القوىّ الواضح فى بناء الحياة للفرد والجماعة ..

ويخطىء خطأً بيّناً أولئك الذين يَرَوْن فى الشريعة الإسلامية استخفافاً بالمال ، وتهوينا من شأنه ، حيث يقيمون نظرهم على بعض من آيات الله ، أو كلمات من أحاديث الرسول ، تدعو فى ظاهرهـا الى التخفف من حبّ المال ، والحذر من فتنته ، مثل قوله تعالى : **« إنما أموالكم وأولادكم فتنة »** (١٥ : التغابن) وقوله سبحانه : **« اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد كمثل غيث اعجب الكفار نباته ، ثم يهيج فتراه مصفراً ، ثم يكون حطاما »** .. (٢٠ : الحديد) وكقول الرسول الكريم : **« لو أن لابن آدم واديين من ذهب لتمنى ثالثا ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب »** .. الى كثير من الآيات والأحاديث التى يفهم من ظاهرها هذا الفهم السطحى الذى فهمه أولئـك الذين قَصّروا نظرهم عليها ، دون أن ينظـروا اليها فى ضوء آيـات كثيرة ، وأحاديث نبوية غير قليلة ، تزكىّ المال ، وتبارك عليه وعلى أهله الذين يسـلكون به مسالك الحق والخير فى كسبه وإنفاقه .. فمقطع الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التى تدعو الى الزهد فى المال ، عن تلك التى ترغب فيه ، هو أشبه بمن



للأستاذ : عبد الكريم الخطيب

يقرأ الآية الكريمة : «**فويل للمصلين**» ثم لا يصلها بالآية التى بعدها : «**الذين هم عن صلاتهم ساهون ..**»

٣ ــ ولا شك أن هذه الفرية على الإسلام ، من أهله المغرر بهم ، ومن المندسّين فى أهله للكيد لهم ، والنيل منهم ، بإجلائهم عن مواقع الحياة الجادّة فى الحياة ــ لا شك أن هذه الفرية قد آتت أكلها السيئة ، وآثارها المنكرة ، التى كان لها الدور الأول ، فى تلك الحركة الانسحابية ، التى أدار بها المجتمع الاسلامى ظهره للحياة ، وترك الدنيا تدور دورتها ، وهو واقف فى مكانه ، حتى خرج أو كاد يخرج من موكب الحياة ، وهو محسوب فى الأحياء !

فلقد أماتت هذه الحركة المضادة لطبيعة الوجود ، نوازع العمل فى كثير من النفوس ، واطفأت جذوة الطموح عند كثير من المهيئين له ، حتى وصل الحال بالمسلمين الى هذا الجمود الذى هم فيه ، فلا يتحولون عن مواقع أقدامهم من الأرض ، على حين أخذت أمم وشعوب غيرهم معارج يصعدون بها الى السماء ، ويرتادون على متونها عوالم الكواكب والنجوم !! وقد كان جديرا بأمة الإسلام أن تكون الرائدة لهذا الميدان ، وأن تكون خطوات الناس كلهم من وراء خطواتها ، لو انها أخذت بدعوة دينها ، وانتفعت بتعاليمه فى الاحتفاء بالعلم ، والتكريم للعلماء ، ولراوا فى العالم العربى المسلم « عباس بن فرناس » الذى فتح اول طريق الى السماء ، باصطناع جناحين له من ريش ، استطاع بهما أن يحلّق فى السماء ، وأن يموت شهيدا فى ميدان العلم والمعرفة .. نقول لراوا فى هذا العالم العربى المسلم دليلا على هذا الطريق ، الذى تنبّهت اليه أمم الغرب ، واتخذت منه حلما لم يلبث طويلا حتى أصبح حقيقة ، ينظر اليها المسلمون فى دهش وذهول .. ولكن موجات الزهد الزائف الذى زحف على المسلمين من تلك الدعوات الخادعة المضللة ، قد أرتهم فى « عباس بن فرناس » هــذا ، رجلا ملحــدا ، يتحــدى قدرة الله ، ويهتك حرمة سمائه ، ويقف من الله موقف فرعون ، إذ يقول لهامان : «**يا هامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الأسباب ، أسباب السموات فاطلع الى إله موسى ، وانى لأظنه كاذبا**» (٣٦ ــ ٣٧ : غافر) .. ونسى هؤلاء الأدعياء ، قول الله تعالى : «**وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعــا منه**» (١٣ : الجاثية) ..

٤ ــ هكذا بلغت هذه الحركة الانسحابية من الحياة بالمسلمين ، الى هذا الموقف الذى جمدت فيه دماء الحياة فى العروق ، فتعطلت الملكات ، وخمــدت

الجـــوارح ، وخلت مواقع المسلمين فى الحياة الجـــادة العاملة من اهل الجد والعمل ، فتأخروا وتقدم الناس ، وافتقروا وضعفوا ، وحاز غيرهم المال وما يمكّن المال لأهله من قوة وسلطان ..

وكلا ، ثم كلا .. ان الاسلام ليس عدوا للحياة ، ولا مبغضا للمال الذى هو قوام الحياة وزينتها .. وكيف والله سبحانه وتعالى يقول : **« المال والبنون زينة الحياة الدنيـــا »** (٤٦ : الكهف) ويقول : « **إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا** » (٧ : الكهف) ويقول على لسان نوح إلى قومه : « **فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليكم مدرارا ، ويمددكم باموال وبنين ، ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا** » (١٠ ــ ١٢ : نوح) ويقول : « **ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من الســماء والأرض** » (٩٦ : الأعراف) ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « **نعم المال الصالح للعبد الصالح** » ..

وما كانت دعوة الاسلام الى الحذر من فتنة المال ، إلا لما له من سلطان متمكن من النفوس ، وأنه لو أسلم المرء زمامه لهذا السلطان ، وجرى على هواه لأصبح عبدا ذليلا للمال ، وهو الذى من شأنه أن يستعبد المال ويسخره لبناء صرح إنسانيته عاليا ، كريما ، عزيزا ..

فالمال فى حساب الاسلام وتقديره ، هو وسيلة لا غاية ، وسيلة لكسب المحامد ، وابتغاء الأمجاد ، وقضاء الحقوق .. هكذا المال عند احرار الرجال ، اداة مسخرة لمنازع الانسان الشريفة النبيلة ، وسلاح يضرب به فى وجه الحاجة التى قد تدفعه الى مواقف الذّلة والمهانة ، التى يأباها الأحرار ، الذين يجدون بطن الأرض خيرا لهم من ظهرها ، إذا هم كانوا أصحاب اليد السفلى ، وكان غيرهم أصحاب اليد العليا ..

وعن هذا المنزع الإنسانى النبيل الشريف ، يقول الشاعر العربى ، البدوى . بوحى من فطرته ، وبِداع من مروءته ورجولته ــ يقول مخاطبا زوجه :

ذرينى أطـوّف بالبـــلاد لعلّنى   أصيب غنى فيه لذى الحق مَحْمَلُ
فإن نحن لم نملك دفاعـا لحـادث   تلمّ بـه الأيام فالمـوت أجمـل

وليس تطواف هذا الحر الكريم فى البلاد للتسكع ، والتصعلك والتسول ، ولكنه تطواف العاملين الجادين ، الضاربين فى وجوه الأرض بقوة ، لاستخراج خبئها ، وجنى ثمراتها ..

فاذا انقلب المال عند بعض الناس الى غاية محصورة فى جمعه ، واكتنازه فذلك هو البلاء العظيم الذى يحذر الاسلام أهله ، من الوقوع فيه ، أو الاتجـاه اليه .. إذ ليس وراء ذلك الا إذلال الإنسان ، واهدار آدميته ، وبيْعُ نفسه بهذا الثمن البخس من المال الذى يجمعه ، ولو كان القناطير المقنطرة من الذهب والفضـــة !!

من هنا كانت دعوة الإسلام الى الحذر من فتنة المال ، وإغوائه ، تلك الفتنة التى تقلِبُ وضْعَهُ ، فتحوّله من وسيلة الى غاية ، ومن صديق نافع الى عدو مبين ، ومن سلاح يَقْتُلُ الأعداء ، الى سلاح يقتل صاحبه ..

ولو كان من تدبير الاسلام إعلان هذه الحرب التى يعلنها على المال هـــؤلاء المفلسون ، من ذوى الهمم الفاترة ، والعزائم الخائرة ــ لما جعل فى محامل كتابه الكريم ، وفى دستور شريعته الغراء ، هذه التوجيهات السديدة الحكيمة ، فى جمعه وفى إنفاقه ، ولما فرض على المسلمين زكاة ، ولا صدقة ، ولا إنفاقا فى سبيل الله ، ولا إعدادا بالمال للقوة الرادعة لأعداء الاسلام ، بل ولا فرض مهورا

للزواج ، ولما أباح أن يكون المهر قنطارا أو قناطير من ذهب أو فضة ، كما يقول سبحانه : **« وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتمْ إحداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا أتاخذونه بهتانا وإثما مبينا »** (٢٠ : النساء) .. فلمَن يتجه القرآن بهذا الخطاب ؟ أيخاطب أمة غير أمة الاسلام ؟ أو جماعة غير جماعة المسلمين ؟ ولو كان من تدبير الاسلام ، اعلانُ هذه الحرب التى يُعلنها المفلسون — من الدنيا والدين — على المال ، لما جعل للميراث أحكاما فى شريعة تضبط قسمته بين الورثة ، ولا أمر بتوثيق الدين والاشهاد عليه ، ولما توعد بالعذاب والنكال من يأكلون أموال اليتامى ظلما ، فيقول سبحانه : **« إن الذين ياكلون أموال اليتامى ظلما ، إنما ياكلون فى بطونهم نارا وسيصلَوْن سعيرا »** (١٠ : النساء) .

ولو كان من تدبير الاسلام إعلانُ الحرب على المال ، لما فرض على جماعة المسلمين ، وأولى الأمر فيهم ، أن يأخذوا على أيدى السفهاء منهم ، الذين لا يعرفون حرمته وقدره ، فينفقونه فى مجالات اللهو والعبث فى غير اكتراث به ، ولا إقامة وزن له .. فهذا المال الذى تبدده أيدى السفهاء ، هو فى حقيقته قوة من قوى الجماعة الاسلامية ، وركيزة من الركائز التى تقيم عليها حياتها ، ولهذا أوجب الله عليهم أن يرفعوا أيدى هؤلاء السفهاء ، عما فى أيديهم من مال ، وأن يحموه من تسلطهم عليه ، وبحسبهم منه أن ينالوا ما يسد حاجتهم ، فى حدود ما يتسع له ما لهم ، وما يصلح لأمثالهم من أهل العقل والاتزان .. يقول الله تعالى : **« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما ، وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا »** (٥ : النساء) .

وإنه بحسب المال فى شريعة الاسلام تكريما ، وتقديرا أن يضاف الى الله تعالى ، إذ يقول سبحانه : **« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم »** (٣٣ : النور) وان يجعله سبحانه وتعالى فى مقام الجهاد فى سبيله ، على كفة ميزان سواء مع الجهاد بالنفس .. إذ يقول جلّ شأنه : **« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة »** (١١١ : التوبة) .

فهذه كلها أمور تتعلق بالمال ، وبسياسته فى أيدى الجماعات والأفراد فى الأمة الاسلامية ، وما يتعلق به من حقوق لله وللناس فيه ، ولا يمكن أن يكون لهذه السياسة التى رسمتها الشريعة الاسلامية للمال ، لا يمكن أن يكون لها مكان فى مجتمع لا يعرف المال ، ولا يملك الكثير منه !

٥ — وقد أشرنا من قبل الى أن غريزة حبّ التملك من أظهر الغرائز وأقواها فَعَّالية فى الإنسان ، وإنه لن يُشبع الانسان هذه الغريزة أبدا ، ولا يقدر على أن يوقف اندفاعها وجَرْيها اللاهث وراء المال ، إلا بدعوة من عقل حكيم ، أو توجيه من شريعة سماوية ، توجِّه جانبا من غريزة حبّ التملك ، الى ما وراء هذه الحياة الدنيا ، وذلك بالعمل الصالح للآخرة ، وما ينال فيها الصالحون من رضوان الله ، والنعيم فى جنّاته ..

والإنسان ، لا يتجه بقوته الى التملك ، ولا يعمل له ، إلا اذا أمِنَ على ما يملك ، واطمأنّ الى أن ما يجنيه من سعيه وكدّه ، فى ضمان من أن يَعْتَدِىَ عليه مُعْتدٍ ، أو تمتد اليه يد غيرُ يده ، أو يدِ ولده وورثته من بعده .. وقد تكفّلت الشريعة الاسلامية باقرار هذا الشعور فى الانسان ، الذى يضمن به جَنْىَ ثمار أعماله ، وحفظها من أىّ عدوان يقع عليها ، سواء فى الدنيا أو فى الآخرة ..

اما فيما يعمله الانسان ، من صالح الأعمال التى يدخرها للآخرة ، فهو فى ضمان الله سبحانه وتعالى ، حيث يقع فى يقين المؤمن بالله — بما لا يتلبس به اى شك — انه سيجد ما عمل لهذا اليوم حاضرا بين يديه ، وانه سيجزاه الجزاء الأوفى ، والله سبحانه وتعالى يقول : « **وان ليس للإنسان إلا ما سعى ، وأن سعيه سوف يُرى ، ثم يجزاه الجزاء الأوفى** » (٣٩ — ٤١ : النجم) . ويقول تبارك اسمه : « **فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** » (٧ — ٨ : الزلزلة) .

وأما فيما يعمله الانسان لدنياه ، ويدخره لغده ، أو لورثته من بعده ، فقد تواضع الناس فيما بينهم ، على احترام ملكية المالك لما يملك ، وعلى حمايته من العدوان عليه ، ورصد العقاب الرادع لمن يمدّ يده الى ما فى حوزة غيره .. ففى ذلك خير لهم جميعا ، وإطلاق لطاقاتهم الجسدية والعقلية للعمل ، الذى يضمن لكل عامل ثمرة عمله ..

ولكن مع هذا ، فانه ما أكثر ما يبغى الناس على الناس ، وما أكثر ما تلد الحياة من أشرار يجدون منافذ كثيرة من حراسة القانون الوضعى التى أقامها المجتمع الإنسانى لحماية الملكيات ، فيتسللون منها الى العدوان على أموال الناس ، وأكلها بالباطل ، بصور شتى ، من الغصب ، أو السرقة ، أو الغش ، أو الاحتيال ، الى غير ذلك مما يجرى فى حياة الناس من جرائم تتعلق بالأموال ..

٦ — لهذا اقتضت حكمة الشريعة الاسلامية ، أن تتدخل فى هذا المعترك ، وان تدخل على الناس فيه ، بما يُعينهم على التزام الطريق المستقيم الذى تدعوهم اليه الفطرة السليمة ، ويحملهم عليه ناموس الجماعة ..

فكان من هذا ما جاءت به الشريعة من آدابها وأحكامها ، وما رصدته من عقوبات زاجرة فى الدنيا والآخرة ، لمن يخرجون على تلك الآداب وهذه الأحكام ..

والتربية السليمة الناجحة هى التى تقيم فى النفس وازع الضمير ، الى جانب وازع السلطان ، الذى يقيمه المجتمع ، بقوانينه وقوته المنفذة له ، أو الذى يقيمه الشرع بما شرع من حدود وقصاص ، يقوم بتنفيذها ولىّ الأمر القائم على جماعة المسلمين .. فاذا غفل وازع الضمير أو ضعف ، كان من وازع السلطان الوضعى أو الشرعى ، ما يسدّ النقص الحادث من غفلته أو ضعفه ، وإذا غفل وازع السلطان أو ضعف ، كان من وازع الضمير ما يقوم مقامه الى أن ينتبه أو يقوى ..

٧ — وفى المال ، وحراسته من عدوان المعتدين ، جاء الاسلام اليه بالوازعين معا ، وازع الضمير ، ووازع السلطان ، واقامهما على حفظه وسلامته من أى بغى أو عدوان ، حتى يؤدى وظيفته فى الحياة ، ويجرى فى مجراه الطبيعى الذى لا تعترضه سدود أو معوّقات ..

فأما وازع الضمير ، فقد جعل السبيلَ الى إقامته فى النفوس ، التربية الروحية ، بما تحمل الشريعة الغراء الى أتباعها من عبادات افترضها الله تعالى على المؤمنين ، من صلاة ، وزكاة ، وصوم ، وحجّ ، وهى عبادات ، يومية ، يؤديها المسلم مرات كل يوم .. كالصلاة ، أو سنوية .. كالصوم والزكاة ، أو مرة فى العمر كالحج ، بمعنى انه لا يمرّ يوم دون أن يقف المسلم بين يدى ربّه مرات ، يذكره ، ويناجيه ، ويراجع صحيفة أعماله فيما بين اللقاء واللقاء ، وفى هذا ما فيه من غسل قلب المسلم وتطهيره من دنس المنكرات ، ووساوس السوء .

ولو أن المسلمين أدوا هذه العبادات على ما ينبغى لها من جلال وخشوع ، ومن استحضار عقول وقلوب ، لكان لهم منها دواء لكل داء ، ووقاية لهم من

تلك الآفات المهلكة التي باتت ترعى كل صالحة في افرادهم وجماعاتهم ..

فقد نهى الإسلام عن اكل أموال الناس بالباطل ، كالغش ، والخداع ، والتطفيف في الكيل والميزان ، والادعاء الكاذب على الناس ، والاحتماء بجاه ذوي الجاه والسلطان ، في العدوان على حقوق الغير .. فيقول سبحانه : « **ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم او وزنوهم يخسرون .. الا يَظُنُّ أولئك أنهم مبعوثون ، ليوم عظيم ، يوم يقوم الناس لرب العالمين** » (١ ــ ٦ : المطففين) ويقول جلّ شأنه : « **ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم ، وأنتم تعلمون** » (١٨٨ : البقرة) ويقول تبارك اسمه : « **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً ، إنما يأكلون في بطونهم نارا ، وسيصلون سعيرا** » (١٠ : النساء) الى كثير من الآيات التي تحذرهم من العدوان على حقوق الناس ، وتتوعد الذين لا ينتهون عمّا نهى الله تعالى عنه ، بالبوار في الدنيا ، والعذاب الأليم في الآخرة ..

ومن جهةأخرى ، فقد دعا الاسلام الى البر والاحسان ، والانفاق من الاموال على ذوي القربى ، واليتامى ، والمساكين وابن السبيل ، والغارمين ، وفي سبيل الله .. ووعد المحسنين المنفقين ، بنَماء الأموال ، وعظيم الثواب ، اذ يقول سبحانه : « **وما انفقتم من شيء فهو يُخلِفُه وهو خير الرازقين** » (٣٩ : سبأ) ويقول : « **مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم** » (٢٦١ : البقرة) ويقول : « **وما آتيتم من ربا ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله ، وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله ، فاولئك هم المضعفون** » (٣٩ : الروم) .

ثم الى جانب هذا الوازع الديني الذي من شأنه ان يقيم في ضمير المؤمن سلطانا يزعه عن العدوان على حقوق الناس الى جانب هذا الوازع أقام الاسلام وازعا وراء هذا الوازع الديني ، يسانده ، أو يقوم مقامه عند غيابه ، أو انكماش ظلّه ، وذلك بما رصد من عقوبات رادعة ، جعلها في يد وليّ الأمر القائم على شئون المؤمنين ، ليأخذ بها المعتدين على حرماتهم من دماء وأموال وأعراض ..

٨ ــ واذا كان حديثنا هنا عن حد السرقة ، وما امر به الاسلام من قطع يد السارق ، فإنا نقول ان صور العدوان على المال لا تنحصر في السرقة وحدها ، فهناك الى العدوان بالسرقة ، عدوان بالغصب ، والجور في الحكم ، وفي الغش والخداع ، وفي التطفيف في الكيل والميزان ، وفي جَحد الدين الذي ليس في يد صاحبه بيّنة على المَدين .. الى غير ذلك ، مما يُضيِّع على الانسان شيئا من حقوقه المالية ، أيا كان قدرها ، وأيا كانت الوسيلة التي ذهبت بهذا الحق !

ويلاحظ ان الاسلام لم يحدد عقوبة معلومة المقدار والكيفية الا لجريمة السرقة ، وهي قطع يد السارق .. يَدِهِ اليمنى من الرسغ ، متى استوفت الجريمة اركانها ، كما سنتبين ذلك بعد ..

وليس معنى هذا أن الاسلام أغفل الصور الأخرى لجرائم العدوان على الأموال واكلها بالباطل ، بلْ إنه جعل لولي الأمر تقدير العقوبة الرادعة المناسبة لكل صورة من صور العدوان على الاموال ، والتي لا تكاد تضبط صورها ، وذلك فيما يُعرف في لسان الشريعة الغراء باسم « التعزير » الذي تتعدد صور العقوبة فيه ، حسب تعدد صور العدوان ، وملابسات الظروف والأحوال لكل صورة ، فقد

يكون « التعزير » بالحبس ، أو الضرب ، أو الزجر ، ونحو هذا ..

بل إن الإسلام جعل للعدوان على الأموال فى صورة السلب والنهب الجماعى ، أو الفردى ، الذى يعتمد فيه المعتدون ، على القوة التى تخيف الناس ، وترهبهم — جعل الاسلام لهذه الصورة من العدوان عقابا يتناسب مع شناعته وبشاعته ، إذ يقول سبحانه : **انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ، ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتّلوا او يصَلبوا ، او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ، او ينفوا من الأرض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ، الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم ، فاعلموا أن الله غفور رحيم** (٣٣ — ٣٤ : المائدة ..

فقد عد الله سبحانه وتعالى هؤلاء الذين يروعون الآمنين فى أموالهم وأنفسهم ، محاربين لله ورسوله ، ساعين فى الأرض فسادا ، فكان جزاؤهم هذا الجزاء الذى يلْقَوْن فيه الموت على تلك الصورة ، التى يعاملون فيها معاملة الحيوان فى ذبحه ، وصلبه ، وتقطيع أوصاله .. إنهم اعتدوا على آدمية الآدميين ، فكان جزاؤهم أن تسلب منهم الآدمية ، وان ينزع عنهم ثوبها ..

٩ — وقد اتخذ أعداء الإسلام من حد السرقة الذى أوجبته الشريعة الغراء ، من قطع يد السارق — اتخذوا من هذا مدخلا يدخلون منه الى الطعن فى الاسلام، وفى التشنيع عليه ، والتنفير من الانتساب الى شريعة بدائية ، إن كان فى الناس من يرضى بالانتساب اليها ، والتعامل بأحكامها ، فلن يكون إلا أولئك الذين يعيشون فى الكهوف والأدغال ، أو يهيمون فى متاهات الصحارى والقفار ، حيث لا يبعد الانسان هناك — فى تصورهم — عن عالم الحيوان الذى لا يتعامل الا بالظفر ، والمخلب والناب !!

وكذب هؤلاء المدعون على الاسلام هذه الدعوى الفاجرة الآثمة ، وضلوا ضلالا بعيدا .. فما الاسلام الا شريعةُ الانسانية الرشيدة السليمة ، التى يخدش ضميرها ما يخدش الضمير الحى السليم ، وما شريعة الاسلام الاشريعة الانسانية فى أعلى منازلها واسمى مقاماتها واكرم مواقعها ، وما المنبت الذى غرست فيه الشريعة الاسلامية مغارستها الا أطيب المغارس وأكرمها جوهرا وأصفاها واعذبها موردا ، والله سبحانه وتعالى فى نبى هذه الشريعة ، وفى أهلها الذين نزلت كلمات الله تعالى بلسانهم ، وفى موطنهم الذى طلعت من افقه انوار كلمات الله — يقول سبحانه : « **الله أعلم حيث يجعل رسالته** » (١٣٤ : الانعام) .

لقد قدّر هؤلاء الذين يَتَجنَّوْنَ على الاسلام ، أن الحياة ستشهد من المجتمع الذى تمضى فيه هذه العقوبة — آدميين قد شوهت صورهم بهذه الأيدى التى زايلتها اكفها ، وبانت عنها معاصمها ، ووقع فى حسابهم أنه لو قطعت أيدى كل هؤلاء الذين تضمهم السجون من اللصوص ، لكانوا أعدادا كثيرة ، تقذى بمرآهم العيون ، وتنفر من النظر اليهم النفوس ، حين يَسْعون بين الناس وهم يحملون هذا العار الذى ينادى عليهم بالفضيحة والخزى ، فلا يجدون — وتلك حالهم — من يطمئن اليهم ، أو يتعامل معهم ، واذا هم حرب على الناس فى غير مبالاة ، ولا حرج !

هكذا، تبدو الصورة فى تصور هؤلاء الذين يلقون بالتهم جزافا فى وجه الاسلام ، والذين ينكرون عليه أن تحمل شريعته حكما بقطع يد السارق ، والذين يرون فى هذا إهدارا لآدمية الانسان ، وعزلا له عن المجتمع الانسانى ، والمناداة عليه بين الناس بأن هذا سارق ، وهذه وثيقة اتهامه ، وشاهد جريمته ، تنطق بها يده المقطوعة !!

وهذا نظر قاصر ، وتقدير خاطىء ، لا يكون إلا من غافل جاهل ، أو مفتر مضلل .. ذلك انه لو أقيم حد السرقة كما شرعه الاسلام وأوجبه ، لما كان هذا العدد الكبير من المشوهين ، كما تصوره هذا الخيال المريض ، ولما كانت تلك الأعداد الكثيرة من اللصوص الذين يحترفون السرقة ، ثم يتحولون بعدهـــا الى قُطّاع طرق !!

ولا نذهب بعيدا .. وحسبنا أن نشير بالإصبع الى الجزيرة العربية ، وكيف قضت فيها تلك العقوبة قضاء يكاد يكون تاماً على جريمة السرقة التى لا يكاد يظهر لها وجه هناك الا فى أحوال نادرة ، وفى أزمان متطاولة ، حتى لقد يمضى العام دون أن يضبط سارق يقام عليه الحد هناك ..

هذا ما فعلته تلك العقوبة الحكيمة التى نزلت بها الســماء لتكون شِفاء للانسانية ووقاء من اخطر داء يهدد أمن الناس وسلامتهم ، ويعوّق مسيرة سعيهم فى الحياة ، ويغتال ثمرة كدهم وجهدهم ..

ثم فى اى موقع كان هذا الأثر العظيم لتلك العقوبة ؟ الم يكن فى ابعد بقاع الأرض من أن يُضبط فيها أمن ، أو يحفظ فيها نظــام ؟.. صــحراء متراميــة الأطراف ، يضلّ فيها القطا ، ويجد أصحاب التهم فى أغوارها ، وسهولها ، ومغاراتها ونجودها ، ملجأ يلجئون اليه ، وحمى يحتمون به ، دون أن تراهــم عين ، أو تمتد اليهم يد ؟

ثم مع من من الناس كان لهذه العقوبة ردعهم وزجرهم ، وقتل منازع هذا الشر فى نفوسهم ؟ الم يكن مع أعراب البادية ، الذين هم أجرأ من العقبان ، واشد فتكا من النسور ؟

إن ذلك كله كان بوازع السلطان ، عند أولئك الذين لا سلطان لوازع الدين عندهم .. فماذا قــام فى كيان إنسان هــذان الوازعــان : وازع الدين ووازع السلطان ، اتراه يكون يوما ممن يمــدّ يده الى سرقــة مال غيره ؟ ذلك بعيد ، بعيــــد !!

هذه لا شك تجربة عملية قائمة فى الحياة اليوم ، تشهد للاسلام بأنه دين الله ، وأن ما جاء به من احكام هو من عند الله العزيز الحكيم ..

هذا ، على حين تحمل الينا الأنباء كل يوم فيضا من هذه المآسى التى تقع فى امريكا ، والتى يعانى منها هذا المجتمع ، الذى يقــال عنه انه يقــود ركب المدنية والحضارة فى هذا العصر !!

إن إنساناً هناك لا يأمن على نفسه فى ليل او نهار ، وفى منزله أو خارج منزله — من أن يلقاه من يُشهر فى وجهه السلاح ، ويسلبه كل ما معه ، على مرأى ومسمع من الناس ، ثم ان هو فكر لحظة فى أن لا يستجيب لما يطلب منه ، تلقّى فى الحال طعنة خنجر من أكثر من يد من تلك الأيدى المحدقة به !!

هذا ما يتعرض له أكثر الذين يسيرون فى الطرقات ، من نساء ورجال .. أما التهجم على البيوت ، والغارات على المحال العامة والمصارف ، فيكاد يكون أمرا مألوفا متوقعا أن يحدث فى أية لحظة ، فى أى بيت ، وفى أى مصرف ، أو مصنع أو متجر !

إن هؤلاء الذين يعانى منهم المجتمع الأمريكى اليوم ، هم لصوص ، تحولوا الى قطاع طرق ، بعد أن عجزت عقوبة السجن المرصودة هناك لجريمة السرقة ، عن أن تَرْدَعهم ، وتَشُلّ أيديهم عن معاودة العدوان على أموال الناس مرة ، ومرة ، ومرات ، حتى صارت تلك عادة ملازمة لهم ، جارية فى دمائهم ..

ولو أن امريكا أخذت بحكم الاسلام فى قطع يد السارق ، وبالتنكيل بقطّاع الطرق ، وقتلهم بتلك القتلة الشنعاء ، لاختفى وجــه أولئــك الذين يستخفون

بحرمات الناس فى اموالهم ودمائهم .. ولا نحسب ان الأمر سيطول بالقوم هناك ، حتى يجدوا — بعد طول التفكير والتقدير — أنه لا دواء لهذا الداء إلا ما جاء به الاسلام ..

١٠ — ثم إنه لا بأس — بعد هذا — من أن نلفت اولئك الذين يتهجمون على الاسلام ، ويعدون عقوبة القطع فى السرقة جناية من جناياته على الانسان ، وردة بها الى الوحشية والهمجية — لا بأس من أن نلفتهم الى ما جهلوه ، أو تجاهلوه من هذا الأمر ، وانخدع بهم كثير من ابناء الاسلام ، الذين ينتسبون إليه بأسمائهم ، كما ينتسب اللقطاء الى غير آبائهم !!

فاولا : انه إذا كانت المدنية الغربية قد استخفت بجريمة السرقة ، حتى لقد استباحت سرقة الأمم والشعوب ، ونهب ثرواتها ، وامتصاص ثمرة عمل ابنائها — فإن الإسلام الذى يرعى حرمات الانسان ، فى ماله ، وعرضه ودمه — لا يستخفّ بهذه الجريمة ، بل يضعها موضعها بين الجرائم الغليظة المنكرة ، ولا تأخذه رحمة فيمن لا يرحم الناس ، وهو بَعْضٌ منهم ، وعضو فيهم ، والله سبحانه وتعالى يقول : **« ولولا دفع الله الناس بعضَهم ببعض لفسدت الأرض ، ولكن الله ذو فضل على العالمين »** (٢٥٢ : البقرة) .. وهذا الحدّ الموجِب لقطع يدِ السارق ، هو مما يدفع الله به الناسَ بعضهم ببعض ، وهو من بعض فضله على عباده ..

وثانيا : جعل الإسلام حكم هذه العقوبة ، عامًا ، ينزل على حكمه الناس جميعا ، خواصهم وعوامهم ، اغنياؤهم وفقراؤهم ، حكامهم ومحكوموهم .. فمن سَرقَ ، وثَبَتَتْ عليه السرقة ، وجبَ قطعُ يده ايًا كان مكانه فى المجتمع ، وايًا كانت منزلته بين الناس ..

روى انه فى زمن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، اتهمت امراة من بنى مخزوم — قبيلة خالد بن الوليد — بالسرقة ، فلما ثبتت عليها الجريمة ، أمر النبى بقطع يدها ، وكان أول حكم يقع على امراة فى الإسلام .. وقد فزع بنو مخزوم لهذا العار الذى سينالهم من هذا الذى سيجرى على امراة من اشرافهم ، فجاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأكثر من شفيع من أصحابه المقربين إليه ، يشفعون عنده لهذه المراة ، فردّهم الرسول ، منكرًا على كل واحد منهم ما طلبه منه ، بقوله : **اتشفع فى حدّ من حدود الله ؟ »** ثم دعا المسلمين ، وخطبهم قائلا : **« ايها الناس ، إنما أهلك من كان قبلكم انهم كانوا اذا سَرقَ الشريفُ فيهم تركوه ، واذا سَرقَ الضعيف فيهم اقاموا الحدّ عليه ، والذى نفسى بيده ، لو ان فاطمة بنت محمد سرقت ، لقطع محمد يدها . »**

وبهذا العدل المطلق ، والمساواة العامة المطلقة فى إقامة حدود الله ، تجد النفوس احتراما ، ونزولا — فى رضى — على حكمها ..

وثالثا : من التدبير الحكيم فى الشريعة الإسلامية ، وفى إقامة احكامها على الحكمة والرحمة معا ، انها لم تجعل قطعَ يدِ السارق مطلقا ، فى اى سرقة ، ومن اى سارق ، دون نظر الى الظروف والأحوال المتلبسة بالسارق حين سرق ، وبالشىء الذى سرقه ، بل جعلت لذلك كله شروطا اذا توافرت ، وجب القطع ، والا كان التعزير بالحبس ، أو الضرب ، أو نحو هذا ، بدلا من القطع .. وذلك :

١ — أن يكون المسروق شيئا ذا قيمة ، اى له اعتبار فى حياة الناس الاقتصادية ، وفى قوته الشرائية ، وقد كان ذلك مقدّرا فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم بربع دينار فصاعدا ، كما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها ،

ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : ((**تُقطع اليدُ فى ربع دينار فصاعدا**)) ، (صحيح مسلم) .. وهـذا النصاب الموجب للقطع يقـدّر فى كل زمان ومكان بحسب قيمته ، بالنسبة لعصر النبوة ..

٢ ــ أن تقع السرقة فى مال محروز ، اى محفوظ فى حرز ، فالمال الضائع من صاحبه ، أو المتروك فى طريق عام من غير حراسة ، والثمرُ الذى يكون فى الشجر ، بلا حـائط ، والماشية المرسـلة ، من غير راع ، ونحـو هـذا ، لا قطع فيه ،ولكن يُعَزّر سارقه ، ويُضاعف عليه الغُرم ، اى يردّ المسروق ، ومثلهُ معه ..

٣ ــ ما اخذ بالفم ــ اى لأكله ساعة اخذه ــ من ثمر على شجر ، ولم يحمل منه شىء ، لا قَطْعَ فيه ، ومن احتمل شيئا غير ما أكل ، فعليه ضعف ثمنه ، ويُضرب نكالا له ، وزجرا لغيره ..

٤ ــ السرقة فى أوقات المجـاعات ليس فيها قطع ، وتدخـل فى باب التعزير ..

٥ ــ وهناك احوال وظروف ، يراهـا ولىّ الأمر ، ويقدرهـا فى كل من السارق ، والمسروق ، فتكون شبهة يد رأبها الحدّ ، فلا يقطع يد السارق ، وإن جاز أن يعزره ..

فقد روى عن أميّة المخزومى ، رضى الله عنه ، قال : ((**اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلص قد اعترف اعترافا كاملا ، ولم يوجد معه ما سرقه ، فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم ، ما إخالك سرقت ! قال : بلى ، فاعاد عليه النبى مرتين او ثلاثا ، فامر به فقطع ، وجىء به ــ بعد القطع ــ الى النبى ، فقال له : استغفر الله وتب اليه ، فقال : أستغفر الله وأتوب اليه ، فقال نبى الرحمة : اللهم تب عليه ، اللهم تب عليه ، اللهم تب عليه ..**)) (بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، لابن حجر) .

وقد درأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الحد ، عن عبد من مال الصدقة سرق من مال الخمس ــ اى خمس الغنائم ــ وقال الرسول الكريم : ((**مال الله ، سرق بعضه بعضا**)) (زاد المعاد ، فى هدى خير العباد لابن القيم) .

٦ ــ يجوز لصاحب المال المسروق اذا ضبط السارق أن يعفو عنه ، قبل أن يصل الأمر الى القضاء ، وفى العفو تأديب للسارق ، وإفساح الطريق له الى التوبة ، واستنقاذ نفسه من الهاوية التى تردى فيها .. أما اذا وصل الأمر إلى الحاكم فلا مكان لعفو المسروق منه اذ خرج الأمر من يده وصار الى يد ولى الأمر فقد روى ان النبى صلى الله عليه وسلم ، قال لصفوان بن أمية ، وقد جـاءه ليشفع فيمن سرق رداءه ، ((**هلا كان ذلك قبل أن تاتينى به ؟**)) (بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، لابن حجر) .

وهكذا يجتمع فى حد السرقة ، التأديب الزاجر ، مع الرحمة القائمة على الحكمة والعدل ، بما لا يمكن لأى قانون وضعى أن يُمسك بهذا الامر طرفيه على هذا النحو ، أو ان يجد شيئا جديدا يضيفه اليه ، مهما اجتهد الباحثون ، ومهما بالغ المصلحون فى تحرى المصلحة العامة للمجتمع ، ودفع عوارض التصـدع لبنيانه ، ورد عوادى الشر عن اهله .. وفى مسيرة الأيام ، وفى مجرى احداثها ، ما يكشف .. ان عاجلا أو آجلا .. عن الصدق المطلق ، لكل آية من آيات الكتاب الكريم ، ولكل كلمة من كلماته ، وكل حرف من حروفه ، وانه منزل من عـالم الحق ، ((**لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، تنزيل من حكيم حميـد**)) (٤٢ : فصلت) .

هذا ، والى عدد تال ان شاء الله ، لنلتقى بالحد الشرعى لشارب الخمر ، وبالله العون والتوفيق .

حول قياس الزمن

للدكتور محمد جمال الدين الفندى

نبذة تاريخية :

قاس الانسان منذ القدم الزمن ، واستخدم فى سبيل ذلك ظواهر طبيعية تتكرر بانتظام مثل تعاقب الليل والنهار ، ومثل أوجه القمر ، وتعاقب الفصول .. وعلى هذا الاساس استنبط عدة وحدات هى اليوم والشهر والسنة .. وهى على التوالى ناجمة عن دوران الارض حول محورها ، ودوران القمر حول الارض ، ثم دوران الارض حول الشمس ..

وفى الحقيقة اختلف تعريف السنة باختلاف طريقة قياسها عند مختلف الشعوب . فهناك سنون قمرية ، وأخرى شمسية . وهناك أيضا تقويم الشرق الاوسط السريانى وهو شمسى وضعه فى الأصل أحد قواد الاسكندر الاكبر ثم صحح حديثا ليساير التقويم الميلادى الجريجورى .

وتعرف السنة القمرية بأنها المدة التى خلالها يكمل القمر دورته الشهرية المعروفة اثنتى عشرة مرة ، ومقدارها ٣٥٤ ٣٦٦/١٠٠٠ يوما .

والتقويم الهجرى أو الاسلامى يقوم على أساس الشهور القمرية ، كما أمر بذلك سيدنا عمر بن الخطاب . وهى : محرم ـ صفر ـ ربيع الأول ـ ربيع الثانى ـ جمادى الأولى ـ جمادى الآخرة ـ رجب ـ شعبان ـ رمضان ـ شوال ـ ذو القعدة ـ ذو الحجة .

ومما هو جدير بالذكر أنه يمكن تحديد هذه الشهور برصد أوجه القمر فى السماء وهى تمر تباعا أمام انظارنا .

أما التقويم الشمسى فأساسه السنة التى تستغرقها الارض فى سبحها من حول الشمس لكى تعود الى نفس الوضع الذى كانت عليه فى السنة السابقة . وكان المفهوم عند الأقدمين أن تلك السنة تساوى ٣٦٥ر٢٥٠ يوما على التمام ، الا أنه اتضح أن السنة الشمسية قوامها ٣٦٥ر٢٤٢ يوما بدلا من ٣٦٥ر٢٥٠ يوما ، أى بفرق قدره نحو ١١ دقيقة فى السنة .

ولما كانت السنة الميلادية هى سنة شمسية تبدأ من ميلاد عيسى عليه السلام ، فقد نجم عن هذا الفرق الذى يساوى ١١ دقيقة فى السنة ، انه فى عام ١٥٨٢ ميلادية ، فى عهد البابا جريجور الثالث عشر ، أن تراكمت



فترة زمنية قدرها عشرة ايام . ولذلك اصدر البابا قرارا بجعل ٥ اكتوبر عام ١٥٨٢ ميلادية هو يوم ١٥ أكتوبر ، وذلك هو اساس الحساب الجريجورى للشهور : يناير — فبراير — مارس — ابريل — مايو — يونيو — يوليو — اغسطس — سبتمبر — أكتوبر — نوفمبر — ديسمبر .

وبطبيعة الحال لا تمثل هذه الشهور اشارات واضحة فى السماء مثل اوجه القمر التى تحدد معالم الشهور القمرية ، ولكن جرى العرف على تقسيم السنة الشمسية الى ١٢ شهرا .

وحدث ان جاء العرب الى رسول الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم وسالوه عن سر أوجه القمر ، أو الأهلة وتزايدها الى البدر ثم تناقصها الى المحاق . فلفت القرآن انظارهم مشيرا الى أن هذه من ظواهر قياس الزمن ، وقال فى سورة البقرة آية (١٨٩) :

« يسالونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج » .

وقال عن هلال شهر رمضان فى سورة البقرة آية (١٨٥) :

« فمن شهد منكم الشهر فليصمه » .

وكان من عادة المسلمين تحريم الحرب والقتال خلال الاشهر الحرم : وفى هذا المعنى يقول القرآن الكريم فى سورة المائدة آية (٢) :

« يأيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام » .

والاشهر الحرام هى : محرم — رجب — ذو القعدة — ذو الحجة .

قياس الزمن :

يقاس الزمن عن طريق التكرار المنتظم لبعض ظواهر الطبيعة . والظاهرة المثلى التى تؤدى هذا الغرض هى ظاهرة دوران الارض حول محورها . ولقد استغل الانسان تلك الظاهرة منذ القدم فى حساب الزمن كما قلنا .

ويعتبر الفلكيون الفترة المحصورة بين عبورين متتاليين لنقطة بالذات على الكرة الارضية هى اليوم النجمى ويساوى ٢٤ ساعة على التمام الا نحو ٤ دقائق .

اما نحن فى حياتنا العادية فاننا نستخدم اليوم الشمسى . والمقصود به الفترة من الزمن اللازمة لعبورين متتاليين لشمس متوسطة على خط الزوال ، وقد قسم الى ٢٤ ساعة . ولكن الشمس الحقيقية تارة تبدر وتارة تؤخر بسبب عدم انتظام او عدم تساوى سرعة دوران الارض من حول الشمس ، كما أن مستوى المدار يميل على مستوى الاستواء السماوى .

ويختلف اليوم المدنى باختلاف البلاد ، الا أنه يبدأ من منتصف الليل ، بينما يعتبر الفلكيون أول اليوم هو عندما تمر الشمس بخط الزوال ، أى عند الظهر الحقيقى ، بينما يبدأ اليوم عند المسلمين من لحظة غروب الشمس .

ويقسم اليوم المدنى الى ٢٤ ساعة . واستخدم الأقدمون الساعات المائية والساعات الرملية فى قياس الزمن طوال اليوم . والساعة المائية أو الرملية هى ببساطة عبارة عن وعاء خاص يوضع فيه الماء أو الرمل وله ثقب صغير فى أسفله يتسرب منه الماء او الرمل بمعدل ثابت ، بحيث أن ما ينساب منه فى فترات متساوية يكون متساويا كذلك .

اما المزاول الشمسية فهى ايضا فى ابسط صورها عبارة عن عمود راسى أو شاخص يعرض لأشعة الشمس بحيث يبين طول الظل الممدود لهذا العمود ساعات النهار فى أى مكان . وعندما يصل طول الظل اقل قيمة له تكون الشمس بطبيعة الحال فى الزوال أو تمر على خط الزوال وهو منتصف النهار . ولا يكون طول الظل صفرا الا فى حالات تعامد الشمس فوق الرؤوس ، أى مرورها بسمت الراس . وهذه الحالة لا تتوافر الا اذا كان المكان بين خطى عرض ٢٣١/٢ درجة شمالا وجنوبا ، وتشاهد مرتين فى العام اثناء حركة الشمس الظاهرة تجاه الشمال والجنوب .

واستخدم العرب المزاول الشمسية ، خصوصا الميقاتيون من العرب ، أى الذين اختصوا بتقدير الزمن ، للتعرف على أوقات الصلاة بدقة تامة مثل الخليلى وابن الشاطر وابن يونس المصرى وغيرهم .

وللمزاول الشمسية عدة أشكال ، منها ما هو على هيئة عمود راسى يقام فوق سطح الارض كما قدمنا . ومنها المملول الذى يتجه نحو القطب الشمالى بزاوية ميل على سطح الارض تساوى خط عرض المكان . ويكون الظل الممدود الذى تحدثه أشعة الشمس على سطح الارض خلال حركتها اليومية متحركا حركة منتظمة ويعين الزمن وفقا لتدريجات خاصة على المزولة لساعات النهار . ويميل وتر المثلث على الأفق بزاوية تساوى خط عرض المكان .

والشمس المتوسطة التى سبق أن ذكرناها هى شمس تمشى ظاهريا بسرعة منتظمة حول الارض فى مستوى خط الاستواء . وهذه الشمس تضبط تبعا لها الاوقات المدنية ، ويعدل الزمن بعد ذلك فى أى مكان ، ويكون تعديل الزمن هو الفرق بين زمنى الشمس الحقيقية . والشمس المتوسطة أو الخيالية هذه التى نقيس بها الزمن المدنى .

المناطق الزمنية :

تدور الارض حول محورها امام الشمس ، وبذلك يظل نصف منهـا يضيء بضوء النهار بينما يظل النصف الآخر البعيد عن الشمس مظلما ، اى يخيم عليه ظلام الليل .

هذه حقيقة من الحقائق العلمية الثابتة ، والحقيقة الاخرى أن المناطق المنيرة لتعرضها لضوء الشمس تتغير ، وبالمثل تتغير كذلك المناطق المظلمة التي لا تواجه الشمس بمضي الوقت وباستمرار دوران الارض حول محورها مرة كل ٢٤ ساعة أو كل يوم .

وبديهى أنه عندما ينتصف النهار فى مكان ما على خط طول معين يكون المكان المقابل له تماما على الجانب الآخر أو على خط الطول المقابل للـكرة الارضية فى منتصف الليل .

وواضح أن الزمن أو الوقت من النهار يتدرج على سطح الارض من خط طول الى آخر ، بحيث أن الظهر أو انتصاف النهار فى المكان المختـار يتدرج الى العصر ، فالمغرب ، فالعشاء ، فمنتصف الليل فى المكان المقابل ، فالفجر ، فالصبح ، فالضحى ، ثم الظهر عند نقطة الابتداء .

وليس من السهل أن نضبط ساعاتنا التى معنا كلما انتقلنا من خط طول الى آخر . ولو أننا فعلنا ذلك لوجب أن تسبق الساعات التى فى شرق اى اقليم أو قطر مثيلاتها من الساعات التى فى غرب الاقليم .

ومن أجل توفير الجهد لجأ العلماء الى تقسيم سطح الارض الى ٢٤ منطقة زمنية بعدد ساعات اليوم كما تحددها خطوط الطول . وكل منطقة تتحد فى زمن معين هو الزمن الرئيسى للمنطقة .

والزمن الرئيسى هو الزمن الذى يتبع الشمس فقط عند خط الطول المركزى للمنطقة ، بينما الاماكن التي بالقرب من حدود تلك المنطقة يختلف وقتها الرئيسى عن وقت الشمس بمقدار نحو نصف سـاعة . وبديهى أن مواقيت صلاة الظهر والعصر مثلا انما تحدد بوقت الشـمس فى أى مكان وليس بالوقت الرئيسى .

وعندما نقسم سطح الارض كله على عدد المناطق الزمنية ، نجد أن كل منطقة يخصها ١٥ درجة من خطوط الطول هي خارج قسمة ٣٦٠ درجة على ٢٤ ساعة ، ومعنى ذلك أن هناك ازاحة قدرها ساعة كاملة لكل ١٥ درجة من درجات خطوط الطول .

وعندما تم رسم الخرائط الجغرافية الدقيقة لسـطح الارض ، اتخذ العلماء خط طول جرينتش نقطة الابتداء أو الصفر دوليـا ، وذلـك فى أواخر القرن التاسع عشر . ونجم عن ذلك أن وقت جرينتش صار يعرف باسم متوسط الزمن فى جرينتش .

وتقع الدول الصغيرة مثل مصر داخل منطقة زمنية واحدة . ولكن يتغير ذلك فى الاقطار الكبيرة ذات المساحات الواسـعة ، مثل الولايات المتحدة

الروسية ، او الولايات المتحدة الامريكية ، حيث يمكن ان يضم القطر الواحد اكثر من عشرة مناطق زمنية . وقد عملت محاولات لادخال عدة دول داخل ارتباط زمنى وثيق . فمثلا ايرلنده تدخل فى نفس المنطقة الزمنية لبريطانيا .

كما يجب أن تلاحظ أنك اذا كنت مسافرا نحو الغرب فعليك أن تؤخر ساعتك من وقت الى آخر ، أما اذا كنت مسافرا تجاه الشرق فيلزمك تقديم الساعة ..

وعندما تكون أوربا فى منتصف الليل حيث انتهى يوم الجمعة مثلا وبدأ يوم السبت ، تكون أمريكا لا تزال فى يوم الجمعة ، بينما آسيا بدأت يوم السبت فعلا . وعلى ذلك فيوم الجمعة فى نصف الارض يقابله يوم السبت فى النصف الآخر . والخط الذى على طوله يتقابل التاريخان يقع فى منطقة تكاد تكون غير مسكونة من العالم هى المحيط الهادى ، ويجرى الخط بين الاسكا وسيبريا ويعرف باسم خط التاريخ الدولى .

التوقيت الشتوى والتوقيت الصيفى :

يميل محور دوران الارض ومستوى معدل النهار بمقدار ٢٣١/٢ درجة على مستوى مسار الارض حول الشمس الذى تقطعه الارض فى سنة كاملة اى نحو ٣٦٥١/٤ يوما .

ونظرا لميل محور دوران الارض حول نفسها بهذا القدر لا تتعامد اشعة الشمس فعلا على خط الاستواء الا فى يومى ٢١ مارس ثم ٢٢ سبتمبر وعندها يتساوى طول الليل والنهار فى كل الارض .

وفيما بعد ٢١ مارس تبدأ الشمس هجرتها الظاهرية نحو الشمال ، فيزداد طول النهار على طول الليل فى نصف الكرة الشمالى ، حتى تصل الشمس مدار السرطان — أو خط عرض ٢٣١/٢ درجة شمالا — وهو أقصى مدى لهجرة الشمس الظاهرية نحو الشمال ، ويكون ذلك فى ٢١ يونيو حيث يتعامد الاشعاع الشمسى على مدار السرطان . ومن ثم تنتقل الشمس ظاهريا صوب الجنوب حتى تتعامد من جديد على خط الاستواء فى ٢٢ سبتمبر ، ثم تستمر فى السير جنوبا حتى تبلغ مدار الجدى — اى خط عرض ٢٣١/٢ درجة جنوبا — فى ٢٢ ديسمبر ، ومن ثم ترجع مرة أخرى وهكذا .

وتبعا لهذا يتغير طول النهار من فصل الى آخر ، فهو فى القاهرة نحو ١٤ ساعة فى الصيف ونحو ١٠ ساعات فى الشتاء . ويصل طول النهار عند خط عرض ٤٠ درجة الى نحو ١٥ ساعة فى الصيف ، وعند خط عرض ٦٦ درجة الى نحو ٤ر٢ شهرا ، وعند الدائرة القطبية ستة شهور .

وينعدم الاشعاع الشمسى عند القطب الشمالى خلال الفترة الممتدة من ٢٢ سبتمبر الى ٢١ مارس ، لأن الشمس لا تشرق هناك خلال تلك الفترة من الزمن . ويكون الاشعاع ظاهرا فى المدة الواقعة بين ٢١ مارس و ٢٢ سبتمبر . وعلى الرغم من وجود هذا الاشعاع فان درجة الحرارة عند القطب تستمر تحت نقطة الجليد طوال الصيف بسبب عظم ميل الأشعة على سطح الارض .

وما التوقيت الشتوى والصيفى الا محاولة أو حيلة يتذرع بها الانسان فى محاولة عمل التوازن بين طول النهار فى الشتاء وطوله فى الصيف .

ولا تتبع الارض فى مسارها من حول الشمس دائرة كاملة بل انها تنطلق سابحة فى مسار على هيئة دائرة مستطيلة ، أو ما يسمى علميا باسم القطع الناقص . وعلى ذلك فان المسافة بين الارض والشمس تتغير بصفة مستمرة فتكون فى يناير (قلب الشتاء عندنا) نحو ١٤٧ مليون كيلو مترا ، كما تكون فى شهر يوليو (قلب الصيف عندنا) نحو ١٥٢ مليون كيلو مترا ، اى بزيادة قدرها نحو ٥ مليون كيلو مترا .

وعلى الرغم من أن الارض تكون فى الشتاء اقرب الى الشمس فى الصيف ، فان درجة حرارة نصف الكرة الشمالى تكون اقل بسبب عظم ميل اشعة الشمس فى الشتاء .

وما من شك أن محاولة عمل توازن بين ساعات الليل والنهار فى كل من الشتاء والصيف له فوائد جمة ، أولها استغلال الوقت للعمل المنتج المثمر . وقديما قيل : « الوقت كالسيف ان لم تقطعه قطعك » . أما مواقيت الصلاة والعبادات فلا دخل لها بهذا التوقيت .

حول توحيد المطالع :

فى ضوء محاولات توحيد المطالع يراعى ما يلى :

١ ــ أن الرؤية* عسيرة جدا ، لأن الهلال يكون قريبا من الافق واستضاءته لا تختلف كثيرا عن درجة استضاءة السماء ، كما أن الضوء المنعكس منه يقطع من الافق مسافات طويلة خلال الغلاف الجوى والعين يعتريها التعب عند مشاهدة هذا الجرم وتلك المواقع .

٢ ــ ظاهرة الميلاد للهلال الجديد . أى عندما يكون القمر فى الاجتماع مع الشمس (الاقتران) ، ظاهرة عالمية ويمكن تحديد مواقيتها بدقة عالية عدة سنوات مقبلة .

٣ ــ ظاهرة غروب الشمس أو القمر ظاهرة محلية تختلف باختلاف الآفاق . والمقارنة بين ظاهرة عالمية وظاهرة محلية تتطلب أولا أن تكون الظاهرتان على نسق واحد . فمن ناحية الغروب اما أن نحدد المكان أو نرتفع بالظاهرة المحلية الى مستوى الظاهرة العالمية باستخدام جميع الآفاق على سطح الارض . وقد يكون ذلك غير سهل أو غير ميسور .

٤ ــ اذا ما تحدد المرجع : الدار البيضاء ــ القاهرة ــ أو مكة .. فالافضل أن تكون الدار البيضاء لانها أقصى البلاد الاسلامية غربا ومن ثم يكون التصحيح الناتج من الرصد أقل قيمة ، بمعنى انه اذا شوهد الهلال فى الشرق فانه يشاهد حتما فى الغرب .

٥ ــ من خلال التجارب الطويلة تبين أن سائر الدول الاسلامية تحدد أوائل الشهور العربية عند أقرب غروب للشمس من مواعيد ميلاد الهلال .

٦ ــ اذا تم ميلاد الهلال الجديد نهارا وكان عمره عند غروب الشمس

---

* يعنى الرصد بالعين المجردة أو بالمناظير الفلكية كما هو مألوف ومعروف .

وراء الافق حوالى ١٤ ساعة فان رؤيته تكون ممكنة لأن مكثه بعد الغروب يستغرق اكثر من ١٢ دقيقة ويمكن رؤيته .

٧ — اذا تم ميلاد الهلال الجديد بعد غروب الشمس فان رؤيته قد تكون ممكنة فى اقصى الآفاق غربا لأنه قد يبلغ عمره حوالى بضع ساعات عند الغروب فى تلك الآفاق .

٨ — لكى نتمكن من توحيد اول شهر الصيام مثلا يجدر بنا اولا ان نصل الى اتفاق مع سائر الدول الاسلامية على الطريقة المثلى التي يمكن أن نتبعها من أجل تحديد مولد هلال هذا الشهر ، وكذلك معنى كلمة (شهد) وهل يمكن ان يتم المعنى باستخدام قوى العقل والعلم .

٩ — اذا تم الاتفاق على الطريقة يصبح من السهل علينا توحيد كل المواقيت ، شأنها فى ذلك شأن الحج .

١٠ — الحساب الفلكى يتضمن المشاهدة باستخدام قوى العقل ، وهو من الطرق المثلى التى لا يتطرق اليها الشك . فالهلال انما يولد فى لحظة واحدة بالنسبة لسطح الارض كله ، ويمكن حساب مدة مكثه فوق الافق بعد الغروب فى كل بلد . ويمكن أن يضع جمهور علماء الدين ما يحلو لهم من شروط فى هذا الصدد ، حتى اذا ما استقر الرأى ، وسويت الخلافات ، وأجيبت الاسئلة ، ودرست كل الاوضاع ، أمكن فى ضوء ذلك كله توحيد المطالع .

الشهر القمرى :

يتم القمر دورة كاملة حول الارض فى ٢٩ يوما ، ١٢ ساعة ، ٤٤ دقيقة ، ٢ر٨ ثانية وهى طول الشهر العربى على التمام . ولكن باستخدام أيام صحيحة (كما هو متبع) نقول أن هناك شهرا طوله ٣٠ يوما وآخر طوله ٢٩ يوما بصفة عامة وذلك للتخلص من الكسور . ولا يلزم أن يكون الترتيب هو ٣٠ ثم ٢٩ يوما على التوالى ، بل قد تتوالى الشهور المتساوية الأيام . وتكمل كسور الثوانى فى الشهر القمرى يوما واحدا فقط كل ٢٥٠٠ سنة .

وعلى اية حال نجد أن متوسط طول السنة القمرية هو ٣٥٤ يوما (يعنى ٢٩٫٥ × ١٢) مع فرق قدره ١١ يوما كل ٣٠ سنة ، بحيث تصبح القاعدة العامة هى : كل ٣٠ سنة تمر ١٩ سنة بسيطة عدد أيام كل منها ٣٥٤ يوما (أى بفرق نحو ١١ يوما عن السنة الشمسية) و ١١ سنة كبيسة عدد أيام السنة منها ٣٥٥ يوما (أى بفرق نحو ١٠ أيام فقط عن السنة الشمسية) .

وعلى هذا النحو يكون مجموع فروق الأيام كل ٣٠ سنة هو ١٩ × ١١ + ١١ × ١٠ = ٣١٩ يوما ، يضاف اليها ٢/٧١ يوما لأن السنة الشمسية هى كما نعرف نحو ٣٦٥٫٢٤٢ يوما . وبذلك يكون مجموع الفروق كلها هو ٣٢٦٫٥ يوما .

وعندما نستخدم هذا الحساب الدقيق الى حد كبير فى تحويل ٣٠٠ سنة شمسية الى سنين عربية اسلامية نجد أنها تزيد بمقدار ٣٢٦٥ يوما فى الحساب . وهذا القدر يعادل بالسنين العربية الصحيحة ٩ سنوات كاملات باستثناء بعض الشهور ، مما يلقى الضوء على التعليق العلمى (بالحساب الفلكى السليم) على قول الله عز وجل فى سورة الكهف الآية (٢٥) :

((ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا)) .

فهل كان الرسول الكريم فلكيا بارعا وحاسبا للتقاويم .. ؟ انها بحق رسالة الخالق العليم ..

الكسوف والخسوف :

لما كنا بصدد استخدام الشمس والقمر فى تقدير الزمن ، نرى انه لا مناص من التعليق على ظاهرتين كونيتين تلازمان الشمس والقمر وتعرفان على الترتيب باسم الكسوف والخسوف .

فالمعروف أن الشمس هى مصدر الطاقات والنور فى مجموعتنا الشمسية كلها ، وأن القمر يدور حول الارض فيجىء بينها وبين الشمس تارة (المحاق) ثم تجىء الارض بينه وبين الشمس تارة أخرى . والمفروض أن ذلك يحدث كل شهر عربى .

فاذا جاء القمر بين الشمس والارض يصير من المحتمل انه يحجب ضوء الشمس عن الارض ويحدث ذلك فعلا فى حالة تواجد الاجرام الثلاثة على خط مستقيم . وتسمى الظاهرة باسم الكسوف حيث يدخل جزء من سطح الارض مخروط ظل القمر ويكون الجزء المعتم من قرص الشمس هو سطح القمر المظلم الذى يواجه الارض فى ذلك الوضع .

ونظرا لصغر حجم القمر فان مخروط ظله يكون صغيرا نسبيا بحيث أن اتساعه عند سطح الارض لا يتعدى ٦٩ ميلا فقط . وعلى هذا النحو لا يكون الكسوف كليا الا على مساحة من سطح الارض لا يتعدى ٦٩ ميلا . وهذا من لطف الله بنا ورحمته ، لأن الطاقة الشمسية هى أساس الحياة ومصدر الطاقات كلها على الارض ، ولو أنها احتجبت عن سطح الارض كله دقيقة واحدة لحدثت تطورات واضطرابات فى الجو لا تستقيم معها الحياة .

ويختزن النبات طاقة الشمس على هيئة كربون يستخدمه فى بناء اجسامه (الخشب) وفى عمل السكر والنشا والزيوت .. وما الفحم الحجرى وما البترول الا طاقات شمسية مدخرة بطريقة كيميائية تمت فى القدم أثناء عصور الارض الجيولوجية .

وأما مخروط ظل الارض فهو كبير نسبيا يبلغ طول قطره على مدى فلك القمر نحو ٥٦٩٠ ميلا ، أى أكثر من ضعف قطر القمر البالغ ٢١٦٠

ميلا . وعلى ذلك فمن الممكن ان يدخل القمر كله مخروط ظل الارض وعندئذ يستطيع كل من على الارض ممن اكتمل عندهم القمر بدرا أن يرى الخسوف الكلى للقمر . وهذا بخلاف كسوف الشمس الكلى الذى لا يمكن أن يرى الا من على مساحة طبيعية امتدادها ٦٩ ميلا فقط كما قدمنا .

ويسأل البعض : اذا كان الامر كذلك فلماذا لا يحدث الكسوف والخسوف كل شهر .. ؟

واجابة السؤال أنه لا يحدث الاقتران أو تواجد الأجرام الثلاثة على استقامة واحدة كل شهر بسبب ميل فلك القمر على فلك الأرض .

وثمة حقيقة أخرى فلكية فحواها أن الخسوف يشاهد أكثر من الكسوف لأن مخروط ظل الارض أكبر بكثير من مخروط ظل القمر ، مما يزيد من فرصة حدوث الخسوف بطبيعة الحال .

وليس للخسوف من أهمية تذكر بالنسبة للكسوف ، وذلك لأن خسوف القمر هو مجرد ظاهرة فلكية ، أما كسوف الشمس فتتبعه حتما ظواهر أخرى بسبب احتجاب أشعة الشمس وانقطاع ورود طاقاتها على الوجه الاكمل .

ومن أروع ما يرصد فى حالة الكسوف الكلى أكليل الشمس أو التاج الذى يغلفها ويمتد عبر الفضاء بشكل رائع . ولكن هذا الاكليل لا يمتد عبر مسافات متساوية من حول الشمس . ولعل السر فى ذلك تأثيرات مدار الشمس المغناطيسية .

ومن أروع ما قد يشاهد أثناء الكسوف الكلى شواظ الشمس ، وهى السنة من غاز الايدروجين المستعر تنساب عبر الفضاء فى أكداس مذهلة . والشمس كما نعلم عبارة عن قنبلة ايدروجينية على حد تعبيرنا العلمى الحديث ، وهى تمثل مواقد الطبيعة التى تمد الكواكب بالطاقة .

ومن أكبر صفات شمسنا أنها نجم متزن يعطى قدرا ثابتا من الطاقة ، لا يتغير على مدى الاجيال الجيولوجية وان تغير فى حدود ضيقة من شهر الى آخر بالزيادة والنقصان .

وثبوت الطاقة الشمسية واتزان قدرها هو سر نشوء الحياة وتطورها وازدهارها على الارض . ولولا ذلك لما أمكن قيام حياة على كوكبنا . فلو تصورنا مثلا أن طاقة الشمس تتناقص بحيث تنخفض درجة حرارة الارض بمقدار جزء من مائة جزء من الدرجة فى العام الواحد ، فان معنى ذلك أن درجة الحرارة خلال ٤ آلاف سنة (منذ عهد بناء الهرم مثلا) انما تنخفض بمقدار ٤٠ درجة وهو أمر مستبعد ولم يحدث .

ومعنى ذلك ان قيام الحياة على الارض يطلب استعدادات عظمى فى السماء مصداقا لقوله تعالى فى سورة غافر (الآية ٥٧) :

« لخلق السموات والارض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .



ليس في الإسلام مكان للعلمانيّة

للدكتور محمد البهى

الاسلام وموقفه من العلمانية :

اما موقف الاسلام فهو ضد العلمانية باى من المفهومين ، لانه :

اولا : ـــ يوم أن شدد فى دعوته على « التوحيد » ومقاومة « الشرك » فى العبادة . . . قصد الى رفع الازدواج والثنائية فى تحديد مصير الانسان ، وفى توجيهه ، والى المساواة ـــ فيما عدا الله ـــ بين الناس . فليس بينهم معصوم سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تبليغ ما أمر بتبليغه الى الناس . والجميع بعد ذلك سواء فى جواز الخطأ والصواب فى تفكيرهم ، وسلوكهم ، وتصرفاتهم .

ومعنى ذلك : انه ليست هناك حكومة الهية من مجموعة من الناس أيا كان

اخلاصهم في العبادة لله ، وايا كانت منزلتهم منه ، اذا اخذت بتعاليم القرآن واتبعت مبادئه في سياستها . فهي حكومة انسانية وتظل حكومة انسانية تخضع للخطأ والصواب . ولذا — عند النزاع في الامر مع القائمين على شأن الحكومة الاسلامية — فالقرآن يطلب العودة بالنزاع بين الطرفين : طرف الحاكمين وطرف المحكومين .. الى كتاب الله وسنة رسوله التي تعبر عنه ، توضيحا او تطبيقا ، يقول الله تعالى : ((**ان الله يامركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها ، واذا حكمتم بين الناس : ان تحكموا بالعدل ، ان الله نعما يعظكم به ، ان الله كان سميعا بصيرا . يا أيها الذين آمنوا : أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم ، فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ، ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خير وأحسن تاويلا**)) (النساء ٥٨ ، ٥٩) .. فهنا يأمر القرآن المؤمنين جميعا من : اولى الأمر وغيرهم بأربعة مبادىء :

اولا : — باداء الامانات الى أهلها . وفي مقدمتها اداء صاحب الولاية العامة أمانة ولايته ، لمن يولى عليهم . وبالأخص العمل طبقا لما جاء في كتاب الله ، وسنة رسوله .

ثانيا : — بمباشرة العدل في الحكم والقضاء بين الأطراف المعنية في الخصومة .

ثالثا : — بالطاعة لما لله من قوانين ومبادىء في صورة : اوامر ، أو نواهي ، أو وصايا ، طبقا لما جاء في كتابه ، وفي سنة رسوله : قولا ، وعملا .

رابعا : — بالاحتكام الى ما لله في القرآن وسنة الرسول من مبادىء **واحكام وتطبيق عملي ، عند التنازع بينهم وبين أولى الأمر منهم .**

... فطلب القرآن رجوع المؤمنين جميعا الى ما لله في الكتاب والسنة ، ما بين ولى أمر ، ومن عداه في الجماعة .. يوضح في غير ابهام : أن أصحاب الحكم والولاية العامة في الجماعة المؤمنة لا يرتفع مستواهم الى « العصمة » عن الخطأ . وانما يجوز عليهم الخطأ كما يجوز عليهم الصواب ، في الشئون الدنيوية . لأن تبليغ الوحي معصوم عن الخطأ . وقد عاتب القرآن الكريم رسول الله صلى الله عليه وسلم عتابا قاسيا على موافقته في سياسة الحرب مع الأعداء الماديين الملحدين .. على راى ابى بكر رضى الله عنه ، اذ يوجه اليه القول فيما تسجله هاتان الآيتان : ((**ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن** (أى يتثبت ويقوى) **في الأرض ، تريدون عرض الدنيا** (وهو مال الفداء) **والله يريد الآخرة** (أى ثوابها لكم) ، **والله عزيز حكيم . لولا كتاب من الله سبق** (أى لولا قضاء من الله سبق بالعفو) **لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم**)) (الانفال ٦٧ ، ٦٨) .. فقد كان الرأى في معاملة أسرى (بدر) بين اطلاق سراحهم بفدية مالية — والمؤمنون يومئذ كانوا في حاجة ماسة الى المال — أو قتلهم تنقيصا لعدد الأعداء ، وارهابا لهم من الاقدام على مهاجمة المؤمنين ومحاولة اذلالهم والتأليب عليهم ، والمؤمنون يومئذ كذلك كانوا قلة ، ولقلتهم كانوا مستضعفين . وأشار أبو بكر بالرأى الأول ووافقه عليه الرسول ، بينما اشار عمر بالرأى الثانى . وعندما نزل الوحي بهذا العتاب كجزء لا ينفصل من كتاب الله .. ظهر أن الصواب في وضع المؤمنين القائم اذ ذاك .. كان في جانب عمر . ومعنى ذلك : أن أبا بكر جانبه الصواب في رأيه .

فهذا المثل من العتاب يدل على أمرين :

اولا : — أن الحاكم في ظل العمل بالقرآن لا يسلم رأيه من مجانبة الصواب .

وثانيا : ـــ ان مبدأ « الاجتهاد » مبدأ اصيل ورئيسي في الاســـلام . وهو ضرورة للانسان بحكم طبيعته التي تخطيء وتصيب ، وتتطور وتتغير . وقــد مارسه المؤمنون في وقت مبكر على عهد نزول الوحي الأمر الذي يدل على وضع القرآن للطبيعة الانسانية وضعها الصحيح ، فلا يرتفع بها الى مستوى الالوهية او العصمة ، ولا يريد لها أن تنزل الى مستوى المادة التي تدفع الى الهــــوى والشهوة فقط ، كذلك الانسان الذي يبتعد عن هداية الله : ((**واتل عليهم نبــأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها ، فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولو شئنا لرفعناه بها** (أي جعلناه في مستوى الانسانية الفاضلة) **ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه** (وهذا كناية عن ايثاره الدنو وعدم الرغبة في الارتفـــــاع الى ذلك المستوى الانساني الفاضل) **فمثله كمثل الكلب : ان تحمل عليــه يلهث** (أي ان تضطهده وتتبعه يظهر الاعياء والقلق) **أو تتركه يلهث** (أي وكذلك هذا شأنه لو ترك بدون اضطهاد وتتبع فانه يظهر الاعياء والقلق) **ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا ، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**)) (الاعراف ١٧٦) .

واذا كانت دعوة التوحيد في الألوهية في الاسلام ، تستهدف المساواة ـــ فيما عدا الله ـــ بين الناس في الاعتبار الانساني ، وفي البقاء في المستـــوى الانساني ، وفي المشاركة في خصائص الانسانية من الصواب والخطأ .. فانه ليس هناك مكان في جماعة المؤمنين ، أو في المجتمع الاســـلامي ، لنزاع حول السلطة يقع على اساس : أن بعض المجموعات في المجتمع يتميز عن المجموعات الآخرى على أساس غير انساني . فهذه مجموعة لها : قداسة ، ولقولهــــا : عصمة .. وهذه مجموعة أو مجموعات أخرى ليست لها : قداسة ، وليســـت لاقوالها : عصمة ، كما هو تصوير مبعث النزاع بين الكنيسة والدولة في الفكر الاوروبي .

كذلك : دعوة القرآن : الى أن الدنيا دار اختبار وابتلاء ، وأنها مرحلـــة اولى تسبق مرحلة الآخرة .. لا تعني اطلاقا : « شرية » هــذه الدنيــا ، ولا « الانصراف » عن متعها وزينتها ، ومن ثم لا تعني ان الاشـــتغال بها أمر قليـــل الشأن في ذاته ، واقل شأنا من الاشتغال بدين الله .

ان ابا بكر رضي الله عنه ـــ وله حظه في الاسلام وفي الدعوة الى دين الله ـــ كان يباشر امرا من أمور الدنيا ، وهو التجارة .. حتى بعد ان ولى أمر الخلافة اراد الاستمرار في النزول الى الأسواق ومباشرة تجارته ، حتى لقيه عمر رضي الله عنه ونصحه بالاعراض عن ذلــك ، مادام هو في شغل بأمـــر المسلمين . ثم جمع الصحابة وسألهم ان يقرروا له في بيت المال ما يسد حاجته فقرروا له ما يكفيه واسرته .. فلو أن التجارة مثلا كشأن من شئون الدنيا شر أو أمر بخس في نظرة الاسلام الى الدنيا لما اقبل عليها مسلم له قدم راسخة في الاسلام كأبي بكر رضي الله عنه ، واتخذ منها مصدر رزقه ومعيشة اسرتـــه ، فضلا عن أن يرغب في الاستمرار في ممارستها بعد ان ولى أمر المسلمين .

واستنكار القرآن لتحريم زينة الدنيا ، وتأكيده ـــ بعد هذا الاستنكار ـــ حل ما في الدنيا من طيبات من الرزق وزينة فيها للانسان ، في قول الله تعـــالى : ((**قل : من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل : هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون . قل انما حرم ربي الفواحش : ما ظهر منهـــا وما بطن ، والإثم ، والبغي بغير الحق ، وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به ســـلطانا ، وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**)) (الأعراف ٣٢ ، ٣٣) .. هذا ، وذاك : يدل على أن المتع المادية ليست

شرا ، وان المادة ليست بخسة يجب تجنبها او على الأقل يجب أن ينظر اليها فى احتقار وازدراء ، كما ينظر لمن يباشر العمل فيها بنظرة أقل . وما أعلنته الآية الثانية هنا من محرمات أخرى فى مقابلها ، وهى ارتكاب المنكرات ، والظلم ، والانحراف ، والشرك بالله ، والاختلاق فيما يوصف به — وهى أمور معنوية ترتبط بالسلوك ، والتصرف ، والاعتقاد للانسان — يؤيد : أن ماديات الحياة الدنيا فى وضع سائغ ومقبول يحمل على استحسانها والرضاء بها والسعى اليها من الانسان نفسه . ولقد طالب القرآن نفسه : أن لا يكون أداء العبادة عاملا على تجاهل الدنيا وعدم الحركة فيها لتحصيل الرزق كما لا يكون السعى فى الدنيا شاغلا عن اداء العبادة فيقول : ((**يا أيها الذين آمنوا : اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله ، وذروا البيع ، ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون . فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض ، وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون**)) (الجمعة ٢٩) .

فأداء العبادة له منزلته فى الاسلام ، واداء السعى فى تحصيل متع الحياة له منزلته فى الاسلام كذلك . لأنه اذا كانت العبادة تحمل على استقامة الأسلوب فى تحصيل متع الحياة ، فان تحصيل هذه المتع بسعى الانسان يعين بدوره على الاستمرار فى العبادة .

والشىء الذى يحول الاسلام دونه عند تحصيل متع الحياة هو الاسراف فى الاستمتاع بها . لأنه يترتب عليه : اما منع الآخرين من حقهم فى الحياة ، واما الاساءة الى الذات نفسها بكثرة ما تستمتع به ، يقول الله : ((**يا بنى آدم ! خذوا زينتكم عند كل مسجد ، وكلوا واشربوا ، ولا تسرفوا ، انه لا يحب المسرفين**)) (الأعراف ٣١) .. فينهى عن المبالغة فى الاستمتاع بالأكل والشرب ، أى بمتع الحياة الدنيا ، ولكنه لا ينهى عن تحصيلها واصل الاستمتاع بها .

وتقدير الدنيا فى — نظر الاسلام — على أن متعها أمر مرغوب فيه لا يجعل شئونها فى سياسة الدولة امرا بخسا . وبالتالى لا يكون للعلمانية بمعنى التنافس على السلطة لمجموعتين مختلفتين فى الاعتبار ، وفى شأنين غير متساويين فى التقدير — كما هو مفهوم العلمانية فى مرحلتها الأولى — مكان فى الاسلام . فمشكل التنافس فالخصومة بين المتنافسين غير قائم وغير وارد أصلا فى الاسلام . وطالما لا يرد مشكل فى نظامه ، فليس لحله كذلك موضوع فيه .

※ وثانيا : — يوم أن وجه الاسلام دعوته الى أهل الكتاب بقوله : ((**قل : يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم : أن لا نعبد الا الله ، ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا : اشهدوا بانا مسلمون**)) (آل عمران ٦٤) .. فطلب اليهم الاتفاق على احتفاظ الانسان بسيادته وكرامته ، وذلك بأن لا يعبد الانسان سوى الله وحده .. فلا يعبد الطبيعة وما فيها من كائنات ، ولا يعبد انسانا : فردا ، أو ممثلا لجماعة، كمجتمع ، او دولة ، أو حزب .. يوم ان ناداهم على الاتفاق على هذا المبدأ ، لم يكن مستأثرا وحده بالسلطة ، كما لم يكن مهينا للبشرية ولا مستذلا للانسان .

ان دعوة عدم الشرك بالله . أن دعوة عدم تأليه الطبيعة .. ان دعوة عدم خضوع الانسان للانسان : الشخصى أو المعنوى ، فى تواضع العابد ومذلته .. هى دعوة لابعاد الانسان عن مصدر المذلة ، وللاحتفاظ بالمساواة فى الاعتبار البشرى . واذا عبد الانسان الله وحده فانما يتقرب بعبادته اياه الى محاكاة قيم عليا تصوّر صفاته جلّ شأنه ، وهى صفات الكمال ، فى العلم ، والخلق ، والقدرة ، والحياة والتدبير ، والارادة ، والغنى بالذات .. الى آخر صفاته التى

يتحدث عنها القرآن الكريم . ومن شأن محاكاة مثل هذه القيم العليا فـي ذات الانسان العابد لله وحده .. تأكد سموّه الانساني واعتباره البشري .

وبتوجيه الدعوة الى أهل الكتاب — على هذا النحو — ليكونوا على قدم المساواة مع المسلمين فى المحافظة على البشرية من الاهانـة والمذلـة ، وفى ممارسة حق الاعتبار الانساني في غير خشية ولا خوف .. لم يكن الاسلام اذن : ذا نزعة انفرادية في تولي سلطة ، ولا ذا ميـل متطرف للقضاء على معارضـة المعارضين .. وبذلك يقضى القرآن فى دعوته على نزعة الاستئثار بالسـلطة لفريق من الناس دون فريق آخر . وهى تلك النزعة التى كانت الدافع الـى العلمانية فى مرحلتها الثانية ، وهى مرحلة اليسار المتطرف .

* وبعد ذلك : اذا لم يكن فى الاسلام ازدواج فى السلطة ولا ثنائية فى شئون الحياة .. واذا لم يكن الاسلام ذا نزعة استئثارية ، على نحو ما كان يحرك الفكر العلماني الأوروبي .. فان الاسلام من جانب آخر اذا أقام نظامه للحياة الانسانية على مبادىء عامة ، فان من بين هذه المبادىء : مبدأ « الحراكية » وهو الاجتهاد كما كان يسميه محمد اقبال .

ومبدأ الاجتهاد ، مع مبدأ ختم الرسالة الالهية بالرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، كما كان يذكر اقبال أيضا : يتيح للانسان المؤمن ممارسة استقلاله فى اطار هذه المبادىء العامة التى جاء بها الاسلام ، للبحث عن ملاءمة الأحـداث المتجددة فى حياة الانسان المتطورة . فليس مبدأ الاجتهاد الا تأملا وتفكيرا فـي تكييف الوقائع التى لم تقع من قبل ، وليس الا ارجاعها الى مبدأ أو آخر من تلك المبادىء العامة التى تحكم التشريع .

أما ختم الرسالة الالهية ، واعتقاد انتهائها .. فانه يشعر الانسان بمدى استقلاله ، ويحول بينه وبين أن يترقب املاء آخر له فى وقت آخر لاحق . وهو اذ يمارس الآن هذا الاستقلال فى التفكير ، فانه لا يكون مرتبطا الا بتلك المبادىء الموضوعية والعامة ، وهى التى تحدد نظام الحياة للانسان فى جوانبها العديدة : السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، والمالية ، والأسرية ، والتوجيهية .

١ — فسياسة الحكم فى الاسـلام تقوم على : « الشورى » وعـلى « الرعاية » وليست على السلطة والتحكم . ففى مبدأ الشورى يقول الله تعالى : « **فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم ، وشاورهم فى الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين** » (آل عمران ١٥٩) .. ويقول فى صفات المؤمنين : « **والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش ، واذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم ، وأقاموا الصلاة ، وأمرهم شورى بينهم ، ومما رزقناهم ينفقون . والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون** » (الشورى ٣٧ ، ٣٩) .. وفى شأن الرعاية يروى الحديث الشريف : كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته .. وكما تحمل الشورى : معنى المساواة فى تبادل الرأى .. تحمل الرعاية : معنى العطف ، وتجنب التحكم بالاولى كذلك .

٢ — والاقتصاد فى الاسلام لا يقف عند حدّ العمل فى الزراعة والتجارة وحدها ، وانما معهما الصناعة .. كما يستفاد من قول الله تعالى : « **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، ومنافع للناس** » (الحديد ٢٥) .. كما تقوم المعاملة فيه على حرية العقد ، والبعد عن الغبن فيه ، ولو مترقبا كالغرر ، وتجنب الاحتكار

.. كما هو منفصل في فقه المعاملات : التجارية والزراعية .

٣ ـــ وفي الجانب الاجتماعي : يفرض « التكافل » كعبادة وقربى الى الله ، بسد حاجة المحتاج ، والوقوف بجانب الغارم في سبيل مصلحة عامة أو تحت ظروف غير ارادية ، وبمعاونة الانسان على استرداد حريته واعتباره البشري ، كحق طبيعي له ، وبتعويض المدافع عن المثل العليا للمجتمع .. كما جاء في تحديد مصارف الزكاة .

٤ ـــ وفي جانب المال : ينظر الاسلام الى المال في ملكيته على انها : ملكية خاصة ، وفي منفعته على انها : منفعة عامة ، تأسيسا على مبدأ استخلاف الانسان على ما لله اصلا . والاسلام يختلف بنظرته هذه الى المال ، عن نظرة الراسمالية التي ترى : أن الملكية الخاصة تستتبع المنفعة الخاصة له .. وكذلك : عن نظرة الاشتراكية في مفهوم « البلشفية » التي ترى : ان تحقيق المنفعة العامة للمال يستوجب الملكية العامة له ، أي يستوجب الغاء الملكية الخاصة ، فالآية التي تطلب الى المؤمنين الحجر على السفهاء بينهم ، وسحب اموالهم الخاصة من تحت أيديهم في قول الله تعالى : ((**ولا تؤتوا السفهاء أموالكم** (وهي في الواقع أموال السفهاء الخاصة وتحت أيديهم) **التي جعل الله لكم قياما** (أي جعل للمسلمين جميعا في هذه الأموال الخاصة ما يقيم حياتهم ومعيشتهم) **وارزقوهم فيها واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفا**)) (النساء ٥) .. هذه الآية التي تحدد هذا الاجراء في اموال السفهاء على هذا النحو ، انما تجعل هذا الاجراء خدمة للمصلحة العامة ، وفي الوقت نفسه ، هو : دليل على أن حق من لا يملك المال في المجتمع الاسلامي هو قائم فعلا : في منفعة المال لمن يملكه . وكذلك قول الله جل شأنه : ((**والله فضل بعضكم على بعض في الرزق ، فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم ، فهم فيه** (أي في الرزق الذي هو الآن بأيدي المالكين له) **سواء** (أي فصاحب المال ، ومن لا يملك المال من الاتباع : سواء في ارتباط منفعة أي منهما بالمال الموجود فعلا بيد مالكه والمفضل فيه عن غيره) **أفبنعمة الله يجحدون**)) (النحل ـــ ٧١) ؟ (أي اذا لم يؤمن هؤلاء الذين فضلوا في المال والرزق : بأن الذى يعطونه مما تحت أيديهم من الرزق لأتباعهم الذين لا يملكون شيئا ـــ ولا يحق لهم أن يملكوا الآن ، لأن حريتهم في التملك مسلوبة ـــ ليس من رزقهم هم كمفضلين في الرزق ، وانما هو من حق أتباعهم الذين لا يملكون : في مالهم هم .. اذا لم يؤمن هؤلاء الذين فضلوا في المال والرزق بحق أتباعهم في منفعة أموالهم فانهم عندئذ يكفرون بنعمة الله .. يكفرون أولا بأن المال أصلا هو لله ، ويكفرون ثانيا بمنع الحق عن أن يصل الى صاحبه .. وقول الله هذا : يسري على سبيل القطع في منفعة المال بين : من يملكه ، ومن لا يملكه على وجه التأكيد .

وتبني الاسلام لهذه النظرة في المال يحول دون التواكل واللامبالاة في العمل كما يحدث في الملكية العامة في النظام البلشفي ، ويحد من الأنانية والاندفاع في فتنة المال واغرائه على العبث والفساد كما يحدث في الملكية الخاصة في النظام الراسمالي .

٥ ـــ وفي الأسرة : يحرص الاسلام على التضامن بين اعضائها :

أولا : ـــ عن طريق الشورى ، والرعاية المتبادلة بينهم كمجموعة من المؤمنين لعموم قوله الله : ((**وأمرهم شورى بينهم**)) ولعموم ما جاء في الحديث : « كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » .

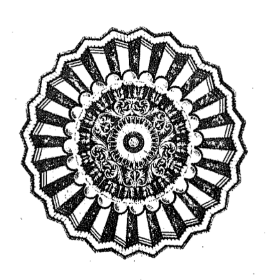
وثانيا : ـــ بالتزام القادر من أعضاء الأسرة بنفقة الضعيف فيها : لصغر في

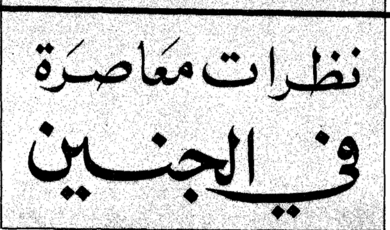
السن ، او لشيخوخة فيه ، أو لعجز أو لحائل يحول دون العمل والسعى فى سبيل الرزق .

وثالثا : ـــ باسناد أمر التوجيه وتنفيذ ما استقر عليه الأمر الى الرجل كزوج ، أو أب : ((**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم**)) (النساء ٣٤) .. فقوامه الرجل : فى ارادته فى التوجيه والتنفيذ معا ، وفى قدرته وطاقته على السعى فى سبيل الرزق والعيش . وهى ارادة وطاقة من طبيعته الخاصة ، التى لم يخلق لها ثديان ، ولا تتعرض طول حياتها للحمل ، والولادة .

والاسلام كدين يفخر بالحفاظ على وحدة الأسرة ، لا لأنه يميل الى النظام القبلى أو هو قائم عليه ـــ كما قد يدّعى ـــ ولكن لأن وحدة الأسرة هى القوة الأولى فى المجتمع الانسانى : فى تماسكه وبقائه . وفى الوقت الذى تعيب فيه بعض النظم العلمانية على الدين كدين : فان العناية بأمر الوحدة فى الأسرة فى الدين ، وهى وحدة طبيعية .. تسعى الى خلق ((وحدة)) عوضا عنها من ((خلية)) جماهيرية لا تعدو الصلة بين أعضائها أن تكون ((الدفع)) .. الى ما يسمى ((بالتلاحم)) وهو تلاحم بدنى يبقى ما بقيت القوة فى الدفع نحوه ، ولكنه سرعان ما يتبدد اذا ضعف الدافع والممسك به . لأن الرباط عن طريق ((الفكر المادى)) يبقى فى حدود الأنانيات ، ويستحيل عليه أن يصهرها فى وحدة جماعية نفسية .

٦ ـــ وفى جانب التوجيه : لا يرى الاسلام الاكراه ، ولا ما هو يتنافر مع طبيعة الانسان : من عوامل التوجيه له . انه لا يلزمه بأمر ما . وانما يضع أمامه الدعوة الى مبادئه ، وله مطلق الحرية والمشيئة فى الايمان أو عدم الايمان بها : ((**لا اكراه فى الدين**)) .. ((**ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا ، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟**)) .. فان آمن فهو يلتزم من ذاته بما آمن به فى التوجيه ، والسلوك ، والمواقف . فلا يلزمه تتبع البوليس ، ولا ارهاب الأجهزة السرية الأخرى ، ولا سلطة القانون . ولذا فان الدولة فى الاسلام دولة انسانية أخلاقية ، وليست دولة بوليسية .





وتفسير بعض ما جاء من خلق الانسان في القرآن

للدكتور احمد شوكت الشطي

التمهيد :

يتمسك بعض الناس في تفسيرآيات القرآن بنصوص ذكرها القدامى تمسكا لا يتناسب مع معارف اليوم ولوانهم وسعوا آفاق معرفتهم لـزاد ايمانهم بان القرآن والعلم لا يتعارضان . فقد جعل القرآن العلم حيث يكون العقل ، مؤاخيا بينهما مشجعا على دراسة العلوم الطبيعية ومن جملتها علم الجنين ، مبينا انه اذا كان للعلم من أول فماله من آخر بأوجز لفظ واروعه وذلك بقوله تعالى : « وفوق كل ذى علم عليم (١) » . وعلى هذا الاساس نبدا بحثنا كما ننهيه بذكر آيات كريمة مخالفين في دلالة بعضها ما قاله عنها المفسرون مع اقرارنا بعظمـة فضلهم وسعة علمهم وعمق أبحاثهم ولكنهم في كل حال بشر يخطىء ويصيب وتتبدل مفاهيمه بتبدل الزمان وتتغير آراؤه بتقدم العلم ، بينما يبقى الكلام الالهي الموحى به على قدسيته سرمديا خالدا أبدا .

الأبحاث :

١ ــ تفسير الآية الكريمة :

« خلق الانسان من علق (٢) » .

تساءل النـاس ومن وراءهم المفسرون عن تفسير الآية الكريمة « خلق الانسان من علق » فأجمعوا تقريبا على القول في كلمة العلق انها جمع علقة وهي القطعة اليسيرة من الدم الغليظ وان الجنين يتكون منها . وفي رأيي ان هذا التفسير لا ينسجم مع الحقيقة وان تفسير كلمة علق بما

يعلق بشدة ينسجم مع الواقع لأن الانسان لا يتخلق من دم جامد غليظ بل من اندماج خليتين ، احداهما لاقحة أو ملقحة ذكرية الاصل وهى الحيوان المنوى (٣) والثانية لقوح او ملقحة انثوية الاصل وهي البييضة ومن تكوينهما خلية واحدة تتكاثر عناصرها فى بوق الرحم ثم تهبط الى الرحم لتعلق بها وبما حولها حتى انها تكون مع الرحم جسما واحدا . نؤيد راينا بما جاء فى اللسان وغيره من كتب اللغة مما يدعم هذا المعنى ، ولعل اكبر دليل لغوى نستطيع أن نقدمه فى صحة ماذهبنا اليه ، مايقوله العامة وما اكد صحته الزمخشري فى اساس البلاغة بقوله ، علقت المرأة حملت ولأن الخلق الجديد يعلق بالرحم علقا شديدا..

٢ ــ تخلق الانسان وانتقال الصفات بالجينات (٤) .

يتولد الانسان وتنتقل صفاته من السلف الى الخلف وتتعين ذكورته او انوثته بتبدلات كمية وكيفية تقع فى عناصر موجودة فى نوى جميع الخلايا تدعى الصبغيات (٥) لشدة ولعها بالصباغ . يتصف عدد الصبغيات فى كل من الخليتين المخصبتين : البييضة ، والحيوان المنوى . وبينما تتماثل البييضات فى احتواء كل منها على جنسية أشير اليها بحرف x تختلف الحيوانات المنوية فيحوى نصفها صبغية x والنصف الآخر صبغية Y فاذا اندمج الحيوان المنوى حامل الصبغية x بالبييضة كان الإناث واما اذا اندمج الحيوان المنوى حامل الصبغية Y بالبييضة كان الإذكار .

وتتركب كل صبغية من جينات وانزيمات مؤلفة من حمض نووية يؤدى تفاعلها الى بروز مظاهر الحياة مما جعل العلماء يؤمنون بان الحياة كمياء وقد دفعهم ذلك الى اصطناع الحمض النووى املا بالتعرف على سر الحياة فكان الحامض المصاغ مشابها للحامض الطبيعي ولكنه غير مماثل له فصورتهما واحدة ولكن الفرق بينهما كالفارق بين تمثال الشخص العديم الروح وصاحبه الحى الآهل بالروح ، فما هى الروح ؟ ومن الذى وهب الحياة للحامض النووى الطبيعى وهل يمكن للانسان أن ينفخ الروح فى الحامض المصاغ ؟

لقد وضع ابن سينا فى ماهية الروح وخلق الانسان قصيدته المشهورة وفيها ابعد ما يراود فكرة الانسان واعمق ما يلازم خياله من التساؤلات التى لا تصدر الا عن العقل المتحفز فقد جاء فيها باقوال تحاكى بعض ما سطره شكسبير وشيلى وبراونيغ (٦) .

ولقد وضع ابن شبل البغدادى من أطباء القرن الخامس قصيدة تساءل فيها عن الروح والحياة عزيت الى ابن سينا فاشتهرت له خطأ (٧).

والواقع أن الانسان فى موضوع الحياة وبعثها ومعرفة اسرارها يتنقل صعدا بين القمم ، فكلما تسلق ذروة من ذرى العلم اتسع افقه وزادت مجاهله ، فاذا انتقل منها الى ذروة أعلى زاد الافق اتساعا وزادت مجاهله عددا وأنواعا . قال عدد كبير من علماء الكيمياء والذرة والحياة فى ذلك اننا كلما أزددنا علما بمظاهر الحياة وتفاعلاتها الكيمياوية زاد جهلنا وقد ذكرتنى هذه الجملة الحكيمة بالحديث الشريف الرائع : « لا يزال الرجل عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه علم فقد جهل » .

وبعد : إن من التصادف أن يكون نوع الذباب المدعو بالهمج ــ دروزفيل ــ اوصلنا الى الجينات وخمائرها واسرارها وما نعلق على ذلك من آمال جسام فى نواحى طبية وعلمية واجتماعية عديدة . فهل نستطيع بعد

هذا التقدم كله أن نبعث الحياة في الحمض النووي المصاغ وان ننفخ الروح في الخلايا المزروعة لا بل في العناصر المركبة للذباب في المختبر اما الجواب على الشطر الاول من السؤال فان الانسان العالم يعترف بانه اعجز من خلق الحياة في جناح ذبابة على الرغم من آلاف ملايين الهمج — دروزفيل — التي اجرى اختباره بنجاح عليها فأيقن بعجزه عن خلقها وانه لمن المتوافق العجيب ان يكون تحدي القرآن الكريم في عجز الانسان عن الخلق متناولا الذباب نفسه وذلك بالقول الكريم : « **يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا (٨)** » وأما الجواب على الشطر الثاني فقد جاء في القول الكريم : « **ويسالونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا (٩)** » .

٣ — زمن نفخ الروح .

هذا ولا بد لنا ونحن نبحث عن خلق الجنين من بيان الزمن الذي تنفخ فيه الروح وما بني على ذلك من احكام شرعية تتعلق بحل اجهاض الجنين وتحريمه .

لقد وجه الامام الغزالي ومن وافقه على وجود الحياة في مادة التلقيح الى حرمة اسقاط الحمل منذ بدئه ، بينما نفى بعض العلماء الحياة قبل نفخ الروح فأجازوا الاسقاط حتى الشهر الرابع حيث تنفخ الروح في الجنين حسب مزاعمهم . والواقع ان الحياة موجودة في الخلق الجديد منذ التقاء الحيوان المنوي بالبييضة واندماجه فيها ، ولعلهم قصدوا بنفخ الروح في الجنين مظاهرها الحركية التي تشعر بها الأم في الشهر الرابع من الحمل .

٤ — قصة الخلق بين واجب الوجود وسر الأسرار .

واجب الوجود وسر الاسرار تعبيران من صميم الفلسفة العربية الاسلامية ومن اروع الآراء فيهما يسايران كل تقدم علمي ، لا تبطل الكشوف العلمية صدقهما ، ولا تغير الآراء الجديدة من مفهومهما في قصة الخلق التي تطورت دعائمه بتطور العلم واختلفت ركائزه بمرور الزمن وتقدم الحضارة العلمية . نظرت الفلسفة الاسلامية في الانسان الحي فرأت فيه جسما وروحا فاعتبرت الجسم واجب الوجود والروح سر الأسرار . غير ان العلم الحديث بحث في الجسم ليكشف فيه سر الأسرار فكان من تقدم بحثه اكتشاف أجزاء وعناصر ظنوها سر الأسرار ، فاذا بها واجبة الوجود وبقي سر الأسرار غامضا كما كان . وهكذا تتوالى البحوث تنشد سر الأسرار فتتخيل كشفه فترى فيه بعد التعرف عليه واجب الوجود ، فتظل باحثة عن سر الأسرار وهكذا دواليك .

لقد ظن المشرحون الاول ان اتقان التشريح والتعرف على تركيب الاعضاء ميتة يمهد لهم السبيل لمعرفتها حية ويمنحهم قبسا من النور ، يرشدهم الى سر الحياة فتوسعوا في التشريح ما قدروا عليه فعرفوا أدق تفاصيله واعمق نواحيه فلم يرشدهم ذلك الى اسرار الخلق بل ازدادت الآفاق العلمية وما فيها من اسرار كثيرة أمام اعينهم سعة بدلا من ان تضيق ، ثم جاء اختراع المجهر العادي الذي يكبر عناصر الجسم تكبيرا يفوق الالف وخمسمائة ضعف فكشفوا الخلايا وما فيها من تركيب غريب وما يطرأ عليها من تفاعلات ، كل ما فيها رتيب وعجيب فأدى بهم ذلك الى أن يعتبروا الخلية وحدة اساسية في الوجود الحي فدرسوها حية وميتة وتوسعوا في دراستها مرتاحة وفاعلة ومسترخية وعاطلة فزادت معرفتهم بمظاهرها وتطور صورها واختلاف اشكالها في حياتها ومماتها . ولقد بلغ بهم الأمر ان استنبتوها فزرعوها

وجنوا ثمار زرعهـا محصـولا لـم يزدهم تقدما فى التعرف علـى سر الحياة بل زاد جهلهم تعقيدا فتابعوا البحث حتى كشفوا الصبغيات فظنوها مكمن الحياة ، وما لبثوا ان تبين ان وراءها الف سر وسر فباتوا حيـارى مشدوهين فاخترعوا المجهر الالكترونى الذى يكبر الآلاف من المرات فسلموا له زمام المبادرة فتوسعوا به فـى دراسة الصبغيات وبينوا اختـلاف صورها وتقفزها وتبادلها واضطرابها فى استقرارها ومكانها وفى كمهـا وكيفيتها ، ولقد وجدوا فيها الجينات تحركها الانزيمات فتبدى من التفاعلات الكيماوية ما يحير الألباب . والواقع ان الحياة بمظاهرها تفاعلات كيماوية ولكنها ليست كتلك التى تجرى فـى الاوانى والاوعية ، فللأوعية كيمياها وللحياة كيمياها .

أن النظرية الاسلامية التى تربط بين سر الخلق والحياة فيـه بواجب الوجـود وسر الأسرار من اروع النظريات لانها تجعل مما يتصـوره الانسان بتقدمه العلمى سر الاسرار واجب الوجود وتدفعه باستمرار الى البحث عن سر الاسرار ، فاذا ما بدت له معرفته صار واجب الوجود وبقى سر الاسرار غامضا كما كان .

لقد كان ذلك شأنهم مع الخلية بعد ان استنبتها «الكسيس كارل» بمزارع خاصة فتوهم بعد ذلك امكان معرفة سر الحياة فاذا به يكشف ان الخلية التى اكتشف بعض أسرارها لا تفـى بالتعرف على هوية الحياة فأرشـده ذلك الى ان يؤمن بالقدرة الخلاقـة وعظمة الخالق ، فوضع مؤلفـه المشهور الانسان ذلك المجهول(١٠) .

لقد مهدنا الى بحثنا هذا بكـلام سابق عن آخر ما وصل اليه العلم فى خلق جنين الانسان وفى ذكورتـه وأنوثته .

جاء فى القرآن الكريم قوله تعالى : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى (١١)** » . ذكر يمثله الحيـوان المنوى، وانثى تمثلها البييضة كمااشار الى ذلك تلميحا كل من الامام الغزالى وابن القيم وغيرهما مخالفين عن حق الآراء التى كانت سائدة فى زمانهمـا التى كانت تعزو تكون الجنين الـى الرجل وحده بحيوانه المنوى وتهمـل بييضة الأنثىوتعتبرالمراة بيئة مخصبة يبذر فيها الرجل بذوره لتنبت احداها بشرا سويا . وجاء فى القرآن الكريم أيضا عن الذكر والأنثى ما يدل على اختلاف تخلقهما مما يؤيده العـلم وذلك بقوله تعالى : « **وما خلق الذكر والأنثى** » (١٢)، وقوله تعالى : «**وليس الذكر كالأنثى**(١٣) » ، وقوله تعالى : « **فجعـل منـه الزوجين الذكـر والأنثى** (١٤) » . ولقد ذكرت الآيات الكريمة مراحل الخلق اذ جاء فيهـا « **يا أيها الناس ان كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة ونقر فى الارحام ما نشاء الى أجـل مسـمى ثم نخـرجكم طفـلا** (١٥) » .

لقد بينا فى صدر البحث رأينا فى موضوع العلقة وان المقصود بها ما يعلق بشدة لا الدم الغليظ الجامـد كما ذهب اليه المفسرون .

أما المضغة المخلقة التى اختلف فيها المفسرون فهى فى رأى ابن الاعرابى كما فى اللسان وما ندعمه الآن انها المضغـة التى بدأ خلقها ، وأما غير المخلقة فهى التى لم تصور بعـد . والواقع ان المضغة تمر أولا بمرحلة تكمن فى خلاياها مكونات الاعضـاء كلها ، فهى والحالة هذه مخلقة تتبعها مرحلة ثانية تتخطط فيهـا أرومات الاعضاء تخطيطا يؤدى الى تشابـه مضغة الانسان بمضغة الثدييات حتى تبعد بشكلها عن خلق الانسان بعدا كبيرا ، لذلك نعتت بأنها غير مخلقة اى ناقصة التصوير غير شبيهـة

بالانسان مختلفة عن الخلق التام الذى نعته القرآن الكريم بالخلق السوى كل الاختلاف ، وقد لمح القرآن الكريم الى هذا التطور بالآية الكريمة . ((**يخلقكم فى بطون أمهاتكم خلقا من بعد خلق**)) حتى ينشئه خلقا آخر سويا فى أحسن تقويم .

أما الاستقرار فى الرحم فقد نعته القرآن الكريم بالأجل المسمى فمدده بعض المفسرين سنوات عديدة، مع ان المعنى صريح يؤيده العلم وهو عشرة اشهر قمرية ولا مجال لقبول راى آخر فى يومنا هذا بعد ان أصبح اكتشاف الحمل بالتفاعلات الحيوية منذ اليوم العاشر من وقوعه أمرا أكيدا وثابتا .

هذا ما حفزنا على بحثه أخ كريم رضينا بتكليفه بقلب مفتوح فقدمنا له ما قدمناه مستندين الى ما بلغه العلم اليوم داعين الى عدم الجمود عندما قاله بعض الاقدميين الذى عاد التمسك بأقوالهم غير موائم للقول الحكيم راجين ممن يجد فى كلامنا مجالا للنقد أن يتحفنا به فاننا نرى فى نقده مساهمة فى البحث لذلك نشكره عليه .

---

(١) سورة يوسف آية ١٢ .

(٢) سورة العلق آية ٢ .

(٣) اعتاد المؤلفون العرب تصغير كلمة الحيوان للدلالة على الخلية الملقحة وليس هذا واردا فى رأينا لان اكثر اللغات لم تستعمل التصغير للدلالة على هذا الحيوان ومنها اللغة الانكليزية حيث ركب اسم هذه الخلية من كلمتين احداهما Spern ومعناها المنى والثانية Zoo ومعناها الحيوان .

(٤) تعبير مأخوذة من كلمة جينان Gennan ومعناها المكون وخير ما يدل عليها بالعربية تعريبها .

(٥) كروموزوم وتتركب من كلمتين كروم ومعناها لون وزوم ومعناها خيط .

(٦) من ذلك قول ابن سينا :

وصلت على كره اليك وربما
كرهت فراقك وهى ذات توجع

وفيها ما يماثل اقوال شيلى :

هجبت وقد كشف الغطاء فابصرت
ما ليس يدرك بالعيون الهجع

كما فيها من الاشارة ما يحاكى اقوال براونيغ :

وتعود عالمة بكل خفية
فى العالمين وخرقها لم يرقع

فكانها برق تالق بالحمى
ثم انطوى فكانه لم يلمع .

(٧) وقد جاء فيها قوله :

بربك ايها الفلك المدار
اقصد ذا المسير أم اضطرار

وعندك ترفع الارواح ام هل
مع الاجساد يدركها البوار

ومن نفسين فى أخذ ورد
لروح المرء فى الجسم انتشار

فاين عقول ذوى الافهام معا
يراد بنا واين الاعتبار

(٨) سورة الحج آية ٧٣ .

(٩) سورة الاسراء آية ٨٥ .

(١٠) لقد توصل فى مداركه المستندة الى البحث والاختبار الى ما توصل اليه المعرى بالتفكير والاعتبار حينما قال مخاطبا الانسان :

أتزعم انك جرم صغير
وفيك انطوى العالم الاكبر

(١١) سورة الحجرات آية ١٣ .

(١٢) سورة الليل آية ٣ .

(١٣) سورة آل عمران آية ٣٦ .

(١٤) سورة القيامة آية ٣٩ .

(١٥) سورة الحج آية ٥ .



للدكتور عماد الدين خليل

— ١ —

مهما قيل فى تبرير (الالحاد) ، ومهما ادعي من علمية فى اقامته على اسس مقبولة ، فانه لن يعدو أن يكون بلادة وغباء .. بلادة فى الاحساس وغباء فى قدرة الفكر على تجاوز المحسوس والملموس والمنظور ، والايمان بما وراءها جميعا مما لا تحسه أجهزتنا المحدودة ، ولا تمسه الايدى ، ولا تدركه الأبصار .. بلادة فى الاحساس الفطرى الأصيل بالقوة المتوحدة التى خلقتنا ورعتنا ، وستبعثنا ثانية وترعانا ، وغباء فى طاقة البصيرة على تحطيم جدران النسبيات الزمانية والمكانية والنفاذ الى المطلق .. ان انسانا لا يدفعه تفكيره فى هندسة الكون المعجزة ، وتصميم الحياة المذهل على الأرض ، ونسيج الانسان المعقد الفذ المتشابك ، الى الايمان بالمهندس والمصمم والصانع لا يمكن الا أن يكون غبيا .. لأن ايما انسان ذكى لا بد وان يلمح ويدرك ان وراء هذا الاعجاز والدقة والانضباط ارادة لا تدع للصدفة ان تعبث بها أو تشلها عن العمل او تنحرف بها شعرة واحدة عن مساراتها المرسومة فى علم الله .

من أجل ذلك وصم الله الكفار فى كتابه الكريم بانهم كالأنعام بل هم اضل ذلك ان للأنعام غرائز توجهها وتهديها فى مضطرب حياتها ونشاطها وبحثها عن اشباع حاجاتها .. اما الانسان فان تنازله عن لماحية الفكر وذكاء القلب واتقاد البصيرة سيتوده الى درك التخبط والضياع ، حيث لا غرائز او ضوابط تهديه وتحميه من السقوط الى اسفل سافلين ، هناك حيث يعمى

البصر وتنطمس البصيرة ويرين الحس الثقيل على السمع فلا يعد يسمع صوتا ، ولا نـداء .. وحيث يتلمس الانسان أساليب الهداية والحماية فى الامداء القريبة الملاصقة ، تماما كما تفعل الديدان ، فيركب بعضها بعضا ، ويأكل بعضها بعضا ، ويطوق بعضها بعضا ، ويسد بعضها الطريق على البعض الآخر .. حياة حشرية فى دائر ضيقة من الأرض ليس فيها اية نافذة يطل منها الانسان الى السماء ، أو يمد بصره الى ما وراء الحفرة حيث النور الوهاج ، والآفاق الفسيحة والطموح الانسانى الذى لا يعرف حدا يقف عنده .

واذا كان مصير كالح كهذا لا يقوده (الغباء) وتحدوه (البلادة) فمن اذن يقود ويحدو ؟ العلم ؟ أم الذكاء ؟ وهل لأحد أن يجرؤ فيدعى أن العلم والذكاء يمكن ان يقودا الانسان الى تلك الحفرة المظلمة التى تعلو عليها وتسمو عوالم الابقار والجمال والأغنام ؟.

لقد قالها العلماء الكبار مرارا وتكرارا .. من أن خطواتهم فى حقول العلوم المختلفة قادتهم دوما الى الاعتقاد الذكى المبصر الخلاق المبدع الذى أعطى كل شيء خلقه ، والذى بدونه لا يمكن أن تقوم للكون العظيم ، ولا لتكييف الحياة على الأرض قائمة لحظة واحدة من زمان فكيف بملايين السنين ؟

ثم .. الا يكون غبيا من يرفض الايمان بان وراء هذه الفرصة القصيرة فى حياتنا الدنيا وجود أبدى لا آخر له ، ويسعى باختياره البليد الى دائرة التشاؤم والفناء المقفلة حيث يعيش الانسان ويموت ، كما تعيش الحشرات وتموت ، دون أى اعتبار لتميز الانسان وتفرده على سائر المخلوقات ؟

الا انه الغباء بعينه ، يرين بضبابه الكثيف على البصائر والأفئدة والعقول فيهبط بأصحابه الى دركات الضلال .. وصدق الله العظيم عندما يقول **(أولئك كالانعام ، بل هم اضل !!)** .

ــ ٢ ــ

يمكن تعريف (الاسلام) ، باختصار وتركيز بالغين ، بانه : اعادة لصياغة الانسان ووضعه فى مكانه الصحيح من الكون .. الانسان الذى تعرضه حركة تاريخه الذاتى والخارجى الى ان يخرج مرات ومرات عن اطار فطرته الأصيلة المعجونة باعجاز من الروح والمادة والفكر والدم والأعصاب والوجدان والعواطف والشهوات ، وتبعده بالتالى عن مساره المرسوم فى العالم .. ولا يكون نتيجة هذا الخروج والابعاد ، الا تمزقا فى الذات البشرية وانحرافا فى طرائق تعاملها مع العالم ، ومن ثم شقاء وتعاسة وانهيار ..

ويجيء قادة الفكر الوضعى لكى يصنفوا المبادىء ويرسموا الشرائع ليتعامل معها الانسان المنكود ، معتقدين ان طاقاتهم النسبية المحدودة ستمكنهم من رؤية شاملة موضوعية لفطرة كل انسان ، ولدور كل آدمى على سطح الارض .. ومن ثم تجيء محاولاتهم ضربا فى التيه ، وابحارا فى الظلمات دون شراع واحد ولا بصيص من نور .. فيزداد الانسان نأيا عن توازنه الفطرى الأصيل ، ومروقا عن دربه المستقيم فى قلب العالم .. وهذا النأى والمروق يجمد طاقات الانسان ، ويطمس على بصيرته ، ويغطى قلبه واحساسه بريق من التراب والغبار ، ويشل فاعليته ، فلا يقدر بعد على أداء دوره (كاملا) على مسرح الحياة الدنيا ، فيفقد بذلك فرصته الكبرى ، ويكتب على نفسه التعاسة فى الأرض والسماء !!

اما (الاسلام) فانه تخطيط العلى القدير العليم لاعادة الانسان الى فطرته التى فطره الله عليها ، وبعثه فى طريقه المرسوم لكى يحيا تجربته البشرية كاملة ، ويعطى كل ما عنده ، ويعبر عن شتى طاقاته من اجل ان يسهم اسهاما فاعلا فى (اعمار) الارض الذى انيط به كخليفة مسؤول امام الله ..

ومهما سعى العبيد وحاولوا ، فسوف لن يزيدوا الانسان الا تخبطا وضياعا ، وسوف لن يحكموا على طاقاته وقدراته الا بالتشتيت والاضمحلال .. ولن يكون الخلاص الا باشارة من الذى صنع الانسان نفسه ، ومنحه فرصة الاختيار والعمل فى كون شاسع واسع يضيع فيه ويتحطم كل من لم يعرف موقعه المحدد على الخارطة الابدية ، وطريقه المرسوم فى بنيان العالم .

— ٣ —

فى القرآن الكريم نداء عميق ، لو تمعنا فيه قليلا لأدركنا انه اروع نداء يمكن أن يوجه الى الانسان من اجل أن يرتفع فوق مستويات الخوف والحزن : **((ما اصاب من مصيبة فى الارض ولا فى انفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبراها ، ان ذلك على الله يسير . لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم والله لا يحب كل مختال فخور)) .**

ان جل آلامنا ومخاوفنا واحزاننا ومآسينا تنفجر حين تنفجر من أحساس ثقيل مرهق بأن فرصة ما قد فاتتنا ، وبأن فرصة ما ستفوتنا عما قريب .. فيسحقنا الندم ، ويشلنا الحزن عن الانطلاق الدائم صوب الامام ، من أجل ان نحظى بمزيد من الفرص ، ونتحقق بمزيد من الانتصارات ..

ان الأسى على فوات شىء أو فرصة ما ، غل ثقيل يأسر الانسان ويرتد بوعيه الى الماضى لكى يسفح عند نصبه الدموع ويستل الحسرات دون أن يتاح له أن يخطو خطوة واحدة من ارضية الحاضر صوب آفاق المستقبل .. وان الفرح الغامر بمكسب وقتى ، او نجاح عابر ، سيعقبه — ان آجلا او عاجلا — حزن عميق على انعدام الفرح وزوال النجاح .. ومن ثم سيظل الانسان فى نقطة التمزق بين الأسى والحزن الى ان تنصرم سنى عمره ، ولا يشعر بمأساة حياته الشقية الا عندما ينظر ، وهو فى آخر الدرب ، الى أن كل احزانه ومخاوفه عبر حياته جميعا لم تكن الا عبثا لأنه سوف لن يأخذ معه الى الحفرة سوى الفرح الكبير او الحزن الشامل الذى لا علاقة له من قريب او بعيد بهذه الجزئيات الصغيرة التافهة التى تعترض حياة الانسان ، فاذا ما افلتت من يديه ملأته أسى ، واذا ما تراكمت بين يديه اترعته فرحا لا يلبث أن يغور بعد اذ تتكشف له هذه الجزئيات عن فقاعات لا دوام لها الا بقدر ما تخدع الانسان وتلهو به ..

من اجل ذلك ينادينا القرآن الا نأسى على ما فاتنا ولا نفرح بما أتانا كي نتجرد عن الجزئيات الثقيلة ونرتفع على مستوى الاهتمامات الزائلة .. ولا نرنو الا الى الفرح الكبير الأبدى العميق الذى لا يتحدد بماض أو حاضر او مستقبل ، ولا يتعرض للزوال .. ومن ثم ننطلق بخفة وحيوية ، متخلصين من الاثقال والهموم والاحزان ، لنعبر عن وجودنا المتوثب الطموح .. ونصنع مصائرنا التى تناغينا وتنادينا من بعيد ..

ان كثيرا من الكتاب والفنانين المعاصرين صوروا لنا شقاء الانسان الذى تشده اثقال ماضيه وتطارده

لعناته .. وآخرون كتبوا لنا عن تشاؤمهم العميق ازاء امكانية تحقق الفرح الانسانى ، وتجاوز مستويات الحزن والخوف .. لكن كلمات من القرآن تبين لنا بوضوح وتركيز كل ما يريده هؤلاء ، وتزيد عليهم بأن تمنحنا القدرة على التخلص من أثقال الماضى وتجاوز تجارب الفرح الزائل التى تعقب حسرات ودموعا ، والنفاذ الى المستقبل متخففين متجردين يغمرنا الفرح الحقيقى الكلى العميق واليقين بأن هذه الجزئيات مكتوبة علينا لكى تعلمنا القدرة على التجاوز والانطلاق .. ويوحدنا نداء الله سبحانه الذى يعرف كيف ينتشلنا من ليالى حسراتنا وأحزاننا ويقترب بنا من الفجر الوضاء الذى لا غياب لشمسه لانها تفجر نورها وأشعتها فى القلوب والأرواح ..

— ٤ —

ان الذى يطلع على بعض صور الحرب والصراع فى الغرب والشرق كتلك التى نجدها مشخصة واضحة فى رواية مركريت ميتشل (ذهب مع الريح) التى تتناول فترة الحرب الأهلية الامريكية فى النصف الثانى من القرن الماضى أو فى رواية تولستوى (الحرب والسلام) التى تتناول عصر نابليون بونابارت ، أو فى رواية ميخائيل شولوخوف (الدون الهادى) التى تتناول فترة المقاومة القوزاقية للجيش الاحمر .. الذى يطلع على أعمال تصويرية كهذه ، وغيرها كثير ، ويقارنه بأساليب الحرب والقتال فى تاريخنا الاسلامى وبخاصة سنى العقيدة والالتزام ، يجد شيئا عجبا يثير الدهشة والاستغراب ..

ان ثمة فرقا شاسعا بين أناس وجماعات وأمم تقتتل باسم المصالح والعصبيات والاهداف القريبة الزائلة وبين أمة تقاتل باسم الله سعيا وراء كل ما هو انسانى أبدى بعيد عن المصالح والعصبيات والقيم الزائلة .. فرقا شاسعا بين جماعات تقتل وتذبح وتفتك وتدمر مستخدمة أى سلاح تصل اليه أيديها ، متذرعة بأية وسيلة تسندها فى سحق غريمها ، سالكة أى درب يصلها الى أهدافها . وبين أمة لا تمارس القتال الا بالسلاح الشريف والوسيلة الانسانية وعلى درب مستقيم لا تنحرف فيه يد كى تحمل سلاحا لا يقره الانسان الشريف أو تستخدم اسلوبا ترباً عنه حتى عوالم الحشرات والديدان .

ان مناظر القتل والدمار التى يعرضها علينا (تولستوى) و (ميشيل) و (شولوخوف) وغيرهم تضعنا وجها لوجه أمام ابتذال الحياة الانسانية ورخص الدم البشرى ومجانية العلاقة بين القوى المتصارعة على ظهر البسيطة .. وتدفعنا دفعا الى زاوية الاحتقار والتشاؤم والالتصاق بالعصبيات المصلحية والطبقية أو العنصرية ، عليها تحمى القطعان الهاربة من الجزارين العتاة الغلاظ ، أو تمنحها سلاحا أحد قطعا واشد فتكا ..

لكن الذى يعزى الانسان ويهبه الثقة والأمل واليقين ان فى التاريخ صورا (واقعية) أخرى شهدتها ميادين الصراع وساحات الحرب مرات ومرات ، ظل فيها ابن آدم انسانا حتى وهو يقاتل ويحارب ويصارع ، دون أن يضطره القتال والحرب والصراع الى أن ينقلب على آدميته ويستعير من عوالم الفهود والحيات كل شراستها وسمها الزعاف دون أن يأخذ منها ولا مقدارا ضئيلا من العطف والسماحة التى تمارسها بين الحين والحين ..

. واقرأوا ان شئتم (ذهب مع الريح) و (الدون الهادىء) و (الحرب والسلام) ، ثم تمعنوا بعد ذلك فى صفحات الحرب في تاريخنا الاسلامي عبر مسيرته .. الطويلة .. فسوف تلتقون فى المرة الأولى برخص الانسان وحقارته ومجانية الدم الانساني وابتذاله .. وسوف ترون فى المرة الثانية راى العين غلاء الدم وشرف الانسان وكرامة بنيان الله فى الأرض .. ملعون من هدم بنيانه ..

— ٥ —

ما اشد حاجة المسلم المعاصر القلق المتارجح بين الانفصال عن المجتمع الجاهلى الذى يحيا فى قلبه وبين الاندماج فيه ، ما أشد حاجته الى من يهديه سواء السبيل ويحدد له معالم الطريق .. ذلك أن الانفصال الكلى امر مستحيل لأنه فوق طاقة انسان يحيا فى صميم مجتمعات القرن العشرين بكل ما تحويه وتتضمنه من تعقيد وتشابك فى العلاقات ومن اتساع فى خطوط وامداء التعامل الاجتماعى بالنسبة لكل المنتمين اليه .. وأما الاندماج الكلى فهو امر مستحيل كذلك لأنه سيفقد المسلم تميزه كمسلم ، وسيصهر قيمه ومعتقداته ومثله فى أتون تجربة اجتماعية لا تعرف شيئا عن القيم والمثل ، ولا تؤمن يوما بفكرة تعلو على مستوى الوقائع والمصالح واليوميات ، ولا بعقيدة ترفض أن تغدو العلاقات الاجتماعية علاقات منفعة متبادلة وحرص قتال على التكاثر .. باختصار أن الاندماج الكامل سيجرد المسلم من اسلاميته وسيحيله انسانا عاديا تافها حتى لو صام الدهر لله وصلى فى اليوم خمسين مرة !!

ان الانفصال الكلى يعود المسلم ، شاء أم أبى ، الى ظواهر الترهبن والانسلاخ السالب عن مجرى الحياة والتطور ، أو الى تجربة من تجارب اللاانتماء التى عرفها الغربيون خلال العقود الأخيرة ، وهى جميعا لا يمكن الا أن تشل المسلم عن العمل ، وتحرم الحياة الواقعية من أن ترفدها قيم الاسلام ، وعقائدياته واخلاقياته ، وتتجه ببعض مساحاتها على الاقل صوب مطالب الاسلام وحلوله المعجزة ..

والاندماج الكلى يقود المسلم الى ظاهرة من ظواهر الفناء والذوبان فى اطار التجربة الاجتماعية بكل انحرافاتها وتناقضاتها ومآسيها ، او الى تجربة من تجارب الانتماء (الشيىء) الى عمل ما من اعمال هذا المجتمع الوظيفية اليومية ، او الى هدف ما من اهدافه القريبة الميسورة .. ومن ثم كان هذا التأرجح وهذا القلق اللذان يعانى منهما المسلم المعاصر واللذان يجب أن نعترف بثقلهما وضغطهما علينا جميعا كى نكون اكثر واقعية واشد ايجابية ، فنسهم جميعا فى العمل الجاد المخلص والتنقيب فى ثنايا فكرنا وعقائدنا وتشريعاتنا وتاريخنا وحضارتنا علنا نصل الى الحل الوسط الذى يحملنا كمسلمين حقيقيين الى قلب كل مجتمع لكى نؤثر فى صميم بنائه وتركيبه ، ونهيئه لتقبل القيادة العادلة المشتقيمة التى وعد الله بها عباده المخلصين يوم أن قال : ((**ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ..**))

وصدق الله العظيم .



ام ابى هريرة

لم يكن يؤلم ابا هريرة من مشاكل حياته سوى مشكلة « امه » فانها يومئذ رفضت أن تسلم ، وذات يوم سمع منها فى رسول الله ما يكره ، فذهب الى المسجد النبوى محزونا باكيا قال ابو هريرة :

فجئت الى رسول الله وانا أبكى ، فقلت يا رسول الله ، كنت ادعو امى الى الاسلام ، فتأبى على ، وأنى دعوتها اليوم فاسمعتنى فيك ما أكره فادع الله ان يهدى أم ابى هريرة الى الاسلام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اهد أم ابى هريرة .

قال فخرجت اعدو ابشرها بدعاء رسول الله ، فلما اتيت الباب فاذا هو مغلق وسمعت خضخضة الماء ، ونادتنى مكانــك . ثـم لبست درعها وعجلت خمارها وخرجت وهى تقول : اشهد الا إله الا الله ، واشهـد ان محمدا رسول الله . فجئت اسعى الى رسول الله فأخبرته ثم قلت يارسول الله ادع الله أن يحببنى وامى الى المؤمنين والمؤمنات .

فقال : اللهم حبب عبدك هذا وامه الى كل مؤمن ومؤمنة .

إعـــلان

يعلن امير المؤمنين عمر بن الخطاب عن خلو وظيفة وال ، ويشترط فيمن يتقدم لهذه الوظيفة :

أولا : أن يكون رجلا ، اذا كان فى القوم وليس أميرهم بدا وكانه اميرهم، واذا كان فيهم وهو عليهم امير بـدا وكانه واحد منهم .

ثانيا : لا يميز نفسه على الناس فى ملبس ولا فى مطعم ولا فى مسكن .

ثالثا : يقيم فيهم الصلاة ، ويقسم بينهم بالحق ، ويحكم فيهم بالعدل ولا يغلق بابه دون حوائجهم .

التصميم الهندسى لبيت سلمان الفارسى

أراد سلمان الفارسى رضى الله عنه أن يبنى لنفسه بيتـا ، فســال البناء : كيف ستبنيه ؟

وكان البناء حصيفا ذكيا ، يعرف زهد ((سليمان)) وورعه .. فأجابه قائلا : لا تخف .. إنها بناية تستظل بها من الحر ، وتسكن فيها من البرد ، إذا وقفت فيها أصابت رأسك ، واذا أضطجعت فيها اصابت رجليك .

فقال له سلمان : نعم ، هكـــذا فاصنع .

رؤيا خالد

رأى خالد بن سعيد بن العاص ذات ليلة فى منامه أنه واقف على شفير نار عظيمة ، وأبوه من ورائه يدفعه بكلتا يديه ، ويريد أن يطرحه فيها ، ثم رأى رسول الله يقبل عليه ، ويجذبه بيمينه المباركة من إزاره ، فيأخذه بعيداً عن النار واللهب .

وصحا خالد من نومه ، وذهب من فوره الى دار ابى بكر ، وقص عليه رؤياه ، فقال له ابوبكر : انه الخير اريد لك ، وهذا رسول الله فاتبعه فان الاسلام حاجزك عن النار .

وانطلق خالد باحثا عن الرسول حتى اهتدى الى مكانه ، فبايعه واسلم على يديه فكانت هذه الرؤيا المباركة سببا فى سعادته فى الدنيا والآخرة .

مائدة محرمة

وقف اعرابى على أبى الاسود الدؤلى وهو يتغدى ، فسلم عليه فرد عليه السلام ثم اقبل على الاكل ، ولم يعرض عليه ، فقال الاعرابى : اما انى قد مررت باهلك قال : كان ذلك طريقك ، قال : وهم صالحون ، قال : كذلك فارقتهم ، قال وامراتك حبلى ، قال كذلك عهدى بها ، قال : ولدت ، قال : ما كان بد لها أن تلد ، قال : ولدت غلامين ، قال : كذلك كانت امها ، قال : مات احدهما ، قال : ما كانت تقوى على رضاع اثنين ، قال : ثم مات الآخر ، قال : ما كان ليبقى بعد اخيه ، قال : وماتت الام ، قال : جزعا على ولديها ، قال : ما اطيب طعامك قال : وذلك جزائى على أهله ، قال : اف لك ما الامك ، قال : من شاء سب صاحبه.

الله والجنة

هو ثانى أخوين عاشا فى الله : اما أولهما فهو « انس بن مالك » خادم رسول الله ، وثانى الاخوين هو « البراء بن مالك » كانت كل أمانيه أن يموت شهيدا . من اجل هذا لم يتخلف عن مشهد ولا غزوة .

اشترك فى حرب اليمامة تحت قيادة خالد بن الوليد ، ولم يكن جيش مسيلمة الكذاب هزيلا ولا قليلا ، بل كان اخطر جيوش الردة جميعا ، وظهرت خطورته فى أول المعركة حتى كاد يأخذ زمام المبادرة ، وسرى فى صفوف المسلمين شىء من الجزع ، وانطلق زعماؤهم يلقون كلمات التثبيت من فوق صهوات جيادهم ، ونادى خالد تكلم يابراء ، فصاح بهذه الكلمات .

يا أهل المدينة

لا مدينة لكم اليوم

إنما هو الله ، والجنة

وكتب الله للمسلمين النصر ، وانجلت المعركة عن جسد البطل البراء وفيه بضع وثمانون طعنة ، وظل خالد بن الوليد يشرف على تمريضه بنفسه شهرا كاملا حتى أصبح معافى أصح جسما وأقوى عزما فى قتال اعداء الله .



للدكتور محمد محمد حسين

العالمية في الاصطلاح الحديث مذهب يدعو الى البحث عن الحقيقة الواحدة التي تكمن وراء المظاهر المتعددة في الخلافات المذهبية المتباينة . ويزعم أصحاب الدعوة والقائمون عليها ان ذلك هو السبيل الى جمع الناس على مذهب واحد تزول معه خلافاتهم الدينية والعنصرية لإحلال السلام في العالم محل الخلاف .

والدعوة باطلة من اساسها ، لأنها تخالف سنة ثابتة من سنن الله في الارض ، وهي دفع الناس بعضهم ببعض وضرب الحق والباطل . والهدم والبناء وجهان لهذه السنة لا يفتآن يعملان دون انقطاع . وكل ميسر لما خلق له . هذه السنّة قائمة بأمر الله تعالى . ولن تجد لسنة الله تبديلا . هي قائمة بين الشعوب والأمم ، وقائمة بين الاكوان ، وقائمة في باطن الارض ، وقائمة في داخل أجسامنا التي لا يتوقف الصراع فيها بين كرات الدم البيضاء وبين الجراثيم والامراض الغازية ، وفي الخلايا التي تبنى من جديد على انقاض خلايا اخرى تموت ، وفي الصراع القائم في باطن نفوسنا بين الضمير الديني وبين الشهوات .
« وفي الارض آيات للموقنين وفي أنفسكم . أفلا تبصرون ؟ » (الذاريات ٢١) .

وسنة الصراع والهدم والبناء من مظاهر الحركة والحياة في الكون وفي المجتمعات الانسانية . ثم ان الصراع بين الحق والباطل لا يتكشف آخر الأمر الا عن بروز الحق في أصفى صوره وأنقى عناصره ، وهلاك الباطل ومحق شوائبه . وقد صور القرآن الكريم هذه السنّة الدائبة في مثلين ضربهما لاختلاط الحق والباطل ، أحدهما في السيول التي تختلط بالاوحال والأقذاء والأقذار ، وبما تجرف من جيف وما تقتلع من نبات ، ثم لا يبقى منها على طول المجرى وتعدد المنعرجات الا الماء الصافي العذب في الأنهار التي تفيض بالخير والبركات . والمثل الآخر في المعادن التي نستخرجها من الجبال ومن باطن

الارض مختلطة بالشوائب وبالعناصر الغريبة ، ثم لا يبقى منها على حرّ النار حين تصهر الا الحر الخالص من جواهرها النافعة :

((انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا . ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله . كذلك يضرب الله الحق والباطل . فاما الزبد فيذهب جفاء . وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ، كذلك يضرب الله الأمثال)) (الرعد ٢٠) .

فالصراع والخلاف الذى تزعم العالمية انها تعمل على محوه هو اذن سر من اسرار الحياة نفسها وناموس من نواميس الله فى خلقه ، يجرى على قدر وينتهى الى غاية ويسوقه تدبير من عليم حكيم . وقد يظهر للمتدبرين من خلق الله بعض المزايا والحكم الخفية التى تحجبها ظواهر بغيضة منفرة . ولكن اعماقها وابعادها وسائرها تظل محجوبة عنا لا يعلمها الا الله . لأن العقل البشرى وحده عاجز عن التمييز بين الحق والباطل ، وبين الخير والشر ، وبين النافع والضار . فالحكم على ذلك كله لا يتيسر الا لمن يعرف الحقيقة كلها بكامل تفاصيلها من اولها الى آخرها . ونحن لا ندرك من الحقائق الا ما نعيشه من اعمارنا القصيرة فى امتداد الزمن الضارب فى اعماق الماضى والممتد الى ما لا يحد من مستقبل الزمان . بل اننا لا ندرك من هذه اللحظات القصيرة الا بعض ما يتاح لنا فى تجاربنا المحدودة فوق كوكب هو بكل ساكنيه لا يزيد عن قطرة ماء فى محيط من الاكوان . ذلك هو اللب والصميم من قول الله جلت حكمته **((كتب عليكم القتال وهو كره لكم . وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم . والله يعلم وأنتم لا تعلمون))** (البقرة ٢١٦) .

وقد كان من مقتضى هذا الناموس الثابت من نواميس الله أن تتعدد المجتمعات البشرية وأن تتنوع فى صفاتها وفى سماتها . فالجماعات البشرية تدرك ذواتها من طريقين : أولهما التقاء كل جماعة منها على صفات عامة تؤلف بينها وتشد بنيانها وتوحد صفوفها فتبدو فى كثرتها كالجسم الواحد ، وثانيهما هو اختلاف كل جماعة فى مجموعها عن غيرها من الجماعات الاخرى لكى تدرك انها ذات معنوية مستقلة عن غيرها من الذوات . فتشابه افرادها يحفظها من التشتت والتفكك ، ومخالفتها لغيرها تحميها من أن تذوب وتنماع . من اجل ذلك حرصت الدول فى تجمعاتها الحديثة على اصطناع ما يعمق هذا الشعور بالذات من الوجهين كليهما . فهى تصطنع الاعلام الخاصة ، والاناشيد الوطنية ، وتعنى بالتاريخ وبالفنون وبالآداب القومية ، التى تبرز شخصيتها وتجمع قلوب الناس واذواقهم على التحمس لها والتعلق بها .

والاسلام — وهو دين الفطرة — يقر بهذا النظام الالهى ، الذى يحفز الى العمل والى التنافس الذى هو سبب العمران ، ويحدد مكان كل عامل فى عمله .. فالعمل — لكى يكون مثمرا وفعالا — يحتاج الى تنظيم ، والتنظيم يقوم على تقسيم العمل ، وربط كل طائفة من العمال بمهمة محددة لا تتجاوزها الى غيرها ولا تسأل الا عنها . من اجل ذلك قامت سنة الله فى الارض على جعل الناس امما وشعوبا وقبائل ، كل امة منها مسئولة عما يليها مما وكلها الله به لا تسأل عن سواه . أما الذى يجىء بعد هذه النظم الارضية فالله أعلم به . وعلينا ان نسلم بحكمته وننقاد لسننه فيما نعلم وفيما لا نعلم . يخاطب الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فى الكتاب المنزل عليه فيقول : **((لكل امة جعلنا منسكا هم ناسكوه ، فلا ينازعنك فى الامر وادع الى ربك . انك لعلى هدى مستقيم . وان جادلوك فقل الله اعلم بما تعملون . الله يحكم بينكم يوم القيامة**

فيما كنتم فيه تختلفون)) (الحج ٦٧ ــ ٦٩) .
وقد حرص الاسلام على تمييز المسلمين من سائر الامم بوصفهم أمة ذات كيان مستقل . فرسول الله صلى الله عليه وسلم ينص في الكتاب الذى كتبه بين المهاجرين والانصار على ان « المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم ، أمة واحدة من دون الناس » « وأن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس » « وأن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله الا على سواء وعدل بينهم » « وأن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم او اثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين . وان أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم » .
وفي سبيل هذا الحرص على تمييزهم من سائر الامم نهاهم عن أن يقلدوا غيرهم في ملبسهم أو عاداتهم فقال صلى الله عليه وسلم « من تشبه بقوم فهو منهم » (رواه أبو داود في كتاب اللباس) . وقال : « ليس منا من تشبه بغيرنا » (رواه الترمذى في كتاب الاستئذان) . وعمد الى مخالفتهم في هيئتهم وأمر المسلمين بالحرص على هذه المخالفة تمييزا لهم من غيرهم . فأمر بقص الشارب واطالة اللحية تمييزا لهم من المشركين الذين كانوا يطيلون شواربهم ويحلقون لحاهم ، وذلك في قوله : « خالفوا المشركين . احفوا الشوارب واعفوا اللحى » (رواه مسلم في كتاب الحيض) . وامر بخضاب اللحية بالحناء تمييزا لهم من اليهود والنصارى الذين كانوا لا يخضبون . فقال : « ان اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » (رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة) . وروى مسلم عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بأبى قحافة رضى الله عنه يوم فتح مكة ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا . فقال رسول الله صلى اللهعليه وسلم « غيروا هذا بشيء . واجتنبوا السواد » .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم من الأيام السبت والأحد ويقول : « إنهما يوما عيد لليهود والنصارى فأحب أن أخالفهم » (رواه البخارى في كتاب الصوم) . وكان صلى الله عليه وسلم يقول « تسحروا فان في السحور بركة » (رواه البخارى في كتاب الصوم . وقال ابن حجر في شرحه « ومما يعلل به استحباب السحور المخالفة لأهل الكتاب ، لأنه ممتنع عندهم . وهذا أحد الوجوه المقتضية للزيادة في الأجور الأخروية » .
وقد دعا الاسلام المسلمين الى أن يكونوا اشداء على الكفار رحماء بينهم . وذلك في قوله تبارك وتعالى **((محمد رسول الله . والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم))** (الفتح ٢٩) . ونهاهم عن اتخاذ الأولياء والأصدقاء من أعداء المسلمين الذين أخرجوهم من ديارهم أو أعانوا على ذلك في قوله تعالى : **((يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء . تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق . يخرجون الرسول وأياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ، ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلى وابتغاء مرضاتى . تسرون اليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم . ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل))** (الممتحنة ١)
وفي مقابل هذه الشدة على العدو أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتراحم فحرم عليهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم . وذلك في خطبة الوداع بمكة يوم النحر ، حيث قال « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا . وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم . فلا ترجعن بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض » (رواه مسلم في كتاب تحريم الدماء) .

ولو تتبعنا الدعوة المبتدعة المعاصرة الى العـــالمية لوجدنا انها ــ على اختلاف صورها وشعبها كما سنبينه من بعد ــ دعوة هدامة مخربة من وجوه كثيرة . أولها أنها تناقض الناموس كما بيناه . ثم ان كل شعبة من شـــعبها تريد أن تكون دينا جديدا يجتمع عليه الناس . ومن أجل ذلك فهى تشترك فى مهاجمة الاديان ، لتحطم سلطانها على قلوب النـــاس وضمائرهم ، حتى تحل محلها الولاء للمذهب الجديد . فهدم الاديان مرحلة لا بد أن يمر بها الداخل فى مذاهبهم لكى يتحقق ما يزعمونه من محو العصبيات التى هى فى زعمهم أصل العداوات والحروب بين الناس والامم . واكثر الناس تأثرا بدعوة العالمية هم الخاملون من الضعفاء ، الذين تقصر هممهم عن الطموح الى وســائل النهوض والأخذ بأسباب القوة والجهاد فى سبيلها ، فيركنون الى أحلام العـــالمية التى تمنيهم بسلام يعطف فيه القوي على الضعيف ، ويكف عن استعباده واستغلاله . وليس أضر بالأمة الضـــعيفة من هذه الاحلام . لأنها تزيدها ضـــعفا على ضعفها ، وتقضى على البقية الباقية من معالم شخصيتها ، اذ تذيبها فى مفهوم شاسع تفقد معه معرفة كنهها وحدود ذاتها ، لأنه يشملها ويشمل أعداءها على السواء . ثـــم ان الدعـــوة تحـــاول بالســـفســـطة أن تجمـــع بين الضدين اللذين لا يجتمعان : القوة والضــــعف ، والقدرة والعجز ، والعمل والكسل . وقد جربنا الكلام عن الانسانية والتسامح والسلام وحقوق الانسان فى عصرنا ، فوجدناه كلاما يصنعه الاقوياء فى وزارات الدعاية والخـــارجية والمستعمرات لينفق عند الضعفاء . فهو بضـــاعة معدة للتصدير الخـــارجى وليست معدة للاستهلاك الداخلى . لا يســـــتفيد منها دائما الا القوى ، لأنها تساعد على تمكينه من استغلال الضعيف الذى يعيش تحت تخدير هذه الدعوات فى ولاء مع مستغله ومستعبده .

تتخذ هذه الدعوات صورا شتى تعود كلها الى أصل واحد . فالماسونية تدعو الى الانسانية ومحبة البشر كلهم بلا تمييز . والمشـــــتغلون باستحضار أرواح الموتى ممن يسمون أنفسهم الروحيين يدعون الى الانسانية والســلام ، ويعتمدون فى ذلك على ما يدعونه مما ينسبونه الى أرواح من يتصلون بهم من مختلف الاجناس والملل . والشيوعية تدعو كذلك الى الانســـانية والسلام . ودعـــاة التوفيق بين الاديان يدعون الى ديانة مبتكـــرة يرتضيهـــا كل الناس . منهم البهائية . ومنهم أصحاب الدعوة الى التوحيد بين الاســـلام والنصرانيـــة . وهناك دعوات أخرى تلبس هذا الثوب نفسه وتدعو الى تعـــــاون البشر كالروبتارى والاسود (الليونز) والتسلح الخلقى وشهود يهوه . وقد يعين على تصور هذه الدعوة العالمية أن نقدم طائفة من النصوص المختلفة على لســـان الداعين بها من مختلف طوائفها .

فمن كلام الماسون ما كتبه أحد كبار رجالهم ــ فى كتابه (النور الأعظم) ، حيث قال « كانت الماسونية عقيدة الانبياء والقديسين والفلاسفة الصالحين فى جميع العهود ، أى عقيدة التوحيد الالهى والايمـــــان باله واحد لا نهـــائى ــ ص ٢ » . ويقول « الماسونية على حقيقتها ليست عمالة لأية ديانة أو عنصرية معينة . انها عقيدة العقائد وفلسفة الفلسفات ، وبالمبادىء الانسانية مزينة . عقيدة الاحرار هى عقيدة لجميع أبناء البشرية دون تمييز أو تفريق . وانها لن تمنح الفضل والاولوية لفريق دون فريق ــ ص ١١٥ » . ويقول « الميمات الثلاث فى الموسوية والمسيحية والمحمدية يجتمعون فى ميم واحد هو ميم الماسونية .

لأن الماسونية عقيدة العقائد وفلسفة الفلسفات . انها تجمع وتوحد المتفرقات والمتشتتات . وان باءى البوذية والبرهمية يجتمعان فى باء البناء ، بناء هيكل المجتمع الانسانى الصالح المنزه من العمالة العنصرية والعملاء . ان ما أورثه الآباء الصالحون للأبناء هو مبادىء الحرية والمساواة والاخاء . ونحن نزيد عليها المحبة والعدالة والعطاء ــ ص ١١٢ » . ويقول عزيز ميرهم ــ وهو ماسونى آخر من كبارهم ــ « ان ما تبغيه الماسونية هو وصول الانسانية شيئا فشيئا الى النظام الامثل الذى تتحقق فيه الحرية بأكمل معانيها ، وتزول معه الفوارق بين الافراد والشعوب ، ويسود فيه العلم والجمال والفضيلة ــ من مقال له فى السياسة الاسبوعية المصرية عدد ١٩٢٦/١٢/١١ م » .

ومن أقوال من يسمون انفسهم (الروحيين) ما رواه احد دعاتهم ــ على لسان احد الارواح المزعومة التى يستحضرونها فى محافلهم : « نحن مرسلون من عند الله كما أرسل المرسلون من قبلنا . غير أن تعاليمنا أرقى من تعاليمهم » ويقول : « محب الانسانية هو الذى يحبها لذاتها . والفيلسوف هو الذى يحب العلم لذاته كذلك . فأمثال هذين الرجلين هم أحباء الله . . فالأول لا يقيد حبه للناس اعتبار لجنس ولا لوطن ولا لاعتقاد ولا لاسم . بل يحيط الانسانية عامة بحبه الخالص . فيحب الناس باعتبارهم اخوانا ، غير مبال بآرائهم الخاصة . . وليس هو الذى لا يحب الا الذين يوافقونه فى الرأى . . والثانى ــ اى الفيلسوف ــ هو الذى خلص من وطأة النظريات فيما يجب أن يكون ، ومن الخضوع للآراء الطائفية والتقاليد المذهبية ، فأصبح حرا من اسر المقررات ومستعدا لقبول الحقيقة مهما كانت ، بشرط أن تقدم عليها البراهين ، باحثا عن مساتير الحكمة الالهية ، فيجد سعادته من وراء هذا البحث ــ من مقال له فى صحيفة (المقتطف) عدد فبراير ١٩٢٠ م ، ضمن سلسلة مقالات فى « اثبات الروح بالمباحث النفسية » .

أما التوفيق بين الاديان ــ وبين المسيحية والاسلام على وجه الخصوص ــ فقد بدأ فى العصر الحديث بمساعى قسيس انجليزى اسمه (أسحق تيلور) ثم ظهرت الدعوة من جديد فى السنوات الاخيرة حين قام جماعة من الامريكان المعروفين بميولهم الصهيونية بعقد مؤتمر للتأليف بين الاسلام والنصرانية فى بيروت سنة ١٩٥٣ م ثم فى الاسكندرية سنة ١٩٥٤ م . وقد كثرت الاقاويل فى أهداف هذه الجماعة وفى مصادر تمويلها . واصدر الحاج أمين الحسينى بيانا اثبت فيه صلة القائمين على هذه الدعوة بالصهيونية العالمية ــ الاتجاهات الوطنية (٢ : ٣١٩ ــ ٣٢٠) .

وروى الطبيب الأديب حسين الهراوى نقلا عن الشيخ حمزة فتح الله ان احد الفرنسيين زار مصر فى أوائل هذا القرن واخذ يفاوض اعلام الاسلام فى فكرة توحيد الاديان حتى لقى الشيخ حسن الطويل ــ أحد علماء الازهر البارزين ــ وكان يتناول طعام الافطار فولا مدمسا وبصلا وخبزا . واخذ المبعوث الفرنسى يحدث الشيخ عن فكرته قائلا : ان الفرق بين الاديان لا يتجاوز مسألة هينة غير أساسية ، وان الغرض من الاديان هو الدعوة الى الخير والنهى عن الشر . والشيخ ماض فى طعامه لا يكاد يلتفت اليه . فلما فرغ الفرنسى من حديثه وفرغ الشيخ من طعامه وكرع من قلة ماء بجواره ، لم يزد على أن قال : هل لك يا خواجة فى اكلة لذيذة من الفول المدمس . . ؟ فانصرف الداعية الفرنسى خجلا يجر أذيال الفشل . . !!

اما الشيوعية فدعوتها الى الانسانية والسلام تتخذ شكلا آخر . فالانسانية عندها محصورة فى تقسيم الارزاق بين الناس بالتساوى ، مع اهمال الدين اهمالا كاملا ، لأنه فى نظرهم اسطورة ومخدر يستغله أصحاب الجاه والثروة والسلطان لتسكين هياج الفقراء والمحرومين واقناعهم بقبول حالتهم والرضا بفقرهم وحرمانهم . وهى دعوة عالمية لأنها — بعد أن أنكرت الأديان — تدعو الناس جميعا الى اعتناقها لتحقيق السلام ، من طريق اتحاد الطبقات العاملة فى كل البلاد ، لأن صانعى الحروب فى زعمها هم أصحاب رءوس الاموال من ملاك المصانع ، وعلى رأسها مصانع الاسلحة . وليس ههنا مجال الرد على دعاواهم .

ويكفى أن نقول فى ايجاز ان دعوتهم تنزل بالنوع البشرى الى الحيوانية لأنها تهمل الجانب الروحى فى الانسان ، الذى هو به انسان ، وتخاطب الجانب الشهوانى منه ، الذى يستوى فيه مع الحيوان . أما المساواة بين الناس فهى خرافة لا سبيل الى تحقيقها لأنها مخالفة للناموس . فالناس متباينون قوة بدن وذكاء وخلقا وفطرة . والله سبحانه وتعالى يقول فى محكم كتابه : ((**وهو الذى جعلكم خلائف الارض ، ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم . ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم**)) (الانعام ١٦٥) . ويقول جلت حكمته : ((**والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق . فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء . افبنعمة الله يجحدون**)) (النحل ٧١) . ويقول : ((**اهم يقسمون رحمة ربك . نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا . ورحمة ربك خير مما يجمعون . ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون ، ولبيوتهم أبوابا وسررا عليها يتكئون . وزخرفا وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين**)) (الزخرف ٣٢ — ٣٥) .

ثم ان الشيوعية لا تلغى الطبقية ، لانها بتعصبها للطبقة العاملة واعتمادها عليها تصبح — على غير ما تزعمه — دعوة طبقية من نوع جديد . ولا تحقق السلام ، لأنها تقوم على اختلاق الحزازات بين الطبقات وتأليب بعضهم على بعض ، والمجتمع الانسانى المطمئن لا يقوم الا على التواد والتراحم والتراضى .

ومع ذلك كله فالدارس لهذه الدعوات العالمية على اختلافها يستطيع أن يدرك بوضوح انها شديدة الصلة بالصهيونية العالمية التى تتوسل الى السيطرة بمحو العصبيات على اختلافها ، لأنها هى العقبة الكبرى التى تحول دون تغلغلها فى المجتمعات والمؤسسات ، ولأن المجتمعات البشرية اذا فقدت شخصياتها وعصبياتها اصبحت قطعانا من الاغنام يسهل على اليهود الذين يحافظون على عصبيتهم الدينية والقومية أن يسوقوها الى حيث يريدون .

من اجل ذلك فضلت أن أجعل العنوان (الاسلام والعالمية) بدلا من العنوان المقترح وهو (عالمية الاسلام) . ذلك لأن استعمال الالفاظ التى جرت مجرى الاصطلاح بين المذاهب المعاصرة المتصارعة كالعالمية والاشتراكية والديمقراطية فى وصف الاسلام وتحديد سماته خطأ جسيم . فهذه الكلمات ترتبط فى الاذهان ارتباطا وثيقا بالاصول المذهبية والظروف التاريخية والاجتماعية التى احاطت بنشأتها وتطورها . ومع ما هو مسلم من حسن النية عند بعض الذين يستعملون هذه المصطلحات الحديثة لتحبيب الاسلام الى جيل الشباب المفتون بها فان اثم استعمالها أكبر من نفعه . لأنها تزن الاسلام بموازين غير اسلامية فتزيد

ما وقر في نفوس هؤلاء المفتونين من الافتتان بكل ما يجيء عن الحضـــــارة الغربية . فكأن الاسلام لا يصح الا حيث يطابق الفكر الغربي والنظم الغربية . والعكس عند المسلمين هو الصحيح وهو ما ينبغي أن يكون . فهذه النظم على اختلافها ، قديمها وحديثها ، لا تصح عندنا ولا تجوز في اذواقنا وعقولنا الا اذا وافقت الاســــلام . وفرق كبير بين أن يتحدث كاتب أو مفكر عن (عالمية الاسلام) أو (العالمية في الاسلام) . وبين أن يتحدث عن (الاسلام والعالمية) أو (العالمية والاسلام) .

ففي الحالة الاولى يفترض الكاتب أو المفكر منذ البدء ان الاسلام عالمي بكل ما تحمل الكلمة من معان مذهبية اصطلاحية . أما في الحالة الثانية فهو يتحدث عن الاسلام بوصفه دينا مستقلا ومذهبا في الحياة ذا كيان قائم بذاته لا يقبل تبديلا أو تعديلا ، لأنه وحي من عند الله ، قد ثبتت أصـــوله وكملت ، وتمت بكمالها نعمة الله على المسلمين الذين رضي الله لهم الاسلام دينا . ثم هو على سبيل المقارنة والحكم على المذاهب الجديدة بالصحة أو الفساد يزن (العالمية) بموازين الاسلام .

واذا كانت العالمية هي ما ذكرناه في وصفها وفي بيان صورها المختلفة وحقيقة أهدافها ، فأي شيء منها يصح في الاسلام ؟ وما الذي يعنيه المتحدث عن الاسلام) أو (العالمية في الاسلام) وبين أن يتحدث عن (الاسلام والعالمية) أو (العالمية والاسلام) .

الاسلام دين عالمي بمعنى أنه رسالة موجهة لأهل الارض جميعا تدعوهم الى الدخول فيه . والنصوص القرآنية صريحة في ذلك تؤكد عموم الرســـالة الاسلامية ، في مقابل قومية الرسالات الاخرى . ومنها على سبيل المثال قوله تعالى يخاطب رسوله صلى الله عليه وسلـم « **وأرسلناك للناس رســولا وكفى بالله شهيدا** » (النساء ٧٩) ، وقوله تعالى : « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » (الانبياء ١٠٧) ، وقوله تعالى : « **وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا** » (سبأ ٢٨) . وقوله تعالى مخاطبا رسوله صلى الله عليه وسلم : « **قل يا أيهـا الناس انى رسول الله اليكم جميعا** » (الاعراف ١٥٨) .

وفي مقابل وصف الرسالة الاسلامية بانها موجهة (للناس) و (للعالمين) و (للناس كافة) و (للناس جميعا) ، وصفت الرسالات الاخرى بانها موجهة لأقوام بأعيانهم . فمن ذلك على سبيل المثال قوله تعالى : « **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه** » (هود ٩٧) ، وقوله تعالى : « **اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيهـا في الدنيا والآخرة ومن المقربين .. ورســـولا الى بني اسرائيل** » (آل عمران ٤٥ ـــ ٤٩) ، وقوله تعالى : « **وان يونس لمن المرسلين .. وأرســلناه الى مائة ألف أو يزيدون** » (الصافات ١٣٩ ـــ ١٤٧) ، وقوله تعالى : « **انا أرسلنا نوحا الى قومه أن أنذر قومك من قبــل ان يأتيهم عذاب أليم** » (نوح ١ ، ٢) وقوله تعالى : « **كذبت عاد المرسلين ، اذ قال لهم أخوهم هود الا تتقون . انى لــكم رسول أمين** » (الشعراء ١٢٣ ـــ ١٢٥) ومثل ذلك في ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة : « **كذبت ثمود المرســلين . اذ قال لهم أخوهم صالح الا تتقون . انى لكم رسول أمين** » (الشعراء ١٤١ ـــ ١٤٣) و « **كذبت قوم لوط المرسلين . اذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون . انى لكم رسول أمين** » (الشـــعراء ١٦٠ ـــ ١٦٢) و « **كذب أصحاب الأيكة المرسلين . اذ قال لهم شــعيب الا تتقون . انى لــكم رسول أمين** » (الشعراء ١٧٦ ـــ ١٧٨) .

وعموم الرسالة وشمولها للناس كافة ظاهر في دعوة أهل الديانات السماوية السابقة للدخول في الاسلام ، الذي يؤكد ما بين ايديهم من الـــكتب

ويصدقه ، ويصحح ما انحرف به الناس عن وجهه فيها . وهو ما توضحه الآيات الآتية :

« **قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ،ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا مسلمون** » (آل عمران ٦٤) .

« **يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما أنزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على ادبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت . وكان أمر الله مفعولا** » (النساء ٤٧) .

« **يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق . انما المسيح بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه . فآمنوا بالله ورسله . ولا تقولوا ثلاثة . انتهوا خيرا لكم . انما الله اله واحد . سبحانه أن يكون له ولد . له ما فى السموات وما فى الارض . وكفى بالله وكيلا** » (النساء ١٧١) .

« **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير . قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم** » (المائدة ١٥ ، ١٦) .

« **يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير . فقد جاءكم بشير ونذير . والله على كل شىء قدير** » (المائدة ١٩) .

« **قل يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق . ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل** » (المائدة ٧٧) .

وقد كان من مقتضيات هذا العموم فى رسالة الاسلام ان يكون خاتم رسالات الله للناس . وبه تمت نعمته عليهم . وهو ما يؤكده القرآن الكريم فى قوله تعالى : « **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم . ولكن رسول الله وخاتم النبيين . وكان الله بكل شىء عليما** » (الاحزاب ٤٠) ، وفى قوله تعالى ، وهو من أواخر ما انزل على رسوله . أنزل فى حجة الوداع فى عرفات فى يوم جمعة كما رواه مسلم عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه « **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** » (المائدة ٣) .

وقد كان ادراك رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الشمول والعموم واضحا فى ارساله الكتب الى كسرى فارس والى قيصر الروم والى نجاشى الحبشة والى المقوقس حاكم مصر بعد صلح الحديبية يدعوهم الى الاسلام ، ثم بإعداده لغزو الروم فى مؤتة سنة ٨ هـ وفى تبوك سنة ٩ هـ .

فالاسلام عالمى بهذا المعنى الذى يتضمنه شمول رسالته وعمومها ، وبتسويته بين المسلمين على اختلاف أجناسهم ، وصهرهم فى أمة واحدة لا يتفاضل الناس فيها بحسب أو نسب أو لون . وهو أصرح ما يكون فى قوله تعالى : « **يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان أكرمكم عند الله أتقاكم . ان الله عليم خبير** » (الحجرات ١٣) . قيل فى سبب نزولها ان بلالا — وهو حبشى — حين رقى على ظهر الكعبة يوم الفتح فأذن ، قال بعض الناس : أهذا العبد الاسود يؤذن على ظهر الكعبة ؟ فقال بعضهم : ان يسخط الله هذا يغيره . ففى ذلك نزلت الآية . وقيل انها نزلت فى أبى هند . أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى بياضة أن

يزوجوه امراة منهم . فقالوا : يا رسول الله نزوج بناتنا موالينا .. ؟!
وسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحاديثه تؤكد هذه المساواة التامة بين المسلمين على اختلاف أجناسهم . فهو يقول « ان أمر عليكم عبد أسود يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا » (رواه مسلم فى كتاب الامارة) .
وروى مسلم أن أبا سفيان أتى على سلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى فى نفر — وكان ذلك بعد صلح الحديبية قبل اسلامه . وهو كما هو معروف صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنته أم حبيبة زوج النبى — فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها . فقال أبو بكر : اتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره بالذى كان . فقال : يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ؟! لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك . فأتاهم أبو بكر فقال : يا اخوتاه ! أغضبتكم ؟ فقالوا : لا . ويغفر الله لك يا أخى .
ودخل اعرابى على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المدينة فوجد سلمان وصهيبا وبلالا وسالما مولى بنى حذيفة . فقال لهم : تحلقتم يا معشر العلجة كأنكم من الأوس أو الخزرج ؟! وسعد بن ابى وقاص يصلى ويسمع كلامه . فعجل وسلم . ثم قام الى الاعرابى فلببه بردائه وقال : يا عدو نفسه . تقول هذا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فذهب به سعد الى رسول الله واخبره بمقالته . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فزعا . فحمد الله واثنى عليه ثم قال : « يا أيها الناس . ان الرب واحد . وان الدين واحد ، والأب واحد . ومن أسرع به عمله لم يبطىء به نسبه . ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه . ومن دخل فى هذا الدين فهو من العرب » . فقال سعد : ما أصنع بهذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ادخره للنار . قال سعد رضى الله عنه : فلقد رأيته ارتد مع مسيلمة فقتل معه كافرا .

ومن اجل ان الاسلام هو دين الناس كلهم اجمعين على اختلاف الازمنة والامكنة كان دين يسر لا يشدد على الناس ولا يكلفهم ما يشق عليهم . وذلك ليكون ملائما لهم على اختلاف طاقاتهم وتباين ظروف حياتهم ، فى فراغ البداوة وبساطتها ، وفى مشاغل المدنية وتعقيداتها . فالاسلام دين الفطرة التى فطر الله عليها الناس جميعا . يقدر ضعف الانسان فلا يؤاخذه على الخطأ والنسيان والاضطرار ، ولا يكلفه من العبادة فوق ما يطيق . فالارض لهم مسجد . اينما كانوا اقاموا الصلاة . لا يكلفون بأدائها فى داخل دار خاصة بالعبادة . ويؤمهم فى صلاة الجماعة من هو أهل للامامة التى لا تقتصر على طائفة بعينها من رجال الدين . ومن لم يجد ماء فليتيمم . ومن كان مسافرا أبيح له أن يقصر صلاته ، فيصلى الرباعية ركعتين ، كما أبيح له أن يجمع بين الظهر والعصر جمع تقديم ، وبين المغرب والعشاء جمع تأخير . وأبيح لهم فى الحرب أن يصلوا الرباعية ركعة واحدة فى صلاة الخوف . وعند التحام الصفوف أبيح لهم أن يؤدوها كيفما تيسرت ، رجالا أو ركبانا ، لا يشترط فيها ركوع ولا سجود ولا استقبال قبلة . ويحج المسلم فيؤدى شعائر الحج لا سلطان فيها لسادن أو كاهن . ويدعو الله فيما شاء ، فى وقت الصلاة وفى غير وقت الصلاة . ويتوب اليه ويستغفره من ذنوبه متجها اليه بقلبه وحده دون وسيط .
والله سبحانه وتعالى يدعو عباده الذين أسرفوا فى المعصية الى الوقوف

بباب رحمته ، فيقول جل شانه : **« قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله . ان الله يغفر الذنوب جميعا . انه هو الغفور الرحيم »** (الزمر ٥٣) . ويقول : **« واذا سالك عبادى عنى فانى قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان . فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون »** (البقرة ١٨٦) .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « والذى نفسى بيده ، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » (رواه مسلم فى كتاب التوبة) . وروى مسلم أن رجلا قدم على رسول الله فى المسجد فقال : يا رسول الله . انى أصبت حدا فأقمه على . فسكت عنه . ثم أعاد . فسكت عنه . وقال ثالثة ، فأقيمت الصلاة ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم لها . فلما قضى صلاته وهم بالانصراف تبعه الرجل ، فقال : يا رسول الله أنى أصبت حدا فأقمه على . فقال له رسول الله : « أرأيت حين خرجت من بيتك ، أليس قد توضأت فأحسنت الوضوء ؟ » فقال : بلى يا رسول الله . قال « ثم شهدت الصلاة معنا ؟ » قال : نعم يا رسول الله . قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فان الله قد غفر لك ذنبك » .

يرسم الاسلام للمسلمين الطريق الى المثل الاعلى ، ولكنه يكتفى من اسلامهم بما يطيقه أضعفهم . والطريق بعد ذلك مفتوح لمن أراد المزيد . فهم فى اسلامهم درجات . وكلهم على اختلاف درجاتهم وطاقاتهم واستعدادهم مسلمون ، لا حق لأحد منهم فى أن يتعالى على صاحبه أو يستطيل بسبب ذلك ، لأن الدين لله والعبادة خالصة له ، وليست وسيلة الى الاستعلاء على الناس .

والفرق واضح بين هذه الروح الاسلامية فى عمومها وشمولها وعالميتها التى تزيل كل احساس بالتفوق على أساس من النسب أو الجنس ، والتى تحفظ على الناس انسانيتهم ، فتنهى عن قتل الاسرى ، وتمنع فى الحروب من التعرض للنساء وللشيوخ وللاطفال ولرجال الدين من غير المقاتلين . وتحرم اجبار اليهود والنصارى على ترك دينهم ، وتمنع من هدم دور عبادتهم أو المساس بها ، وتأمر باقامة العدل بينهم وبين المسلمين على سواء . الفرق واضح بين الاسلام فى روحه الانسانية هذه وفى عالميته الشاملة وبين العنصرية اليهودية التى تعتبر الدين اليهودى مقصورا على بنى اسرائيل لا يتعداهم الى سواهم ــ واسرائيل كما هو معروف هو سيدنا يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ــ ولذلك فهم لا يبشرون بدينهم ولا يعملون على نشره فى خارج مجتمعهم المغلق هذا . لأن الشعوب الاخرى أو من يسمونهم الجوييم **Goyim** لم يخلقوا فى عقيدتهم الا لخدمة بنىاسرائيل . و (يهوه) هو الههم وحدهم ، ومن عداهم من الشعوب محروم من رحمته . وهم يستبيحون فى حقهم كل شىء مما لا تبيحه ديانتهم فى حق اليهودى . ينهبون أموالهم ويسفكون دماءهم ويتقربون الى الههم بتعذيبهم والتنكيل بهم .

ذلك هو الاسلام . وتلك هى حدود عالميته . عالمية تفتح بابها لكل طارق ، ولا تغلقه دون قاصد . ولكنها تدرك حدود ذاتها ادراكا يميزها من غيرها ويمنعها أن تذوب فيه . وتعد أسباب القوة لتكون كلمة الله هى العليا ولكنها لا تسىء استعمالها . ورحم الله شوقى اذ يقول :

كم من غزاة للرسول كريمة ... فيها رضى للحق أو اعلاء
كانت لجند الله فيها شدة ... فى اثرها للعالمين رخاء
ضربوا الضلالة ضربة ذهبت بها ... فعلى الجهالة والضلال عفاء
دعموا على الحرب السلام وطالما ... حقنت دماء فى الزمان دماء



بقلم الأستاذ أنور الجندى

كان السيد صلاح الدين السلجوقى علامة أفغانستان وفيلسوفها الاسلامى الكبير بعد نفسه من تلاميذ جمال الدين وخلفائه ويتابع نهجه فى الفكر والبحث ، ويربط فكره به ، بل لعل مولد السلجوقى قريبا من العام الذى توفى فيه جمال الدين الافغانى (وقد توفى جمال الدين ١٨٩٧) كان يمده دائما بذلك الالتقاء والمتابعة والاعجاب الباهر .

وقد اختتمت يوم ٩ ربيع الآخر ١٣٩٠ (١٤ يونيه ١٩٧٠) حياة هذا العلامة الذى كان من ابرز العاملين على الربط بين العروبة والاسلام وبين الأفغان والأمة العربية ، ومن الداعين الى احياء مفاهيم الاسلام وقيمه والاعجاب باللغة العربية وحبها ودعم العلاقات بين أجزاء الوطن الاسلامى — ليس على مستوى

السفراء والعمل السياسي وحده — وإنما عن طريق ذلك اللقاء الفكري والروحي والأدبي القائم بين أجزاء العالم الاسلامي بوصفها أمة واحدة يجمعها فكر موحد هو الفكر الاسلامي المستمد من القرآن الكريم .

وقد أمضى (صلاح الدين السلجوقي) حياة عملية نشطة فقد تولى منصب الافتاء في هرات وعمل استاذا في كليتي الحبيبة والمعلمين في كابل ، ثم عمل مديرا للمعارف في هرات ثم سفيرا لبلاده في نيودلهي وكراتشي والقاهرة ، ثم كانت له مشاركاته الواسعة في أعمال المجمع اللغوي والمجلس الاعلى الاسلامي ، وعدد من الهيئات العلمية خلال فترة اقامته في القاهرة ، ويبدو أن هذه الفترة كانت خصبة فقد كتب فيها السلجوقي عددا كبيرا من الدراسات وتناول أبعاد الفكر الاسلامي في اتصاله بالحضارة والعصر على نحو بالغ العمق والقوة والتمكن . وقد امتدت اقامته في القاهرة حتى عام ١٩٦٣ حين اختار العودة الى بلاده والتفرغ لحياته الخاصة ، ولا ندري ماذا كتب في خلال هذه الفترة من بعد الى أن اختار جوار ربه ، ولكن ما بين أيدينا من آرائه وأفكاره كفيل بأن يشكل مفهوما كاملا لفلسفته وعقيدته .. فهو جامع بين الدراسات الاسلامية والفلسفات الحديثة والقديمة ، متصل بأحدث نظريات العلم وآراء الفلاسفة ، وهو في كل دراساته وأبحاثه يصدر عن الاسلام نفسه في أصفى مفاهيمه وعقائده ، من حيث هو حاكم ومسيطر ، ومن حيث خضوع كل هذه المذاهب والفلسفات في أعماق نفسه لعقيدة التوحيد أساسا .

وسطية الاسلام

ويقرر السلجوقي وسطية الاسلام بين الفردية والجماعية ، ويقول ان الله سبحانة وتعالى بعث محمدا عليه الصلاة والسلام وأنزل عليه الفرقان الذي قضى على الافراط والتفريط في الفردية والاشتراكية ، وهما اللذان كانا في صراع دائم لا يعرفان الوسط السليم ولا يعترفان به فالفرد في الاسلام له حق وعليه واجب نحو فرديته ومجتمعه سواء بسواء . فهو يتأمل فرديا ويعمل اجتماعيا ، ويرعى نفسه ويكون مسئولا عن رعيته ، ويشاور الجماعة في الأمر ، واذا عزم عند الضرورة توكل على الله ، وله حق الكسب والتملك والتمتع بالمال ولكن عليه أن يؤدي الزكاة والصدقات المتنوعة والتبرعات المتتالية ، حتى لا يدخر رأس مال كبير وبعد موته يقسم ماله بين الورثة ولا يبقى هناك شيء يذكر جدير بأن يسمى (رأس المال) ولا ينسى نصيب نفسه من الدنيا ، فينعشها بالغذاء ، ويقويها بالرياضة ويزينها بالعلم ، ولو كان في الصين ، ولكن حينما تستدعيه حاجة المجتمع فانه يقدم هذه النفس المكتملة الراضية المطمئنة الى التضحية ، مؤمنا بأن هذه التضحية هي حياة له ، وان الهرب منها معناه القاء نفسه بيديه الى التهلكة ومن ناحيةأخرى فان من قتل نفسا بريئة بغير حق فكأنما قتل

الناس جميعا ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا .

فالمسلم فرد فى المجتمع ، ومجتمع فى الفرد ، لأنه يكون دائما مع عشيرته وأهله ، ومع ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، ومع الشعب فى الرأى والحكم والدفاع والتعمير والاصلاح .

وكان هذا هو السبب الاصلى فى نشر الدين الاسلامى واعلاء شأن دولته التى كانت مبنية على العلم والفضيلة والحق والخير والجمال والكمال ، والتى كان الفرد فيها مقوما للمجتمع ، والمجتمع محصلا للفرد ، لأنه اذا لم يكن هناك فرد لا يوجد حق ، واذا لم يكن مجتمع فلا يتحقق واجب .

فالانسانية التى تطير بجناحين جناح الحق وجناح الواجب ، لا يمكن لها أن تطير بجناح واحد ، لأن الفرد المندمج فى المجتمع اجير مثقل بالواجبات ومسلوب الحقوق ، وليس من المتوقع منه أن يكون حرا فى تصرفاته ، ويكون المجتمع المؤلف من هؤلاء الافراد أشبه بخلية النحل ، لا أمل لهم فى الرقى ، وهكذا الفرد الذاهل ، الناسى للمجتمع ، يكون منتفخا متورما بالحقوق دون أن يكون لديه أية نزعة لاداء الواجب . ولا يمكن من قبل هؤلاء الافراد أن يتحقق مجتمع متناسق ، اللهم الا أن يكون محشرا للظلمة والمظلومين ، ومن أجل هذا نجح الاسلام فى بناء مجتمع اسلامى زاهر ، شعاره الاعتصام بحد الوسط بين الفرد والمجتمع ، والجمع بين الحق والواجب ، بل ان هذا الشعار امتد نوره كشبه ظل على الأمم غير الاسلامية ، وقلدت من بين ما قلدت من افكارنا ، هذا الشعار أيضا . وكان التناسق بين الفرد والمجتمع ملحوظا فى الدول غير الاسلامية ، لأنها بعد ما شاعت تلك الفكرة لم يكن من المستطاع لأية دولة ان تصرف النظر عنها . »

ويخلص السلجوقى من هذا العرض الشيق الى اقرار حقيقة واضحة هى :

بدأ الاسلام باول كلمة منه ــ الا يعبد الا الله ولا يخضع لأى حول أو قوة فردية أو جماعية غير حول الله وقوته والا يطمع أو يخاف الا من الله الغنى القوى ، لأن أمة الاسلام هى الوسط ، وهى خير امة أخرجت للناس بين الأمم ، تامر بالمعروف وتنهى عن المنكر ، ولا تقول غير الحق ، ولا تعمل الا للخير ، ولا تشترى بآيات الله من الحرية والدفاع عن الحق والخير والتعاون على البر والتقوى ــ ثمنا قليلا .

اخوة العروبة والاسلام

ويتحدث العلامة السلجوقى فى ابحاثه عن أخوة العروبة والاسلام : ويصور محبة الافغانيين للعرب ومفاخرتهم بالقرآن الكريم ، فالافغانيون لم يأخذوا العقيدة التى حملها لهم العرب فحسب ، بل اخذوا لسانهم العربى المبين وحتى القرن الرابع للهجرة كانت اللغة العربية هى اللسان الرسمى ولا تزال اللغة

العربية حتى يومنا هذا لساننا الدينى والعلمى .

« لقد فتح جنكيز خان افغانستان عنوة وغصبا ، وبعد معارك عنيفة ومذابح دموية ، وكذلك دخل الانجليز البلاد ، وما لبث الافغانيون أن أبادوهم على بكرة أبيهم . ولكن العرب حملة لواء الاسلام فتحوا ديارنا بمبادئهم السامية ففتح لهم الافغانيون قلوبهم وصدورهم ، متقبلين لهذه التعاليم ، حتى أنه عندما ضعف مركز العرب ومركز الخلافة ، وتوقفا عن نشر الحضارة الاسلامية ، كنا نحن معشر الافغانيين المبشرين بهذه الحضارة والناشرين لها والمجاهدين فى سبيلها فى أنحاء العالم » .

والعرب هم اخواننا الذين سبقونا بالايمان ..

وثقافة افغانستان الآن عربية ، وفى اللغة الافغانية نحو ثلاثين فى المائة من الالفاظ العربية ، ولا توجد هناك غير لغة علمية واحدة ، وهى اللغة العربية ، وكل كتب العلم والدين والفلسفة والمنطق والحكمة والكلام والمحاضرات باللغة العربية .

اللغة العربية

ويعنى العلامة السلجوقى باللغة العربية ويرى انها ليست لغة العرب وحدهم ، « انها لغة يصلى ويدعو بها اكثر من خمسمائة مليون مسلم ، انها لغة القرآن الكريم الذى انزل على المسلمين كافة ، أنزل عليهم وهداهم الى صراط مستقيم . وكما أن على جميع المسلمين واجبات نحو لغة القرآن فان له أيضا حقوق علينا لأننا معشر الأعجام خدمناها اكثر من العرب ، وأفغانستان التى كانت معروفة فى صدر التاريخ باسم (خراسان) قد اعتنقت عن طواعية الاسلام الذى جاء به أصدقاؤها العرب وحاولت ان تتحد بالشعور والعقيدة معهم .

فهذا القرآن الكريم معاشر العرب يجمعنا واياكم بل يحفظنا واياكم كما حفظ كيانكم وحمى اللغة العربية من الاندثار ، وأنا كمسلم لا اعتقد بفضل العربى على العجمى أو بالعكس ، ولكى لا أنكر أن المركز اللغوى والثقافى هو بين العرب لا بين العجم ، فاذا ما فقد المركز جاذبيته ونقطة ارتكازه فلا شك فى أن المحيط يتلاشى بتلاشى المركز .

. . .

ويدعو السلجوقى الى القضاء على العامية فى اللغة العربية « هذه العامية تنزل بمستوى اللغة العربية المبين ، وتقضى على ما فيها من عذوبة وسعة نطاق ونظام ، وتخلق برزخا واسعا بينكم وبين القرآن وبينكم وبين ثقافتكم والألوف من علمائكم والملايين من كتبكم التى كتبها لكم آباؤكم الكلام من العرب واخوانكم الأعزة من الأعاجم . وفضلا عن ذلك فهى توسع الهوة بين الأمم العربية يوما فيوما ، الى أن تنقسم الى أمم

متباينة فى الفهم والافهام ، كما هو واقع الآن بين الأمم الآرية .

واللغة العربية فى ديار الاسلام شأنها كشأن اللغة اللاتينية فى أوروبا ، والفارق بينهما أن اللغة العربية ستدوم ، وستظل دعامة للعلم والأدب فى هذه الديار ما دام القرآن والدين والصلاة وملايين الكتب تؤيدها من بين يديها ومن خلفها .

فلسفة الوجودية

ويتحدث العلامة السلجوقى عن فلسفة الوجودية فيقول : ان الوجودية آخر معركة فاشلة قامت بين الفردية المفرطة والاشتراكية المحضة ، وهذا الصراع بدأ بين افلاطون وارسطو ولكن بطريقة علمية ومن غير افراط .

الوجودية فكرة مأخوذة من « وحدة الوجود » ولكنها نسخة ممسوخة مشوهة منها لأنها تنعقد على شعار (أنا الأعلى) ولكنها تنزله من العلو الى أسفل سافلين ، والعجب أن (أنا الأعلى) الذى يجب الا يكون مسئولا يعتبر مسئولا فى عقيدتهم ، والأعجب هو أن (أنا الأعلى) مع كمال مسئوليته أباحى محض ، فهذه ظلمات ثلاث بعضها فوق بعض فالوجودية موت لعلم الاجتماع وانحلال للفلسفة .

الفن فى مفهوم الاسلام

ويحدد العلامة السلجوقى مفهوم الفن فى الاسلام فيرى أنه بعد عن التماثيل والأنصاب والمجسمات المنحوتة وأنه أقرب من الشعر وعلوم البلاغة .

« ان الاسلام قلب قائمة الفن راسا على عقب ، ووضع فن الشعر والبيان والأدب فى مقدمة القائمة ، لأن بحر التفكير الزاخر ، ومحيط التأمل الفائض ، وبسيط القلب الذى لم يخلق الله عالما أوسع منه ، لا يمكن أن تصاد حيتانها المماردة الشاردة من أى ملامس حسية وملابس عادية ، الا بشص « القلم » وشبكة « ما يسطرون » فالرائد والقائد لشعبات الفن عند الاسلام هما فن البيان وصناعة الشعر ولا غرو فان من البيان لسحرا وان من الشعر لحكمة . »

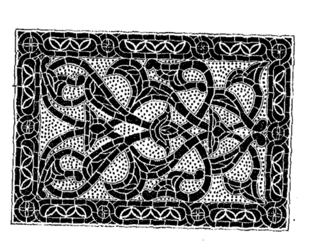
ويتصل حديثه عن الفن الرخيص المعاصر فيقول :

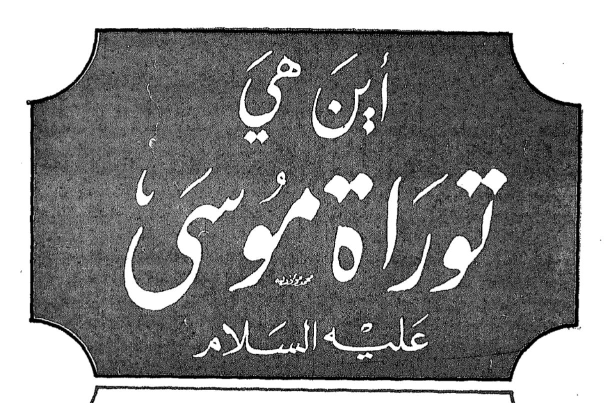
أنا لست أنكر الفن ولكن ليس كل ما يكتب على الورق أو يظهر على المسرح ، يسمى فنا بمعنى الكلمة ومن جهة أخرى ، لا ينبغى أن يكون كل شىء فنا ، أو أن يكون الفن كل شىء ، فاذا ما طغى الفن الرومانسى وتغلب على شئون الحياة فمعنى ذلك موت روح الحكم على الاشياء وخنق الانتحاب الاخلاقى فى الانسان ، زد على ذلك أن الفن الرخيص يهبط

بمستوى الفكر وسطح البرهان .
وهناك فى هوليود متجر كبير ليوسف الفن ، يبيع ويشترى بثمن بخس ، بقصد استغلال القرائح الشابة الغائرة فى العالم وتسنده من ورائه سياسة هوجاء ، ووراء هذين غرائز هائجة ملتهبة ، ظلمات ثلاث ، بعضها فوق بعض ، فعلى المجتمع أن ينأى بجانبه عن هذه السفاسف ، وأن يتوجه الى الآثار الطيبة الخالدة ، سواء فى الشرق أو فى الغرب ، لا الى قصص الأولين وأساطيرهم ، ان فى الشرق لآثارا خالدة عظيمة الفائدة يطلق عليها أعداء اللغة العربية اسم (الكتب ذات الاوراق الصفراء) وفيها جواهر ثمينة انا لست انكر أنه يوجد الغث والسمين فى كل اثر شرقى أو غربى . ولكن علينا أن نعمل بالمثل (خذ ما صفا ودع ما كدر) .
ان الحضارة الغربية النشيطة قد نفذت ، مع الأسف ، الى كياننا الثقافى وأثرت فيه ، بل لقد أثرت فى تقاليدنا ولذا فليس لنا أن نبذل جهودا أخرى فى ترجمة انتاج الشعراء والقصصيين والمسرحيين الغربيين ، بل علينا أن نولى وجوهنا شطر المشرق ، وأن نعمل على المحافظة على آثارنا القيمة التى تموت بموتها ، وان نحميها من أن تسقط صريعة زحف الحضارة الأوروبية . »

• • •

هذه جماع فلسفة العلامة صلاح الدين السلجوقى ، وهى فلسفة اسلامية اصيلة عميقة الجذور ، كاشفة لإيمان عميق بالاسلام واستشراف للفكر الغربى الحديث ، وقدرة واضحة على رسم منهج صحيح ، يعيش به المسلمون والعرب فى نطاق فكرهم ومزاجهم النفسى دون أن ينعزلوا عن مجتمعهم أو يذوبوا فى مجتمعات غيرهم .
ومن هنا تبدو اصالة فكر السلجوقى وسلامة عقائده ومفاهيمه رحمه الله رحمة واسعة .





للأستاذ محمـــد عزة دروزة

يقع كثير من الناس بل معظم الناس ومنهم باحثون وعلماء فى الخطأ . اذ يطلقون كلمة التوراة على ما فى أيدى اليهود والنصارى من أسفار العهد القديم أو بعضها . ويشترك فى ذلك معظم المسلمين ومنهم باحثون وعلماء .

ولقد اجتهدنا فى التنبيه على هذا الخطأ ووضع الأمر فيه فى نصابه الحق فى تفسيرنا (التفسير الحديث) وفى كتابنا (القرآن والمبشرون) ولكن الخطأ يظل ممارسا ، وآخر ما قرأنا ذلك فى مقال لاحد فضلاء المسلمين نشر فى مجلة الوعى الاسلامى . فرأينـــا انـــه قد يكون من المفيد التنبيه على ذلك فى مجلة اسلامية واسعة الانتشار مثل الوعى حيث يؤمل ان يكون فى ذلـــك حسم إن شاء الله .

ولقد كان انطلاقنا فى تنبيهنا من القرآن الكريم من جهة ومن واقع ما فى أيدى اليهود والنصارى من أسفار من جهة أخرى .

ولقد ذكرت التوراة فى القرآن الكريم مرات كثيرة ، منها ما جاء مـــع الانجيل مثل آيات آل عمران هذه ((**نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان** » وآيـــة سورة المائدة هذه « **قل يا أهل الكتاب لستم على شىء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم**)) . . . ومنها ما ذكرت فيه لحدتها كما جـــاء فى آيـــة سورة آل عمران هذه ((**كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل إلا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتـــوا بالتوراة فاتلوهـــا ان كنتـــم صادقين ٩٣**)) وكما جاء فى آيات سورة المائدة هذه (**وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين . انا أنزلنـــا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب اللـــه وكانوا عليه شهـــداء فلا تخشوهـــم**

واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هـم الكافرون . وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة لـه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئـك هم الظالمون ٤٣ ـ ٤٥) ..

ولا يجمع القرآن الكريم بين التوراة وموسى عليه السلام ، وانما يذكر ان الله آتى موسى الكتاب وأنزله عليه كما جاء في آية سورة البقرة « **ولقد آتينا موسى الكتاب ..** » وآية سورة الانعام « **وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا انتم ولاآباؤكم قل الله ... ٩١** » وسورة السجدة هذه « **ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني اسرائيل ٢٣** » ، غير انه يلحظ تشارك في الوصف لكتاب موسى وللتوراة بأنه نور وهدى كما هو ظاهر في آيات المائدة ٤٣ ـ ٤٥ والانعام ٩١ والسجدة ٢٣ حيث يمكن القول انه قصد بكتاب موسى التـوراة ..

والآيات القرآنية تفيد كما هو واضح من بعض الآيات التي اوردناها أيضا ان التوراة التي انزلت على موسى أو أوتيها تحتوي وصايا الله تعالى واحكامه وتشريعاته . وقد يفيد بعضها مثل آيات آل عمران ٩٣ والمائدة ٤٣ ـ ٤٥ ان هذه التوراة كانت موجودة في ايدي اليهود في زمن النبي صلى الله عليه وسلم هذا فـي حين ان المتداول اليوم في ايدي اهل الكتاب اليهود والنصارى هـو مجموعة ضخمة من أسفار عديدة تسمى « العهد القديم » ولكل منها اسم خاص لا يفيد انه جزء من كتاب وانما يفيد بصراحة انه كتاب مستقل منفصل عن غيره مدى ومحتويات . وعددها تسعة وثلاثون في الطبعـة البروتستانتيـة التي تعتمدها بعض طوائف من النصارى وستة وأربعون في الطبعة الكاثوليكية التي تعتمدها بعض طوائف أخرى من النصارى وهي عائدة الى حقب عديدة بدءا من تاريخ خلق الكون وآدم وحواء ونوح وطوفانه واولاده وانسابهم الى ابراهيم وذريته الى موسى وبعده الى اوائل عصر عيسى عليهم السلام . وأسلوبها مزيج من السمة الدينية والتاريخية ، منها ما تغلب عليه السمة الدينية التي منها التشريع والوصايا والاحكام والطقوس والأوامر والنواهي الأخلاقية والاجتماعية والأسرية والانذار والتبشير والابتهال والتسبيح والحكمة والمواعظ ، ومنها ما تغلب عليه السمة التاريخية وأولها (سفر التكوين) وهو الذي يحتوي خبر خلق الكون وآدم وحواء ونوح وابراهيم واولادهم ، وليس فيه دلالة على أنه من وحي الله تعالى ، وأن كان فيه حكاية كلام منسوب الى الله تعالى وحكاية لما كان من اتصالات بين الله والأنبياء المذكورين فيه ! وليس فيه دلالة على أنه من تبليغ موسى أو املائه أو تبليغ واملاء شخص آخر ! وفيه ما قد يفيد انه كتب بعد موسى وبأسلوب الحكاية ! وبأقلام عديدة لما فيه من تناقض ، وفيه أقوال وأفعال ووصايا ومواقف منسوبة الى الله وانبيائه يتنزهون عنها ، ومن ذلك على سبيل المثال سماح الله لنسل ابراهيم واسحق ويعقوب بتدمير وابادة شعوب الارض ارض كنعان وغيرها والاستيلاء على بلادهم وأملاكهم بالقوة والدم ، وحرمان بكر ابراهيم وأولاده الآخرين وحرمان بكر اسحق من ارث ابويهم لحصره في بني اسرائيل واحتيال يعقوب على ابيه ، ومضاجعة أحد أبناء يعقوب وهو من الاسباط لإحدى زوجات أبيه ، ومضاجعة بنات لوط مع أبيهم الخ الخ . وفي هذا السفر وعود منسوبة الى الرب لابراهيم واسحق

ويعقوب في صدد ملك أرض كنعان وغيرها فيها تضارب وتناقض واستدراكات، فقد ذكر في اصحاحه الثاني عشر ان الرب قال لابراهيم حينما قدم الى ارض كنعان لأول مرة — والمستفاد من عبارات السفر والاسفار الأخرى ان أرض كنعان هي القسم المتوسط من فلسطين — (لنسلك اعطى هذه الارض) وقال له في تجل ثان كما جاء في الاصحاح الثالث عشر (انظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا ان جميع الارض التى تراها لك أعطيها ولنسلك الى الأبد) فتطور القول من قسم من فلسطين الى جميع فلسطين ، ثم جاء في الاصحاح الخامس عشر (في ذلك اليوم بت الرب مع ابراهيم عهد قائلا لنسلك اعطى هذه الارض من مصر الى النهر الكبير نهر الفرات) وفي الاصحاح السابع عشر تراجع عجيب حيث جاء فيه معزوا الى الرب خطابا لابراهيم (واعطيك أرض غربتك لك ولنسلك من بعدك جميع أرض كنعان ملكا مؤبدا واكون لهم الها) . وبعد ولادة اسماعيل جاءت ابراهيم بشارة بولادة اسحاق في الاصحاح (١٧) وجاء مع البشارة على لسان الرب ان عهده في صدد تمليك الارض يكون لاسحاق ونسله من بعده دون بكره اسماعيل ، وفي الاصحاح (٢٥) خبر تزوج ابراهيم من زوجة جديدة اسمها قطورة وولادة اولاد له منها وقد جاء في السفر أن ابراهيم أعطى جميع ماله لاسحاق فقط مع هبات عابرة لاولاده الآخرين دون تمليك أرض . وفي نفس الاصحاح خبر مباركة الله لاسحاق دون غيره من اخوته — وفي الاصحاح (٢٦) خبر تجلي الرب لاسحاق وقوله له انني اعطيك ولنسلك هذه الارض) . وفي الاصحاح (٢٧) خبر احتيال يعقوب على ابيه الذى شاخ وعمى وتقديمه نفسه بانه بكره عيسو لان اسحاق طلب من عيسو أن يصنع له طعاما من صيده ليباركه وخبر مباركة اسحاق ليعقوب على اعتبار انه عيسو وقوله له تسجد لك القبائل وتخدمك الامم . ولا عنك ملعون . ومباركك مبارك وتكون سيدا على أخوتك ويسجد له بنو امك ولقد عرف اسحق الحيلة ولكنه قال لعيسو : ان اخاه قد أخذ البركة والعهد دونه . وفي الاصحاح (٢٨) خبر تجلي الرب ليعقوب وقوله لـــه (انا الرب اله ابراهيم ابيك واله اسحق والارض التى انت عليها لك اعطيها ولنسلك ويكون نسلك كتراب الارض وتنمو غربا وشرقا وشمالا وجنوبا) وهكذا يكون السفر قد سجل ملك أرض كنعان تارة وملك أراض شاسعة أخرى من شرقها وجنوبها وشمالا تارة لابراهيم ، وهو الجد الثالث الأعلى لبني اسرائيل ثم استدرك فسجل اختصاص اسحاق ابنه دون سائر ابنائه ودون بكره اسماعيل بذلك ، وهو الجد الثاني لبني اسرائيل . ثم استدرك فسجل اختصاص يعقوب ابن اسحاق دون ابنه الثاني بذلك بطريق الاحتيال ، ثم يثبت ذلك بعد انكشاف الاحتيال . وكل هذا بدون ريب مفتعل لاختصاص بني اسرائيل دون غيرهم . و (اسرائيل) هو الاسم الثاني ليعقوب مما يتنزه الله عنه ، ومتأثر بما وقع من أحداث بعد خروج بنى اسرائيل من مصر وطروئهم أرض فلسطين وسيرة حياتهم فيها .

ولقد جاء في الاصحاح (٢٦) من هذا السفر مثلا (ذكر ابى مالك ملك فلسطين في جوار) في سياق خبر سكنى اسحاق بن ابراهيم في أرض هــذا الملك . كما ذكر في هذا الاصحاح عبارة (الفلسطينيون) أكثر من مرة ، وسكنى اســـحاق تخمـــن في القرن التاســـع عشر قبـــل الميلاد . والجماعـــات التى عرفت بالفلســطينيين وصارت فلســـطين تـــدعى باســمهم انمـــا طرأت على جنـــوب فلســطين من جزر البحر الأبيض المتوســـط في القـــرن

الرابـــع عشر قبل الميـلاد وقد ذكروا مرارا فى الاسفار الاخرى فى سياق النضال بينهم وبين بنى اسرائيل بعد ما طرا هؤلاء على فلسطين فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، فالتسمية متأثرة بالواقع ، والسفر يكون قد كتب فى هذا الظرف ، أى : بعد أحداث ابراهيم واسحاق ويعقوب وذريتهم فى فلسطين التى ذكرت فى السفر بنحو سبعة قرون ..

وفى الاصحاح (٤٠) من السفر حكاية قول ليوسف وهو انه خطف من أرض العبرانيين ، والارض التى خطف منها يوسف لم تكن تعرف بأرض العبرانيين وانما بأرض كنعان ، ولم يكن فيها فى ظرف وجود يوسف فيها من العبرانيين الا يعقوب وذريته ، وصارت تعرف بأرض العبرانيين مرة وبأرض اسرائيل مرة بعد ما طرا بنو اسرائيل على فلسطين فى القرن الثانى عشر قبل الميلاد ، ويكون فى هذا المثال ما فى المثال السابق من دلالة على تأثر كتابة سفر التكوين بوقائع واحداث بنى اسرائيل بعد خروجهم من مصر ، وكون هذا السفر قد كتب بعد الاحداث المذكورة فيه بقرون عديدة . ولو أردنا الاستقصاء لاوردنا أمثلة أخرى ولكنا نكتفى بما تقدم .

وهذا لا يمنع أن يقا ل. ان ما جاء فى هذا السفر من أحداث قديمة هو ذكريات كانت متداولة فيها الغث والسمين والخيال والحقيقة والصدق والكذب ولا يبعد أن يكون بعضها منقولا عن مخطوطات ونقوش قديمة عينا أو محرفة وزيادة أو نقصا ..

وفى هذا السفر عبارة صريحة تدل دلالة قاطعة على تأثر تدوينه ومدونيه بأحداث بنى إسرائيل حيثما طرأوا على أرض كنعان ونشب العـداء والحرب بينهم وبين الكنعانيين . ففى اصحاحه التاسع ما يلى : (ابتدأ نوح يحرث الارض وغرس كرما ، وشرب من الخمر فسكر ، وتكشف داخل خبائه فرأى حام أبو كنعان سوءة أبيه ، فأخبر أخويه وهما خارجا . فأخذ سام ويافث رداء وجعلاه على منكبيهما ومشيا مستدبرين فغطيا سوأة ابيهما وأوجههما الى الوراء وسوأة ابيهما لم يرياها ، فلما أفاق نوح من خمره علم ما صنع به ابنه الصغير ، فقال ملعون كنعان . عبدا يكون لعبيد أخوته . وقال تبارك الرب اله سام : وليكن كنعان عبدا له . يرحب الله ليافث يسكن فى أخبية أخيه سام ، ويكون كنعان عبدا له) ويستفاد من وصف حام بصفة (ابنه الصغير) انه لم يكن تزوج وولد لـه كنعـان ، وكنعان ليس هـو على كل حال الـذى رأى سوأة نـوح وهو ليس ولد حام الاوحد بل هو رابع ولد له بالترتيب حيث ذكر قبله كوش ومصرابيم وفوط كما جاء فى الاصحاح العاشر من السفر ، فتسجيل السفر اللعنة على كنعان غير المذنب وغير الوحيد من ابناء حام والذى لم يكن قد ولد بعد يدل دلالة قاطعة على ما ذكرت .

وهذا السفر يذكر أن ابراهيم الذى هو حسب ما ورد فيه جد بنى اسرائيل من ذرية سا م. فيكون التسجيل المذكور من هذه الناحية توكيدا للافتعال من حيث أن فيه تسجيلا لدعاء نوح بأن يكون كنعان عبدا لسام .

وما ذكرناه على سبيل التمثيل لا الاستقصاء . فان فى هذا السفر مقاطع كثيرة أخرى تذكر ما جرى لبنى اسرائيل فى مصر وما تعرضوا له من أضطهاد وغربة وما نهبوه من اهالى مصر حين خروجهم من حلى وأموال مما يلمح فيه أثر الوقائع والاحداث المتأخرة بقصد عزوها الى الله والآباء الأولين وترسيـخ القدسية والسيادة والاختصاص الربانى لبنى اسرائيل من الله الذى تصفـه الاسفار وهذا السفر انه رب اسرائيل واله اسرائيل وحامى اسرائيل برغم

ما تذكره الاسفار من انحرافات خلقية ودينية واجتماعية لهم .

ويأتى فى الترتيب بعد سفر التكوين اسفار (الخروج) و (الاحبار) الذى يسمى باسم (اللاويين) (١) و (العدد) و (تثنية الاشتراع) وهى عائدة الى حقبة حياة موسى عليه السلام . وتتضمن حكاية أحداث هذه الحقبة مع كثير من التشريعات والتعليمات والوصايا الاخلاقية والاجتماعية والقضائية والاسرية والمعاشية والصحية والطقسية والكهنوتية والانذارات والتبشيرات بأسلوب الحكاية أيضا ، وسفر (الاحبار) وحده مقصور على التشريعات والتعليمات والوصايا والانذارات والتبشيرات المذكورة والأخرى مزيجة من ذلك ومن التاريخ ، وليس فيها فى هذه الاسفار الاربعة ما يفيد أنها من املاء موسى او انها كتبت فى عهده ، بل فيها ما يفيد انها كتبت بعده ، وبأقلام عديدة ، وفى أزمنة مختلفة ، وتأثرت بالوقائع والاحداث بعد موسى ، واختلطت الحقائق فيها بالخيال والمبالغات والمفارقات والاكاذيب ، ونسب فيها الى الله ورسله ما يتنزهون عنه من اقوال وأفعال ووصايا ومواقف .

ومن ذلك على سبيل المثال الأمر بتدمير وابادة شعوب أرض كنعان والاستيلاء على بلادهم ونهب حلى المصريين وعدم قبول بعض الشعوب فى دين الله ، وانحرافات دينية واخلاقية وسلوكية منسوبة الى موسى وهارون وداود وسليمان ، وحصر النواهى والأوامر والتشريعات فى بنى اسرائيل واباحة مخالفتها مع غيرهم الخ الخ . . .

ولقد جاء بعض ما فى بعضها مكررا فى البعض الآخر كثير من التباين احيانا زيادة او نقصا أو عبارة او موضوعا وفى بعضها المتأخر ما ليس فى البعض الآخر المتقدم مما فيه الدلالة الحاسمة على انها كتبت بأقلام عديدة ، وفى أزمنة مختلفة واستقى كتابها مادتهم من مصادر مختلفة من روايات وذكريات متداولة على الألسن ، ومن مخطوطات ومنقوشات قديمة متباينة ، فيها الغث والسمين والحقيقة والخيال والصدق والكذب والمبالغات والخرافات . ولقد جاء مثلا فى الاصحاح الثانى عشر من سفر العدد هذه العبارة (وكان موسى رجلا حكيما جدا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الارض) فى سياق خبر معاتبة أخيه واخته له ؛ ولا يمكن أن يكون كاتب هذه العبارة وبالتالى كاتب السفر قد كتبهما الا بعد موسى بمدة ما ، ولقد جاء فى الاصحاح الاخير من سفر تثنية الاشتراع ذكر موت موسى ودفنه فى الوادى فى أرض مؤاب وقد قال الكاتب بعد ذلك (ولم يعرف قبره الى يومنا هذا) حيث يفيد أن كتابة الجملة وبالتالى كتابة السفر انما كانت بعد وفاة موسى بمدة طويلة . ولقد ورد فى الاصحاح (١٧) من هذا السفر هذه العبارة (اذا دخلت الارض التى يعطيك الرب الهك وملكتها وسكنت فيها فقلت أقيم على ملكا كسائر الأمم الذين حولى فأقم عليك ملكا يختاره الرب الهك . . الخ) وهذا حادث وقع فعلا بعد موت موسى بنحو مئتى سنة ونتيجة لما وقع على بنى اسرائيل من غزوات وضربات وبعد مراجعات ومجادلات بينهم وبين كاهنهم الاكبر صموئيل ، وانذار هذا اياهم وتحذيره لهم على ما ورد فى سفر صموئيل الاول الذى تسميه الطبعة الكاثوليكية الملوك الاول مما فيه فى

---

(١) الاحبار تعنى الكهان . وكهان بنى اسرائيل محصورون حسب نصوصهم فى سبط لاوى الذى ينسب اليه نسل موسى وهرون . وموسى لم يعقب .

الحقيقة تسجيل للحادث بعد وقوعه ، ومما يدل على أن السفر قدْ كتب بعد وقوع الحادث بمدة ما .

وفى الاصحاح الأول من سفر العدد حكاية أمر الله لموسى باحصاء المعدودين من الذكور (أى الذين يصح تجنيدهم للحرب كما هو المستفاد من سياق الكلام) من أبناء العشرين فما فوق من أبناء بنى اسرائيل الذين خرجوا معه من مصر الى سيناء باستثناء سبط لاوى الذى لا يدخل فى الاحصاء لانه مكرس للكهانة ولا يجند ، وقد بلغ هذا العدد ستمائة الف وثلاثة آلاف وخمسمائة وخمسين ، فاذا أضفنا الى هذا الرقم ثلثه على الاقل للذين هم دون العشرين من الذكور ثم اضفنا الى الحاصل مثله للاناث واذا قدرنا عدد أفراد سبط لاوى بالمقارنة مع عدد الاسباط الأخرى بمائة الف على الأقل ظهر أن عدد بنى اسرائيل الذين خرجوا من مصر الى سيناء مليون وثمانمائة الف .

والمبالغة الكبيرة فى هذا الرقم صارخة يجعل كذبه أمرا يقينيا بالنسبة لسكان الارض عامة ، ولسكان مصر خاصة فى القرن الثالث عشر قبل الميلاد ويبرز الخيال الواسع فى تأليف السفر .

ولقد ورد فى سفر الاحبار مثلا انذار بما وقع فعلا على بنى اسرائيل بعد موسى بمدة طويلة من غزوات وضربات خارجية ، ومن أجلاء وتشتيت شمل بين الأمم ، ومن بتحنين قلب الرب وأرجاعهم مرة أخرى وجمع شملهم بعد التبديد والتشتيت ، وهو ما تم فعلا بعد السبى مما لا يعقل أن يذكر الا بعد وقوعه ، ومثل هذا الانذار متكرر فى سفر تثنية الاشتراع ايضا .

ويأتى بعد الاسفار الخمسة مما السمة التاريخية عليه غالبة أسفار يوشع والقضاة وراعوث وصموئيل الاول وصموئيل الثانى (السفران الأخيران يسميان فى الطبعة الكاثوليكية) (الملوك الأول والملوك الثانى) والملوك الأول والملوك الثانى (وهذان يسميان فى الطبعة المذكورة الملوك الثالث والملوك الرابع) وأخبار الأيام الأول وأخبار الايام الثانى وعزرا ونحميا واستير وطوبيا ويهوديت (والسفران الأخيران من زوائد الطبعة الكاثوليكية وترتيبهما قبل سفر استير) وسفر المكابيين الأول وسفر المكابيين الثانى (وهذان الأخيران من زوائد الطبعة الكاثوليكية وهما فى الترتيب آخر أسفار العهد القديم) .

وتؤرخ هذه الاسفار سيرة بنى اسرائيل من بعد موسى الى ما بعد سبى بابل الى زمن الحكم اليونانى قبل الميلاد المسيحى . وقلنا ان السمة التاريخية غالبة عليها لانها لا تخلو بدورها من سمة دينية وعظية وانذارية ! . ونشاط انبياء وتبليغاتهم عن اله تعالى الخ . وتمتزج الحقائق فيها بالخيال والمبالغات والمفارقات والاكاذيب ، وفيها كثيرة على انها كتبت بعد مدة من الاحداث والوقائع المذكورة فيها ، وانها تأثرت بها ، وأنها كتبت بأقلام متعددة ، وفى أزمنة مختلفة ، ولقد جاءت حكاية الأحداث فى بعضها مباينة لما جاء فى بعض آخر او مناقضة له ، أو زائدة عليه أو ناقصة فيه مما يدل على ذلك ، بل وفى بعضها ما ذكر فى أسفار التكوين والخروج والعدد مع نقص وزيادة ومباينة ، وكل هذا يسوغ القول : أن كتابها إستقوا مادتهم من مصادر مختلفة متباينة قد يكون منها الروايات المتداولة على الالسن ، ومخطوطات قديمة فيها ما فيها من غث وسمين وكذب وصدق وحقيقة وخيال وخرافة ، ولقد جاء فى الاصحاح الثالث من أخبار الايام الاول مثلا سلسلة أسماء ملوك يهوذا الى آخرهم ، وفى الأصحاح التاسع منه ما فعله نبوخذ نصر

ملك بابـل الذى قتل صدقيا آخر ملوك يهوذا (وسبى يهوذا الى بابل لأجـل خيانتهم) . وفى الاصحاح السادس والثلاثين من سفر أخبار الايام الثانى هذه الجملة (وفى السنة الاولى لكورش ملك فارس نبه الرب روح كورش فأطلق نداء فى كل مملكته قائلا : ان الرب أعطانى جميع ممالك الارض وأوصانى ان ابنى له بيتا فى أورشليم التى فى يهوذا) مما فيه دلالة قاطعة على أن سفر أخبار الايام الأول كتب فى نهاية دولة يهوذا ، والثانى بعد السبى ، ولقد ذكر سفر الملوك الثانى (الرابع فى الطبعة الكاثوليكية) سيرة ملوك دولتى اسرائيل ويهوذا الى نهايتهما ، بما فى ذلك نسف نبوخذ نصر لدولة يهوذا ، وسبى اليهود الى بابـل كما ذكرت بعض أحداث جرت بعد السبى أو عقبه مما فيه دلالة قاطعة علـى أنه كتب بعد نهاية دولة يهوذا فضلا عن احتمال كتابتـه بعد السبى وهو مـا نرجحه . ولما كان هذا السفر هو امتداد واستمرار لسيرة ملوك دولتى اسرائيل ويهوذا التى بدىء بها فى السفر الاول ، فالكلام المذكور ينسحب على هذا أيضا كما هو المتبادر .

ولا تخلو الاسفار الاخرى من التى تؤرخ بعض احداث ما قبل السبى من دلائل وقرائن مماثلة تسوغ القول : انها كتبت بعد السبى مثلها .

والاسفار العائدة الى حقبة ما بعد السبى قد كتبت بأسلوب الحكاية ، وليس فيها دلالة على انها كتبت باملاء أو اقلام الاشخاص التى تحمل أسماءهم والمتبادر انها كتبت بأقلام كتاب آخرون بعد موت هؤلاء الاشخاص بمدة ما ، وقد يكون الكتاب قد استقوا مادتهم من الروايات المتداولـة أو من مخطوطات قديمة ، فأدى ذلك الى امتزاج الحقيقة بالخيال ، والصدق بالكذب والمبالغات فى هذه الأسفار .

والى جانب هذه الاسفار أسفار عديدة اخرى تعود كذلك الى حقبة ما بعد موسى والى ما بعد السبى او الى أوائل عصر المسيح تغلب عليها السمة الدينية بأسلوب الابتهالات والتسبيحات والمواعظ والحكم والانذار والتبشير والرؤى على السنة اصحابها الذين يغلب أن يكونوا انبياء وهى المزامير والامثال والجامعة ونشيد الاناشيد ، ونبوءة اشعيا ، ونبوءة ارميا ، ومراثى ارميا ، ونبوءة باروك (وهذا من زوائد الكاثوليكية) ، ونبوءة حزقيال ، ونبوءة دانيال ، ونبوءة هوشع ، ونبوءة يوئيل ، ونبوءة عاموس ، ونبوءة عوبيديا ، ونبوءة ميخيا ، ونبوءة نحوم ، ونبوءة حبقوق ، ونبوءة صفينا ، ونبوءة حجامى ، ونبوءة زكريا ، ونبوءة ملاخى) ومعظمها أو كلها رؤى رآها أصحابها فى منامهم أو فى يقظتهم ومع سمتها الغالبة المذكورة ، فانها تمثل ناحية هامة من تاريخ وحياة بنى اسرائيل السياسية والاجتماعية والثقافية ، وفى بعضها ندب وعويل على ما حل فى بنى اسرائيل . وتنديد باخلاقهم وانحرافاتهم السابقة والراهنـة بأسلوب قارع .. وتناقض مع ذلك بتبشيرهم بالعلو ، وانذارات قاصمة بل شتائم قارعة للأمم والبلدان التى سلطها الله عليهم بسبب انحرافاتهم على ما ذكرته الاسفار المذكورة أيضا ، وهذا من تناقضاتها ، وفيها ما يدل على أنهـا كتبت بعد موت أصحابها بمدة طويلـة بأقلام كتاب آخـرين من ذكريات ومسموعات ومحفوظات متداولة ، وانها تأثرت بالاحداث التى وقعت بعـد الاشخاص المنسوبة اليهم ، فلا يصح أخذها على حالتها ، ويجب ملاحظة كل ذلك اثناء النظر فيها .

ولقد ورد مثلا فى الاصحاح الخامس والاربعين من سفر نبوءة اشعيا

الذى يستفاد من عباراته انه عاش فى عهد ملوك يهوذا (عزيا ويوثام وأحاز وحزقيا) اسم كورش ملك الفرس الذى تغلب على مملكة بابل وفيه هذه الجملة خطابا لسبى اليهود فى بابل الذى سباهم اليها نبوخذ نصر (اخرجوا من بابـل واهربوا من ارض الكلدانيين) مما فيه الدلالة القطعية على ان هذا السفر كتب بعد السبى وبالتالى بعد وفاة اشعيا المنسوب اليه بمدة طويلـة ، وزيد عليه مالا يمكن أن يكون اشعيا كتبه أو قاله .

ولقد ورد فى سفر حزقيال الذى يستفاد منه أنه من رجال سبى بابل وعاش ومات فى السبى تنديدات قارعة باخلاق بنى اسرائيـل واحوالهـم وانحرافاتهم قبل السبى وفى اثنائه ، وتذكر بما سلطه الله عليهم من هوان وشتات واضطهاد وتدمير يسبب ذلك ، وفيه فى الوقت نفسه تنديدبالامم التى سلطها الله عليهم ، وانذارات قارعة لها ، وتقرير بان الله سوف يعيد بنى اسرائيل الى تخومهم الاولى فى أرض ميعاد آبائهم ، ويجمع شتاتهـم ، ويرأف بهم ، وينصرهم مما فيه تناقض واضح . ولقد عاد بعض المسبيين فعلا بعـد موت حزقيال بمدة ما ، وتطورت أحوالهم ، وصار لهم كيان جديد حيث يرجـح أن هذا التناقض اثر من آثار ما اثاره التطور الجديد فى بنى اسرائيل بعد العودة من السبى ، وان اقلاما اخرى بعد السبي قد لعبت دورا فى صياغة السفر ، أو فى تجديد صياغته .

ولا تخلو الاسفار الاخرى من مثل ذلك واكثر حيث يمكن القول : انه دخل تحريفات متنوعة على هذه الاسفار المنسوبة الى انبياء من بنى اسرائيل لغايات سياسية . ومن بين الاسفار العائدة الى ما بعد موسى سفران لا يبدو لهما صلة بتاريخ وحياة بنى اسرائيل وهما سفرا (أيوب ونبوءة يونان) . والاول يتضمن سيرة النبى أيوب المذكورة فى القرآن باشارات خاطفة ، ولكنها متطابقة اجمالا وقد قال عنه السفر : أنه كان فى أرض عوص ، والثانى هو سيرة يونان ابن امتاى فى نينوى ، وهو على الارجح النبى يونس المذكورة سيرته فى القرآن باشارات خاطفة ومتطابقة اجمالا مع ما جاء فى هذا السفر ، والاثار الاسلامية تسميه (يونس بن متى) والكلمتان تعريب لكلمتى (يونان بن امتاى) .

وهناك سفران آخران فيهما مواعظ وحكم . وهما (الحكمة) و (يشوع ابن شيراخ) وهما من زوائـد الطبعة الكاثوليكية ، ولا يبدو فيها ما يدل على أن لهما صلة بحياة وتاريخ بنى اسرائيل .

وحتى سفر المزامير الذى هو ابتهالات ودعوات لا يخلو من دلائل على أن منه ما تأثر بأحداث وقعت بعد عهد داود بمدة طويلة .

وواضح من كل ما تقدم أن اسم (التوراة) فى القرآن ، والتى يلتزم المسلمون بالايمان بانها من كتب ربهم ، أو الكتاب الذى أتاه الله لموسى عليه السلام لا يمكن أن يصدق على مجموعة أسفار العهد القديم ، ولا على أى سفر منها .

ولقد جاء فى الاصحاح (٢٤) من سفر الخروج أول الاسفار الاربعـة العائدة الى حقبة موسى عليه السلام والـذى فيه خبر رسالته الى فرعـون وخروج بنى اسرائيل من مصر وحياتهم فى سيناء هذه العبارة :

بعد ذكر خبر صعوده الى الطور وتلقيه كلام الله (فجاء موسى وقص على الشعب جميع كلام الرب وجميع الاحكام فاجابه الشعب بصوت واحد وقالوا : جميع ما تكلم به الرب نعمل به ، فكتب موسى جميع كلام الرب ، وبكر

فى الغداة وبنى مذبحا فى أسفل الجبل ، ونصب اثنى عشر نصبا لاثنى عشر سبط اسرائيل ، وبعث فتيان بنى اسرائيل فأصعدوا محرقات ، وذبحوا ذبائح سلامة من العجول للرب ، فأخذ موسى نصف الدم وجعله فى طسوت ورش النصف الآخر على المذبح ، وأخذ كتاب العهد ، فتلا على مسامع الشعب ، فقالوا : كل ما تكلم الرب به نفعله ونأتمر به ، فأخذ موسى الدم ورشه على الشعب ، وقال : هو ذا دم العهد الذى عاهدكم الرب به . على جميع هذه الاقوال) . ولقد ذكر سفر توراة موسى ثلاث مرات فى سفر تثنية الاشتراع .هـ رابع الاسفار التى تؤرخ حقبة موسى ، وفيه تكرار لكثير مما جاء فى الاسفار السابقة ولا سيما التاريخية مع الانذار والتبشير وبقصد التذكير كما فيه تـ ـريعات لم تذكر فى تلك الاسفار . ولقد جاء فى أصحاحه السابع عشر هذه ا عبارة : (اذا دخلت الارض التى يعطيك الرب الهك وملكتها وسكنت فيها من هنا الأصل فقلت : اقيم على ملكا كسائر الامم حولى ، وجلس على عرش ملكه ، فليكتب له نسخة من هذه التوراة فى سفر من عند الكهنـــة اللاويين ، ولتكن عنده يقرأ كل يوم من أيام حياته لكى يعلم كيف يتقى الرب ويحفظ كـــلام هذه الشريعة) وفى أصحاحه (٣١) هذه العبارة : (وكتب موسى هذه التوراة ودفعها الى الكهنة بنى لاوى حاملى تابوت العهد) ثم هذه العبارة (ولما فرغ موسى من رقم كـــلام هذه التوراة فى سفر بتمامه أمر اللاويين حاملى تابـــوت عهد الرب قائلا : خذوا هذا السفر ، واجعلوه الى جانب عهد الرب الهكم فى التابوت ، فيكون ثم عليكم شاهدا ، لانى أعلم تمردكم وقسوة قلوبكم فانكم وانا فى الحياة معكم اليوم قد تمردتم على الرب فكيف بعد موتى) .

فهذه النصوص تفيد قطعا ان موسى عليه السلام كتب تبليغات اللـــه ووصاياه وتعاليمه فى كتاب اسمه التوراة ، وسلمه للكهنة ليضعوه فى تابوت العهد ، وهذا التابوت صندوق كان يحفظ فيه الآثار المقدسة ، ويوضع فى المعبد على ما هو المتبادر .

وعهد الرب المذكور آنفا فى عبارة السفر يمكن أن يكون الواح الحجارة التى كتب الله عليها بعض وصاياه على ما جاء فى سفر الخروج حيث جاء فى أصحاحه (٢٤) (قال الرب لموسى : أصعد الى الجبل ، واقم هنا حتى أعطيك لوحى الحجارة والشريعة والوصية التى كتبتها لتعليمهم) وفى أصحاحه (٣١) هذه العبارة (ولما فرغ من مخاطبة موسى على طور سيناء دفع اليـــه لوحى الشهادة لوحين من حجر مكتوبين باصبع اللـــه) وفى أصحاحه (٣٢) هـــذه العبارة (ثم انثنى موسى ونزل من الجبل ولوحا الشهادة فى يده ، لوحـــان مكتوبان على جانبيهما . من هنا ومن هناك . كانـــا مكتوبين ، واللوحان هنـــا صنعة الله ، والكتابة هى كتابة الله منقوشة على اللوحين) وقد ذكر هـــذا الاصحاح خبر غضب موسى حينما رأى العجل الذى صنعه بنو اسرائيـــل فى غيابه ، ورميه اللوحين وكسرهما فى أسفل الجبل وفى الاصحاح (٣٤) من هذا السفر خبر امر الله لموسى بأن ينحت لوحين كالاولين ليكتب عليهما الكلام الذى كان على اللوحين الاولين اللذين انكسرا ، ففعل وصعد الى الجبـــــل ، وأقام عند الرب أربعين يوما وأربعين ليلة لم يأكل خبزا ولم يشرب ماء ، فكتب على اللوحين (كلام العهد الكلمات العشر) ونزل وهما فى يده .

وواضح من العبارات ان اللوحين هما غير سفر التوراة الذى كتبه موسى

وفيه كلام الله الذى سمعه ، وانهما سميا العهد ، ووضعا فى التابوت ، وسمى بتابوت العهد وان ذلك كان قبل ان يكتب موسى كلام الله الذى سمعه فى سفر التوراة ، فلما كتبه أمر بوضعه مع الالواح فى التابوت .

وفى الاصحاح الثامن من سفر الملوك الاول (الثالث فى الكاثوليكية) ما يفيد أن سفر التوراة قد فقد قبل سليمان حيث ذكر أنه لم يكن فى تابوت العهد الذى نقله سليمان من مدينة داود الى المعبد الجديد الذى أنشأه الا اللوحان الحجريان .

ولقد ذكر فى اصحاحات سفر صموئيل الاول المسمى فى الطبعة الكاثوليكية الملوك الاول ان الفلسطينيين هاجموا الاسرائيليين فى زمن الكاهن الأكبر عالى فى عهد القضاة ، وضربوهم وهزموهم ، واخذوا تابوتهم ، وبقى عندهم سبعة اشهر ، ثم أعادوه اليهم على عجلة تجرها بقرتان ، لانهم ابتلوا بالبواسير وظنوا ان ذلك بسبب أخذهم تابوت اله اسرائيل . وقد اشير الى هذه الحادثة اشارة مقتضبة فى آيات سورة البقرة هذه ((**ألم تر الى الملأ من بنى اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبى لهم ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا وما لنا الا نقاتل فى سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم . وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين — ٢٤٦ — ٢٤٨**) فمن المحتمل ان يكون السفر قد فقد من التابوت فى هذا الظرف حيث يكون الفلسطينيون قد فتحوه فعبثوا فيه ، ولم يبق فيه الا اللوحان .

ومن العجيب ان الاصحاح الثانى والعشرين من سفر الملوك الثانى — الرابع فى الطبعة الكاثوليكية — ذكر خبر العثور على سفر التوراة فى بيت الرب أثناء ترميمه فى زمن الملك يوشيا ملك يهوذا حيث جاء فيه : ان الملك أرسل كاتبه الى الكاهن الاكبر حلقيا لدفع اجور العمال ، وأن الكاهن قال للكاتب : (انى وجدت سفر التوراة فى بيت الرب ، ودفع السفر للكاتب فقراه ، وأتى به الى الملك ، فأخبره الخبر ، وقراه له) . والخبر كما قلنا عجيب ، لان السفر كان فى تابوت العهد ، ولما فتح التابوت لم يكن فيه ، فهل يكون حلقيا هو كاتب السفر من جديد من ذاكرته ، أو من قراطيس كانت متداولة ، أو كان لديه نسخة عنه ، وقد ذكر فى الاصحاح ان الخبر أثار الملك حتى مزق ثيابه فرحا ، واقام احتفالات عظيمة فى مناسبته .

ولقد جاء فى الاصحاح السابع من سفر عزرا الذى يؤرخ طرفا من حقبة عودة جماعة من المسبيين من بابل الى اورشليم ان عزرا كان كاتبا ماهرا فى توراة موسى التى أعطاها الرب اله اسرائيل ، فبذل لـه الملك ارتخشتا كل ما طلب ، واصعده الى اورشليم ، وأمره باقامة حكم الهه ، وشرائع الهه وشريعة الملك ، ثم جاء فى الاصحاح الثامن من سفر نحميا الذى يؤرخ كذلك طرفا من الحقبة المذكورة آنفا ان الشعب العائد اجتمع فى ساحة المعبد ، وطلب من عزرا احضار سفر توراة موسى ، فأحضره ، وأخذ يتلوه امام الجماعة . ولا

يمكن الجزم بما اذا كان عزرا كان يحفظ التوراة غيبا ، وكتب السفر من ذاكرته ام كان يحتفظ بنسخة من التوراة التى يمكن أن تكون نسخة من التوراة التى قال حلقيا الكاهن : انه وجدها فى بيت الرب .

ولقد قلنا ان آيات البقرة (١٢٩) وآل عمران (٢٩) والمائدة (٤٣ — ٤٥) و (٦٦ — ٦٨) والاعراف (١٥٧) التى أوردناها قبل تسوغ القول : ان التوراة المنزلة على موسى عليه السلام التى فيها أحكام الله ووصاياه كانت متداولة فى أيدى اليهود فى زمن النبى (صلى الله عليه وسلم) ..

وقد تكون هى التى ذكر خبر وجودها فى زمن الملك يوشيا فى سفر الملوك الثانى ، وخبر تلاوتها من قبل عزرا فى سفر نحميا أو نسخة عنها ، فظلت متداولة الى زمن النبى (صلى الله عليه وسلم) ..

وبديهى انها شىء غير أى سفر من اسفار العهد القديم المتداولة اليوم ، ولم تصل الى عهدنا حيث فقدت اثناء ما كان يقع على اليهود من ضربات وتشريد وكان فقدها نهائيا . (١)

ولقد قلنا قبل ان فى اسفار الخروج والعدد وتثنية الاشتراع تبليغات ووصايا كثيرة متنوعة مبلغة من الله تعالى لموسى ، وان سفر الاحبار قاصر على ذلك ، وان كلها او جلها جاء بأسلوب الحكاية ، وبينها تباين فى الاسلوب والعبارات ، وفى بعضها ما ليس فى الآخر ، وفيها أقوال وأفعال منسوبة الى الله ورسوله يتنزهان عنها بحيث يمكن القول : « ان كتابها استقوا ما كتبوه من مصادر متنوعة ، وان كل واحد كتب ما كتبه مستقلا عن الآخر ، وفى ظرف وزمن غير الآخر ، وانهم لم ينقلوا ما فيه من تبليغات لموسى عليه السلام معزوة الى الله تعالى من سفر توراة موسى مباشرة وبحيث يمكن القول : ان ما جاء فيها مما يجوز ان يكون فى أصله من هذا السفر قد سجله كتابها من روايات ومحفوظات ومدونات شيبت بما ذكرناه من تباين وتناقض واختلاف وتحريف ، ولا يمكن والحالة هذه اعتبارها بديلة عن توراة موسى المفقودة التى هى وحدها التى يحترمها المسلمون وفيها احكام الله ووصاياه المبلغة لموسى بدون تناقض وتباين ومفارقات وتحريفات . ولا يصح تبعا لذلك من الوجهة العلمية والواقعية اطلاق اسم التوراة عليها ومن قبل المسلمين بنوع خاص ، ففى هذا الاطلاق تجوز كبير فضلا عن التجوز الأكبر فى اطلاقه على مجموعة اسفار العهد القديم وكلها كتبت بأقلام متنوعة بشرية وفى أزمنة مختلفة واختلطت الحقائق فيها بالخيال والصدق بالكذب وشابها المبالغات والمفارقات وما تنزه الله ورسله عنه من أقوال وأفعال وتحريضات عدوانية وتمايزية ضد الشعوب الأخرى . ويجب حين النظر فيها أن ينظر إليها بهذه النظرة والاعتبار من المسلمين وعلمائهم بل وغير المسلمين وعلمائهم . والحمد لله رب العالمين ..

---

(١) هناك مصادر قديمة ذكرت ما كان يتعرض له كتب وقراطيس اليهود الدينية من مصادرة وتحريق . نقل عنها المطران الدبس بعض الاحداث من هذا الباب فى كتابه تاريخ سورية (المجلد الثالث والجزء الثانى) من ذلك انه نشب مرة مناوشات بين اليهود والحامية الرومانية فى زمن القيصر اغسطس فنهب الرومان الهيكل ودنسوه ، واحرقوا ما فيه من اوراق . ومن ذلك ان الوالى الرومانى فى عهد القيصر كلود سير حملة لمطاردة اليهود فى القرى وان احد الجنود عثر على أسفار موسى فحرقها على مرأى الجمهور اليهودى .

مكتبة المجلة

إعداد : الأستاذ عبد الستار محمد فيض

منهج النقد في علوم الحديث

اسلوب جديد في مصطلح الحديث يعرض قواعده ويدرسها في ظل نظرية نقدية تتآلف فيها أنواع علوم الحديث وتنتقل من التجزيء الى التكامل ومن المسائل المتفرقة الى النظرية المتناسقة التي تجلو دقة علم المصطلح وشموله وعبقرية المحدثين وعظمة نهجهم الذي اتبعوه .

وقد سار الكتاب على خطوات متدرجة تسهل للدارس سبيل النقد الحديثي واصول النقد التاريخي موضحا كل ابحاثه بالأمثلة المدروسة مع ايراد مسائل وفوائد نادرة على غاية من الأهمية ، وعنى الكتاب بالقضايا المشكلة فعالجها وكشف النقاب عما وقع من اللبس لبعض الكاتبين فيها وناقش آراء الناقدين للمحدثين بالأدلة والبراهين القاطعة فاستوفي بالدراسة والبحث جوانب هذا العلم الذي اختص الله به هذه الأمة الاسلامية .

والكتاب من تاليف الدكتور نور الدين عتر ويحتوى على (٥٠٠) صفحة ومن نشر دار الفكر / دمشق / سوريا .

العقل عند الشيعة الامامية

بحث موضوعي للدليل الرابع من ادلة الأحكام الشرعية مقارن بآراء المذاهب الاسلامية ، الفه الدكتور/رشدى محمد عرسان عليان .

ومدخل البحث يبحث في أدلة الأحكام عند أهل السنة والجماعة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى عصر ائمة الاجتهاد ثم أدلة الأحكام الشرعية عند الشيعة الامامية ثم التعريف بالعقل من حيث هو موموقف المذاهب الاسلامية من مدركاته على سبيل الاجمال ثم التعريف بالعقل عند الامامية .

أما منهج البحث فقائم على أساس المقارنة والتلاقح الفكرى بين أرباب المدارس المختلفة وتصحيح نظرة بعضهم الى بعض .

وصفحات الكتاب تقارب الخمسمائة صفحة ومن طبع مطابع جامعة بغداد

الى كل فتاة تؤمن بالله

الكتاب الرابع من سلسلة كتب ابحاث في القمة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى وهو يتناول كل المشاكل المختلفة التي تشعر بها الفتاة المسلمة لدى محاولة التوفيق بين تعاليم دينها ومقتضيات مجتمعها باسلوب علمي متجرد .

يتحدث عن الحجاب ، حدوده ودلائله والمشاكل التي تعترض سبيله وعن عمل المراة وتعلمها والمشاكل التي تنجم عنها .

يستعرض الشبهات العصرية المختلفة التي تثار حول المراة من كل الجوانب ويعرض سائر الاتجاهات . وينتهي المؤلف من ذلك كله الى حلول جذرية علمية تقنع الاحرار في تفكيرهم وتسكت المغرضين من خصومهم .

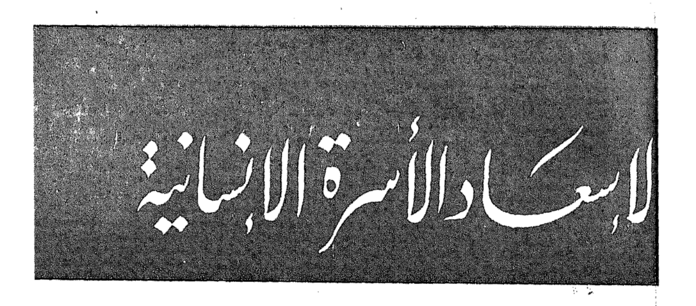
والكتاب يقع في (١٢٠) صفحة من نشر مكتبة الفارابي / دمشق / سوريا .



١ ـ الإنسان بين المادة والروح :

الإنسان بجسده حيوان ناطق ، وبروحه جمال نفس ، ومبادلة حب ، ونورانية عقيدة ، ووضاءة خلق ـ ودائما ـ تجد الذين يعيشون لذواتهم ، دون ما التزام بعقيدة ، ولا ارتباط بوحى ـ وإن ملكوا من اسباب المادة ، ما يجعل الأنظار تتجه إليهم ، والآمال تعلق عليهم ، شديدى الحيرة ، كثيرى الضجر ، لا يكادون يعرفون للسعادة سبيلا ، ولا للراحة طريقا ، وكأن لهم فى كل لذة ألما ، دائما يحسون بكآبة رانت على القلوب ، وجثمت على الصدور ، لا يعلمون لها لأول وهلة موجبا ، ولا يعرفون لها ـ كذلك ـ سببا . وتظل معهم لا تزايلهم ، نتيجة إيناسهم بالمادة ، وعبوديتهم لها ، حتى تجدهم شديدى الحرص عليها ، كثيرى التحرق اليها ، دائمى العبودية لها .

وهم بهذا يظنون الدواء ، حيث الداء العضال ، ويبتغون الشفاء ، حيث السم الزعاف .





وقد ضرب القرآن الكريم لنا أمثال هؤلاء فقال فى شأن الذين حملوا التوراة ، فغيروا وبدلوا ، وجحدوا وكفروا ، ((**مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا • بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدى القوم الظالمين**)) الجمعة/٥ .

وقال سبحانه آمرا نبيه أن يتلو نبأ الذى آتاه آياته فانسلخ منها ، وبعد عنها ((**واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه ، فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ، ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون**)) الأعراف ١٧٦/١٧٧ . وانظر فى ختام الآية التى تحدثت عن المثل الأول تجدها تقرر أن المكذبين بآيات الله ، والذين يعيشون للمادة وكفى ، دون ما موازنة بينها والروح الكامنة فى نفوسهم ، ودون ما مسايرة للفطرة التى فطرهم الحق تبارك وتعالى عليها ، يدخلون فى دائرة المثل ، وتجد ختام الآية

الثانية يقرر ذلك فى جلاء ووضوح ((**ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**)) ثم يأتى التقرير لحقيقة المثل التى يجب أن تدرك فبئس المثل ، وبئس الذين ضرب بهم المثل ((**ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون**)) .

وبعد ذلك بينت الآيات أن الهدى هدى الله ، رجاء أن يثوب الانسان الى رشده ، فيئوب الى ربه ، ثم تحدثت عن أوصاف أهل النار عموما : ((**ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون**)) الأعــراف ١٧٩ . ويكفى أن يكون الماديون الجاحدون اقل من الأنعام ، وتكون الأنعام فوقهم منزلة .

((**أولئك كالأنعام بل هم اضل**)) والسبب لذلك كله ، هو الغفلة التى عاشوا فيها ، فجرفتهم الى المادة بعيدا عن الروح ((**أولئك هم الغافلون**)) .

وإنما استحق هؤلاء تلك الأمثال ، لأنهم تناقضوا مع فطرتهم ، وتعارضوا مع حقيقتهم ، مع أن نفوسهم طالما تؤرقهم ، وتقض عليهم مضاجعهم ، فهى دائما تتوق الى الحقيقة التى إن غاب عن المادى عمله بها ، فهى حاضرة لا تغيب ، بل إن المادة بالنسبة لها هباء ، والكون بجانبها فناء ، والحياة بدونها شقاء ، وما كانت كذلك ، إلا لانها ليست من طبيعة تلك الأجسام الصماء ، ولا من طينة تلك المادة العمياء ، حتى تأنس الى شىء حقير فتخضع اليه وتسكن ، ولا تتجاوزه الى ما هو اعظم واكــرم .

فهى — دائما — لا تأنس إلا لنور يجلى عنها ظلمات الأشياء الأرضـــية الكثيفة ، لتشرف على خطرة القدس المنيفة ، وهى — دائما — أجل من أن تقنع بالمشتهيات الجسمانية ، واكبر من أن ترضى بالملاذ المادية .

ثم هى — لا تفتــأ — تقيم الحجة على الإنسان ، رجاء أن يتهدى الى وضع المحجة ، فيتصبر فى أمره ويكتنه حقيقة سره ، فيسكن اليه فؤاده ويؤوب اليه رشاده ، ولو كان يحيا فى فقر المــادة ، ولو كان جســـده بين القنا والقنابل ، فالسعادة فى المعرفة لا غير ، والعارى عن المعرفة وإن تنعم بأوصاف النعم . ترى — دائما — فى قلبه وحشة ، وفى فكره حيرة ، وفى نفسه ذلة .

والعارف لتلك المعالم . مطمئن النفس . هادىء البال . لأن نفسه قد اخذت حظها من اليقين والمعرفة . حين أسلمت أمرها . واعتنقت دينها عن رضا ويقين ، فسلمت من كل ما يؤذيها ، وسعدت بكل ما تحب ، فعاشت فى أمن وطمأنينة . وكانت اهلا لأن تدخل فى عباد الله وفى جنته بهذا النداء الذى تهفو نفوسنا جميعا إليـــه : ((**يا يتها النفس المطمئنة . ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى**)) الفجر : ٢٧/ ٣٠ .

ورحم الله ابن القيم حيث قال :

ولا تقر العين ، ولا يهدأ القلب ، ولا تطمئن النفس ، إلا بإلهها ومعبودها الذى هو حق ، وكل معبود سواه باطل . فمن قرت عينه بالله . قرت به كل عين . ومن لم تقر عينه بالله . تقطعت نفسه عن الدنيا حسرات . والله تعالى إنما جعل الحياة الطيبة لمن آمن بالله وعمل صالحا ((**من عمل صالحا من ذكر او أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون**)) النحل : ٩٧

ونظير هذا قوله تعالى : ((**للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ، ولدار الآخرة خير ، ولنعم دار المتقين**)) النحل : ٣٠ ، ونظيرها قوله تعالى : ((**وأن**

استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى ويؤت كل ذى فضل فضله » هود/٣ . ففاز المتقون المحسنون بنعيم الدنيا والآخرة ، وحصلوا على الحياة الطيبة فى الدارين ، فان طيب النفس ، وسرور القلب ، وفرحه وابتهاجه ، وطمأنينته وانشراحه ، ونوره وسعته ، وعافيته من ترك الشهوات المحرمة ، والشبهات الباطلة ، هو النعيم على الحقيقة ، ولا نسبة لنعيم البدن اليه ، فقد كان بعض من ذاق هذه اللذة يقول : **« لو علم الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف »** وقال آخر : « إنه ليمر بالقلب أوقات اقول فيها : **« أن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لفى عيش طيب »** وقال آخر : **« إنه فى الدنيا جنة هى فى الدنيا كالجنة فى الآخرة ، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة .. »** ا. هـ .

والإسلام رسم للانسان الطريق ، وحدد معالمه فى صورة مثلى ، ونظرة متكاملة ، وقد استعاذ النبى صلى الله عليه وسلم بالله من الكفر ، لأنه ضياع الدنيا ، والحياة الطيبة أصلا هى للمؤمنين فى الدنيا والآخرة — كما سبق — لأنهم عرفوا معالم الطريق الذى يكفل لهم تلك السعادة .

وما استحق الإنسان كل هذا الاهتمام ، الا لأنه الكائن الوحيد الذى تتمثل فيه كل نواحى الوجود ، والحد الوسط فى سلسلة الموجودات ، ولذا كان جديرا بأن يكون المركز الذى يبدأ منه التفلسف ، ويتركز حوله النظر لينتقل العقل منه بسهولة ويسر ، فى حركته التصاعدية الى من هو ارقى منه فى الوجود ، وفى حركته التنازلية ، الى ما هو دونه فيه .

والوجدان فى الإنسان هو القوة الحيوية التى تساعده على البقاء ، والعامل الأول فى تكوين شخصيته ، وتحديد سلوكه ، ولذا كان اقرب قواه اليه ، بل واكثرها اهمية فى حياته .

ومن هنا كان جديرا بأن يكون مكان الصدارة دائما .

والإسلام لا يستغنى عن الوجدان بحال من الأحوال ، ولا يعتمد إلا عليه عند الكثير ، وما الترغيب والترهيب ، والوعد والوعيد ، والبشارة والإنذار ، الا وسائل تهدف نحو إثارة الوجدان دفعا الى العمل ، وطلبا لجنى الثمرة التى تأتى كنتيجة لأعمال الناس جميعا .

وعليه فالوجدان هو قوة الحياة ، والدافع المحرك لها ، ليتوجه غير المؤمنين الى الإيمان ، وليزداد الذين آمنوا إيمانا على إيمان .

والإنسان بفطرته يشعر — دائما — بأنه محتاج الى من يظاهره ويعاونه ، ويوجده ويحفظ له ذلك الوجود ، وذلك : هو شعور المحتاج نحو من يحتاج اليه ، والخاضع نحو من هو اقوى منه .

ولذا كان لا بد وان يكون مليئا بمظاهر الاحترام والتقديس ، والخشوع والخضوع ، والشعور بالخوف من تلك القوة القاهرة التى تثير السحاب ، وتسير البحار ، وتنظم جميع الحركات والسكنات دائما ، فهو شعور مشرب بخوف ورجاء ، وتقديس وتعظيم ، وهو شعور يدفع بالضرورة الى التعبد والتمسك .

ورغم ذلك كله : فالإسلام لا يعتمد على الوجدان كقوة وحيدة هى الأولى والأخيرة . بل يعتمد على الإرادة والعقل ايضا . وبذلك : تتضامن الميول النفسية كلها . من شعور بالحاجة والضعف ، وإحساس باللامحدود ، ورغبة فى كمال المعرفة ، وفى تحقيق الانسجام الذاتى والخارجى ، مع مراعاة أن الاسلام فطرة كامنة فى النفس لا تستطيع جحودها بحال من الأحوال — كما

سبق — فإن هذه الوسائل الثلاثة — الوجدان والإرادة والعقل — وهى الميول النفسية — وسائل مساعدة للنفس على ان تجد ما تعبر به عن الحقيقة التى يجب أن تدرك . وهى ضرورة الإيمان . ويكفى أن تكون النواحى البشرية ، والاتجاهات النفسية ، والغرائز الفطرية ، وكل ما فى الانسان ، دليلا حيا تكمن فيه الأدلة الواقعية — كلها على انه مخلوق لخالق ، وليس فى حاجة الى ادلة خارجيــة تعطيه الدليل على وجوده ، مع أن الكون كله ينطق بذلك ، وهذه الأدلة حاضرة فى نفسه ، ينطق بها عقله ، ويشهد بها وجوده ، ويخضع لها قلبه ، وتسكن اليها نفسه ، ويميل اليها وجدانه ، وكل ما فيه من قوى .

وما كان الله اقرب إلينا من حبل الوريد . إلا لأنه سبحانه حاضر حضورا لا يعرف التخلف عند كل حاسة من حواسنا ، يعرفه العقل ، ويدركه القلب ، ويشعر به الوجدان ، وتسعد بتلك المعرفة النفس ، فتسكن وتطمئن .

٢ — حــزب الشــيطان :

والشيطان وحزبه فى عمل دائب ، مستمر ، متواصل ، حتى لا يصــل الإنسـان الى تلك المعالم ، فيسعد ويهنأ ، ولذا تجد كثيرا من الناس يغمضــون أعينهم عن أن يروا الحقيقة التى ينطق بها وجودهم ، فيعيشون فى جهالة جهلاء ، وفوضى عمياء ، تراهم بشرا من الناس ، ولكن قلوبهم لا تفقه ، وعيونهم لا تبصر ، وآذانهم لا تسمع ، ورغم ذلك كله فهم حين ينزل بهم خطب ، تتحرك فى نفوسهم الفطرة ، ثم لا يلبثون أن يرجعوا القهقرى على أعقابهم ينكصون ، اتباعا لعمل الشيطان وحزبه .

والانسان الذى عرف معالم الطريق فأسلم ، هو وحده الذى يعتبر بحق . خصيم حزب الشيطان . والأمة الإسلامية هى الأمة الوحيدة التى أعطاها الله تبارك وتعالى تلك الدرجة .

ومع شاعر الاسلام محمد إقبال فيما كتبه تحت عنوان : « **برلمان إبليس** » ندرك بعض معالم حزب الرحمن وحزب الشيطان . وجها لوجه . قال :

« اجتمع الشياطين وزملاء ابليس وأعوانه فى مجلس شورى وتباحثوا فى سير العالم . واخطار الغد وفتنته » ثم قال إبليس فى هذا البرلمان :

« إن كنت خائفا ، فانى أخاف امة لا تزال شرارة الحياة والطموح كامنة فى رمادها ، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، وتسيل دموعهم على خدودهم سحرا لا يخفى على الخبير المتفرس أن الإسلام هو فتنة الغد وداهية المستقبل » .. ثم قال إبليس :

« انا لا أجهل أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجورا ، وانها فتنت بالمال وشغفت بجمعه وادخاره كغيرهم من الأمم ، أنا خبير ان دليل الشرق داج مكفهر ، وأن علماء الإسلام وشيوخه ليست عنــدهم تلك اليد البيضاء التى تشرق لهـــا الظلمات ، ويضىء لها العالم ، ولكنى أخاف أن قوارع هذا العصر وهزته ستقض مضجعها ، وتوقظ هذه الأمة وتوجهها الى شريعة محمد حامى الذمار ، حارس الذمم والأعراض ، دين الكرامة والشرف ، ودين الأمانة والصفاء ، دين المروءة

والبطولة ، دين الكفاح والجهاد ، يلغي كل نوع من انواع الرق ، يزكي المال من كل دنس ورجس ، ويجعله نقيا صافيا ، ويجعل اصحاب الثورة والملاك مستخلفين في اموالهم ، امناء لله ، وكلاء على المال ، واى ثورة أعظم ، واى انقلاب اشد خطرا مما احدثه هذا الدين في عالم الفكر والعمل ، يوم ان صرخ ان الارض لله ، لا للملوك والسلاطين ، فابذلوا جهدكم أن يظل هذا الدين متواريا عن أعين الناس ، وليهنكم ان المسلم بنفسه هو ضعيف الثقة بربه ، قليل الايمان بدينه ، اضربوا على آذان المسلم ، فانه يستطيع ان يكسر طلاسم العالم ، ويبطل سحرنا بأذانه وتكبيره ، واجتهدوا في أن يطول ليله ، ويبطيء سحره اشغلوه يا اخواني عن الجد والعمل ، حتى يخسر الرهان في العالم ، خير لنا أن يبقى عبدا لغيره ويهجر هذا العالم ويعتزله ، ويتنازل عنه لغيره ، زاهدا فيه ، واستخفافا لخطره ، يا ويلتنا ، ويا شقوتنا لو تنبهت هذه الأمة التي يعزم عليها دينها أن تراقب العالم وتحسه » أ. هـ بتصرف .

والقرآن الكريم يقص علينا سبل الشيطان الرجيم فيمحاولاته الدائبة لإفساد الأسرة الإنسانية . قال تعالى « **قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين** » الأعراف /١٦ — ١٧ .

والإغواء في الأصل : بمعنى الفساد المردى ، وهو ضد الرشاد بمعنى الإيقاع في الغواية . والصرا المستقيم : هو الطريق الوحيد الذي يوصل صاحبه وسالكه الى السعادة ، وان تتزكى نفسه بالموازنة بين المادة والروح .

ولم يقف الأمر عند حد الإغواء والاضلال ، فانه يأتي من بين ايدى الناس ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم : إغواء وإضلالا . ابتغاء الفتنة وابتغاء البعد عن الصراط المستقيم .

ولكن الإسلام حصن حصين يحفظ معتنقيه من الوقوع في الغواية والاضلال ففي سورتي الحجر وص استثناء عباد الله المخلصين من تلك الغواية وذلك الاضلال .

قال تعالى : « **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين** » الحجر/٤٢ . وهذا تأكيد لقوله : « **إلا عبادك منهم المخلصين** » الحجر/ ٤٠ ، ص ١٣ .

وقوله تعالى : « **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا** » الاسراء / ٦٥ .

٣ — حزب الرحمن ومعالم الطريق :

والمسلمون الآن كما تقول احصائية أخيرة تحت إشراف الأمم المتحدة يبلغون ٨٠٠ مليون نسمة ، ولكي نعطي هذا العدد الاعتبار الصحيح يجب أن تكون لدينا فكرة عن نموه في السنين الاخيرة من القرن العشرين ، ففي أوائل الحرب العالمية الأولى كان عدد المسلمين (٢٥٠ مليون) وفي مدى نصف قرن تقريبا تصاعد الى ما يقرب الآن من مليار ، وهم بهذا العدد يعيشون في القارات الخمس ، وفي

جميع أقطار العالم ــ ويشكلون تقريبا ثلث دول العالم ، هذا ما تؤيده الأرقام داخل منظمة الأمم المتحدة ــ الأمم المتحدة ١٣٢ . الدول الاسلامية نحو (٤٠) .
أما اذا ذهبنا نعد الدول التى ما زالت تحت نير الاستعمار ككشمير وفلسطين واريتريا والصومال والصحراء المغربية ودول أخرى ، فاننا سوف نصل الى رقم أعلى من ذلك ، وهذا الرقم للدول التى يسكنها اغلبية مسلمة ، أما الدول التى يتراوح عدد المسلمين فيها من ٣٠ الى ٤٥٪ من مجموع السكان فهى خمس عشرة دولة (١٥) ما عدا الاتحاد السوفيتى الذى يبلغ عدد المسلمين فيه أكثر من ٤٠ مليون والهند (٧٠) سبعين مليونا ، وفى كل من يوغوسلافيا ٣ ملايين وتايلاند ٣ ملايين وبورما ٣ ملايين والفلبين ٤ ملايين ومع هذا العدد الضخم للدول الاسلامية فى الأمم المتحدة وخارجها ، فان مواقف حكوماتها مختلفة ومتناقضة فلم تناقش مرة واحدة قضية تهم هذه الشعوب ويتخذ فيها قرار لصالح المسلمين ، وكأن هذه الحكومات لا تمثل هذه الشعوب ، يحرق المسجد الأقصى وتشن الحرب على باكستان ويذبح المسلمون فى الفلبين وانجولا .. الخ .

انظر الى هذا العدد الضخم بهذه الصورة وفكر فى الواقع ، ولا تنس ما بيننا وبين إخوان القردة والخنازير وفكر .. وحاول أن تجد الخلاص ، وأن تدرك معالم الطريق لإسعاد الأسرة الانسانية مما تعانيه ، فماذا تجد .. ؟

تجد المسلمين كما بلا كيف ، وعددا بلا فكرة ، غلبت عليهم المادية كما غلبت على غيرهم ، فعاشوا أعوادا انقطع عنها ماء الحياة فذبلت وتحطمت ، واوراقا عصفت بها رياح الخماسين فتساقطت وتهشمت ، ومصابيح انقطع عنها التيار فتعطلت واظلمت ، وهم بهذا تصدق فيهم نبوءة نبيهم « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها . قال : قلنا يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ ؟ قال: أنتم يومئذ كثير ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل ، ينتزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل فى قلوبكم الوهن ، قال : قلنا . وما الوهن ؟ قال : حب الدنيا وكراهة الموت » ، « عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

رواه احمد فى مسنده وأبو داود فى الملاحم .
والعلاج أن نضع نصب أعيننا جميعا أن الله سائلنا عن دينه ، بل وعن دعوة العالم الى دينه ، فنحن الأمة التى أعطاها الحق تبارك وتعالى عجلة القيادة لهذا العالم قال تعالى :

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » البقرة/١٤٣ . وقال تعالى : **« وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس »** الحج /٧٨ . ونحن الأمة التى مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم حقيقتها فى الترابط والشعور والاحساس بالجسد الواحد : **« مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »** حديث صحيح رواه مسلم وأحمد عن النعمان بن بشير .

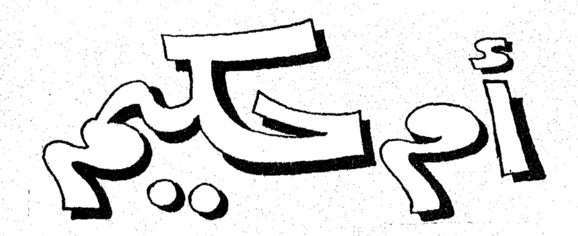
ونحن الأمة التى حدد النبى صلى الله عليه وسلم معالم الطريق لإسعادها وحتى تأخذ مكانتها المرجوة فى قوله : « **وإنى قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله** » الحديث رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد ومالك ورواه الحاكم عن أبى هريرة قال : خطب النبى صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فذكره : « تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتى ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض » .

ونحن الأمة التى سمى الله عز وجل دينها إسلاما كما قال عبد الله بن المبارك عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس فى قوله تعالى : « **هو سماكم المسلمين من قبل** » قال — الله عز وجل وقال مجاهد : الله سماكم المسلمين من قبل فى الكتب المتقدمة وفى الذكر ، وإن كان عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول — يعنى ابراهيم فإن الأول أولى ، وفى الحديث الذى يرويه النسائى بسنده : « فادعو بدعوة الله التى سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله » .

● **وإن أمة سماها الله عز وجل . وانتظمت فى ركب الايمان مع كل المرسلين . ووضحت أمامها معالم الطريق بهذه الصورة لهى الأمة التى يصدق عليها قول الله « أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون »** ويوضح المفكر الاسلامى (أبو الحسن الندوى) آثار تلك المعالم فيقول « والقرآن وسيرة محمد صلى الله عليه وسلم قوتان عظيمتان تستطيعان أن تشعلا فى العالم الاسلامى نار الحماس والإيمان ، وتحدثا فى كل وقت ثورة عظيمة على العصر الجاهلى ، وتجعلا من أمة مستسلمة متخذلة ناعسة ، أمة فتية ملتهبة حماسة وغيرة ، وحنقا على الجاهلية ، وسخطا على النظم الجائرة ، ان علة علل العالم الإسلامى هو الرضا بالحياة الدنيا ، والاطمئنان بها ، والارتياح الى الأوضاع الفاسدة ، والتبذير الزائد فى الحياة ، فلا يقلعه فساد ، ولا يزعجه انحراف ، ولا يهيجه منكر ، ولا يهمه غير مسائل الطعام واللباس ، ولكن بتأثير القرآن والسيرة النبوية إن وجدا الى القلب سبيلا يحدث صراع بين الإيمان والنفاق ، واليقين والشك ، بين المنافع العاجلة فى الدار الآخرة ، وبين راحة الجسم ونعيم القلب ، وبين حياة البطالة وموت الشهادة ، صراع أحدثه كل نبى فى وقته ، ولا يصلح العالم إلا به ، حينئذ يقوم فى كل ناحية من نواحى العالم الاسلامى فى كل أسرة اسلامية فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلهـا لقد قلنا أذا شططا . هنالك تفوح رائحة الجنة ، وتهب نفحات القرن الأول ، ويولد للاسلام عالم جديد ، لا يشبه العالم القديم فى شىء » .

والله عز وجل يقول : « **يايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم** » الأنفال ٢٤ . ويقول : « **يايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا . فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم فى رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما** » النساء ١٧٤ و ١٧٥ .

وهكذا تتضح معالم الطريق للأسرة الانسانية كافة وفى هذا بيان لخصائص الاسلام فى جلاء ووضوح . وأنه دين الحياة . يتفاعل معها ، ويصلح من شأنها ، ويرسم لها أقوم السبل لتكون حياة سعيدة . آمنة مطمئنة .



مسرحية تاريخية من فصل واحد ..

للدكتور : أحمد شوقى الفنجرى

ملخص ما نشر في العدد السابق

« في خيمة الاسعاف حيث يقوم فريق من نساء الصحابة باعداد الضماد والفيار اثنا معركة اليرموك بينهن أم حكيم وهند بنت عتبة زوجة ابى سفيان وأم تميم زوجة خالد بن الوليد واسماء بنت ابى بكر الصديق ..

يدور بين النسوة وأم حكيم حديث يذكرون فيه بطولاتها فى الحرب ومشاركتها لزوجها وابيها وولدها فى مغازى الرسول صلى الله عليه وسلم ثم حروب الردة ثم فتوح الشام وصدق هذا البيت فى البذل والجهاد .

وبينما هن يتحدثن مع أم حكيم اذ تدخل خولة بنت الازور ومعها رعلة وامامة يحملن جريحا يحتضر . فاذا به عكرمة بن ابى جهل زوج ام حكيم .

وعندما يفيق عكرمة من غشيته يبدأ بينه وبين زوجته هذا الحوار : »

أم حكيم : كيف أنت يا ولى الله .. جزاك الله عن الاسلام خيرا فقد أبليت أحسن البلاء .

عكرمة : لقد انتصرنا يا أم حكيم .. واعز الله الاسلام ..

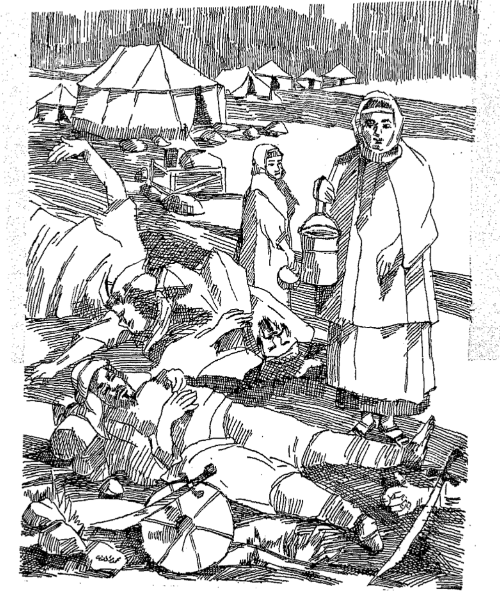
أم حكيم : الحمد لله وما النصر الا من عند الله ..

عكرمة : (تدمع عينيه ويتهدج صوته ..) جزاك الله عنى خيرا يا زوجى فى الجنة .. أنت التى هديتنى الى الاسلام بعد أن كنت وأبى أشد الناس ايذاء لرسول الله وصحبه فى مكة فعسى أن يغفر الله لى ما فعلته برسوله ..

أم حكيم : ان الاسلام يجب ما قبله يا عكرمة .. وقد عفا رسول الله عنك بعد فتح مكة ومنحك الأمان بعد ان كان قد استحل دمك ..

عكرمة : الفضل لك يا أم حكيم .. لقد ذهبت الى الرسول تطلبين منه الأمان فكنت سابقة لى فى الاسلام وهأنذا أسبقك الى الشهادة والى لقاء رسول الله . فيا لهفى الى ذلك اللقاء .

أم حكيم : اتعلم يا عكرمة ماذا قال عنك رسول الله عندما ذهبت اليه .. لقد بشرنى قائلا : « لعل الله يجعل لأبى جهل عذقا كبيرا فى الجنة » فلعلك تكون ذلك العذق الكبير الذى لأبى جهل فى الجنة ..



عكرمـــة : ما اصدق رسول الله ﷺ .. واصدق نبوءته .. فوالله ما كنت اصدق أن يدخل احد من آل ابى جهل الجنة أبدا .. وهانذا أرى الجنة بعيني واستشعر بردها واشم ريحها الطيب ..

ام حكيـــم : اتذكر يا عكرمة يوم ان عايرك المسلمون وقالوا لك يا ابن ابى جهل عدو الله ..

عكرمـــة : والله ما انسى يوم شكوت ذلك الى النبى فجمع الناس وخطب فيهم قائلا : « ايها الناس .. لا تؤذوا الأحياء بسبب الموتى » ومن يومها امتنع الناس عن سب أبى ..

ام حكيـــم : واليوم يا عكرمة انت وولدك تقودان جيش الاسلام دفاعا عن دين اللـــه ..

عكرمـــة : فأين ولدى عمرو يا أم حكيم .. أريد ان أودعه فما أحسب إلا أن منيتى قد حانت ..

ام حكيـــم : ألم تأخذه معك فى الهجوم ؟.

عكرمـــة : بلى كان معى ولكنه افترق عنى وراح يقاتل مع ابيك .. أن ولدنا عمرو يريد أن يقاتل وحده دون اعتماد على أبيه أو أمه .

ام حكيـــم : بعد فترة صمت وقلق : ـ قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ..

اسمـــاء : اطمئن يا عكرمة .. فقد أرسلت من ينـــادى على ولدك بين الجنـــود لتراه ..

عكرمة : لا تعطليه عن واجبه يا ابنة الصديق .. ولا تؤخريه عن الجهاد .. فما جئنا لمثل هذه العواطف .. ولكن تعالي، واجلسي الى جانبي أحدثك حديثا طويلا قبل أن ألقى ربي : أتذكرين يا أسماء ليلة الهجرة ..

أسماء : ومن ينساها يا عكرمة بحلوها ومرها .. وهل نحن نعيش إلا على تلك الذكريات التي تركها لنا رسول الله ..

عكرمة : ليلة الهجرة .. كنت أنا وأبى الجانب المر فيها .. وكنت أنت وأبوك الجانب الحلو فشتان الفارق بين حالينا .. أتذكرين يا ابنة الصديق يوم جئت مع أبى جهل الى بيتك نسأل أين ذهب أبوك .. ومكثنا نستجوبك الساعات الطوال ونضيق عليك الخناق وأنت صامدة هادئة لا يغلبك رجال قريش مجتمعون ..

أسماء : أما زلت تذكر ذلك يا ابن أبى جهل .. لقد كان ذلك فى الجاهلية وقد عفا الله عما سلف ..

عكرمة : وأنى لى أن أنساه وقد أخذ أبى يلطمك على وجهك فى قسوة وأنا أهينك وأسب أباك لكى تخبرينا بمكان رسول الله ..

أسماء : عفا الله عما سلف .. فلا تشغل بالك بهذا الآن ..

عكرمة : إنى لأعلم أن الله قد غفر لى منذ يوم اسلامى كل ما فعلته فى الجاهلية .. ولكنى أريد أن يطمئن قلبى من ناحيتك أنت .. فهل غفرت أنت لى اساءتى اليك يا ذات النطاقين .. وهل صفا قلبك نحوى ..

أسماء : أتتوقع منى أن أحمل ضغنا فى قلبى بعد أن غفر الله لك وعفا عنك رسوله .. ومن أكون أنا يا ابن أبى جهل حتى تطلب منى العفو .. وقد كرم الله وجهك بالاسلام وعرف أبو بكر خليفة رسول الله قدرك فجعلك من قادة جيوش المسلمين . فاذا اختارك الله بعد ذلك شهيدا فى الحرب فأنت فى الآخرة بأعلى مكان مع الصديقين والشهداء والأنبياء .. وأنت أعلى من مثلى منزلة وأقرب مكانة من الله .. فلا تكن إلا قرير العين يا عكرمة طبت يا أخى فى الله فوالله ما أحمل لك فى قلبى إلا كل حب واكبار ..

عكرمة : الحمد لله .. الآن أستطيع أن ألقى ربى مرتاح البال ..

(تدخل خولة وغفيرة ورعلة يحملن جريحا آخر .. وتميل خولة على أسماء تسر لها حديثا فى أذنها ..)

أسماء : يا غفيرة ويا رعلة .. انقلن هذا الجريح الجديد الى الخيمة التالية .

أم حكيم : ولماذا الخيمة التالية يا أم عبد الله وفى هذه الخيمة متسع . أحسبت أننى انشغل بجراح زوجى عن غيره من جنود الاسلام .. كلهم فى الله إخوانى وأولادى وأحبابى وتالله ما أفرق فى الموت والشهادة بين ولدى عمرو وبين غيره من فتيان المسلمين .

(تقترب أم حكيم من الجريح وفى يديها الضماد والفيار .. ثم تفاجأ قائلة :)

أم حكيم : هذا ولدى عمرو .. أنت أيضا يا ولدى كرم الله وجهك كأبيك .

عمرو : ادعو لى الله يا أمى أن أكون ذلك العذق الصغير الذى لأبى

جهل فى الجنـــة .

أم حكيــم : حماك الله يا ولدى وسلمك لأمك .

عمــــرو : يا امى .. إن كنت تحبين ولدك حقا فادعى لى بالشــــهادة لا بالســلامة ..

أم حكيــم : ارايت يا اسماء ان اهلى كلهم لا يرضون إلا بالشهادة وانت كنت تخافين على ان اسمع بجــرح زوجى وولدى فى وقت واحــد واردت أن تخفى الخبر عنى ..

اســماء : بارك الله فيكم بيت ابى جهل .. فبفضلك يا أم حكيم .. اصبح هذا بيت التضحية والفداء فى الله .. فلننقل عمرو اذا الى جوار أبيه ليراه ويحدثه .. (ينقلانه الى جوار عكرمة) .

أم حكيــم : يا عكرمة هذا ولدنا عمرو جاء يسلم عليك ويودعك فادع الله له بالخير فقد كان بارا بنا ..

(بعد قليل تدخل نسوة الصحابة يحملن جريحا ثالثا .. وتقول احداهن) :

ــ يا أهل الاسعاف .. هذا جريح ثالث لا تقل جراحه خطرا عن أخــويه ..

(تقوم اليه أم حكيم لكى تسـعفه فاذا به أبوها الحــارث بن هشــام) .

أم حكيــم : ابى الحارث !!.. سلمك الله وعافاك .. سأضعك هنا الى جوار حفيدك عمرو وزوجى عكرمة ..

(تدخل النسوة بجريح رابع ويقلن :)

ــ أين نضع هذا الجريح يا أم حكيم . انه فتى صغير السن ولا نعلم اسمه .

الفتى : هنا الى جوار أخوته ..

(تنظر اليه فى حنان وهى تداوى جراحة حتى فاق من غشيته ..)

أم حكيــم : من انت يا ولدى ..؟

الفتى : انا سهيل بن عمرو الأنصارى يا أماه ..

أم حكيــم : من انصار رسول الله .. أنعم واكرم بكم .. وهل ابوك فى الجيش بين المجاهدين يا سهيل .

الفتى : ابى استشهد فى حرب الردة فى اليمامة .

(تسود فترة صمت ثم تعود أم حكيم فتسأل الفتى :)

أم حكيــم : وهل أمك هنا بين الصحابيات حتى ادعوها لك لتراك ..؟

الفتى : أمى استشهدت فى فتح فارس ..

(تدمع عيناها وتقول فى شفقة :)

أم حكيــم : يا لله .. لقد باعد الاسلام بين قبورنا ولكنه قرب بين أرواحنا وقلوبنا .. انا يا ولدى امك وهذا عكرمة أبوك وهــذا عمرو ولدى أخوك فلست وحيدا ..

الفتى : لست وحيدا يا أماه .. فقد اخترت الله ورسوله ملجأ ورفيقا وانيسا فان كنت تريدين لى الخير فادع لى بالشهادة ..

(تبتسم ام حكيم فى اسى والدمع ما زال يملأ عينيها ..)

ــ كل أحبــائى واهلى يريدون اليوم فراقى فمن يدعــو لى بالشهادة بعدكم ..

تسمع ضجة واقدام خيل وصهيلها واحدى النساء تقول :

ــ هذا خالد بن الوليد يمر على خيام الاسعاف ليزور الجرحى .

أسـماء : خالد جاء هنا .. لا بد ان القتـال قد توقف .. فقـد غربت الشـمس .

خـالد : السلام عليكن يا صاحبات رسول الله ..

النسـاء : عليك السلام أيها الأمير ورحمة الله وبركاته ..

خـالد : كيف حالك يا أم حكيم وكيف حال جرحاك ..

(أم حكيم تدير وجهها حتى لا يرى خالد دموعها وتجفف دمعها بمرطمها ثم تقبل على خالد هادئة مبتسمة ..)

أم حكيـم : اهلا بك يا سيف الله المسلول . .نحن بخير وعافية والحمدلله .

(يدور خالد على الجرحى الاربعة يسالهم عن احوالهم ثم يجلس على الارض ويضع راس عكرمة على حجره وراس عمرو من الناحية الأخرى ثم تقبل عليه نساء الصحابة يسالنه) .

النسـاء : طمئنا يا أبا سليمان عن جيش المسلمين وعن أحوال القتال ..

خـالد : الموقف يا صاحبات رسول الله اصبح فى صالحنا اليوم فقد قضينا على رماة الروم جميعهم وكانوا أخطر شيء على المسلمين وغدا يوم حاسم نقضى فيه على فرسانهم دون أن نتعـرض لأى خسـائر ..

النسـاء : لله درك يا خـالد .. لا يهزم الله جيشـا أنت قائده وأميره يا أبا سـليمان ..

خـالد : يا صاحبات رسول الله .. لا تمدحنني .. فالفضل أولا لله ولرسوله .. وان كنتن تردن معـرفة أصحاب السـبق .. فهؤلاء هم حماة الاسلام وأبطاله .. فوالله ما كان خالد بن الوليد ليحرز نصرا أو يقهر عدوا لو لم يكن معه رجال أمثال عكرمة وعمرو والحارث وسهيل .. لقـد سمعنى عكرمـة اليوم أقول : من يكفينى رماة الروم فقد آذوا المسلمين كثيرا .. فقال دع هذا لى يا خالد .. انا لها ..

عكرمـة : الفضل لصحابة رسول الله يا أبا سليمان .. فقد درت على الجيش أنادى : من يبايع على الموت .. فاذا بالمسلمين كلهم يريدون الموت والشهادة .. وكان من أرده منهم يعود آسفا وحزينـا ..

خـالد : أتعلم يا عكرمة انهم جاءوا يشـكون منك الى .. وقالوا ان عكرمة يستأثر قومه من بنى مخزوم لمواقف الموت والشهادة ..

عكرمـة : بارك الله فى صحابة رسول الله .. فهم يكثرون عند الفزع ويقلون عند الطمع .. ولكنى يا أبا سليمانُ أردت أن لا يكون الى جانبى فى هـذا الموقف الانتحـارى إلا من أعرف قتاله وبلاءه .. فكان أول من اخترتهن للموت ولدى عمرو .. فهل أخطأت فى هذا ؟.

خـالد : لا تأخذها على هذا الوجه يا عكرمة .. انما هو عتاب المحب لحبيبه .. وعتاب من يرجو أن يكون مع من أحب فى الجنة .. والآن يا عكرمة .. لا تسرف فى الكلام فقـد نزفت كثيرا من جراحك ..

عكرمـة : إن كان ذلك يعجـل بلقـاء ربى فلن اغلـق فمى أبـدا

(خـالد يضحك) .

عكرمـــة : اوصيك يا أبا سليمان بأم حكيم .. فلم يعد لها بعدنا أحد فى هــذه الدنيـــا ..

خـــالد : اتوصينى يا عكرمـــة بأم حكيم .. ام توصى أم حكيم بنـــا .. هؤلاء صحابة رسول الله كلهــم أولادهـــا وعيالها .. وكلهم آباؤها وأعمامها .. كل جندى منهم بجيش ، وكل فرد منهم بأمة .. فهم أمم وجيـــوش تحت أقدامها بعـــدما قدمت من تضحيات .. فلا تكن الا قرير العين ..

أم حكيـــم : حسبك يا خالد .. لا تملأنى زهوا وغرورا .. وحسبى الله لى أهلا وملاذا ..
وكل ما ارجوه منك أن تدعنى أقاتل معك أينمـــا سرت حتى يرزقنى الله الشهادة فألحق بمن سبقنى فى الجنة ..

(تسود فترة صمت وقور .. ويرى نساء الصحابة ينقلن الجرحى هنا وهناك .. ثم تمر اسماء بنت أبى بكر وفى يدها قربة بها قليل من الماء .. ومعها قدح صغير فينظر اليها الفتى الصغير سهيل ..)

الفتى : مـاء .. اعطنى مـاء يا أماه ..

(تجرى اسماء بنت أبى بكر وتحمل فى يدها قدح من الماء وتقدمه اليه .. فما ان يهم بشربه حتى يسمع عمرو بن عكرمة) .

عمــــرو : مـاء .. مـاء .. اعطونى مـاء ..

ســـــهيل : اسمع أخى عمرو يطلب ماء .. فأعطه قبلى ..

أســماء : اشرب وسأعطيه بعدك ..

ســـــهيل : اخى أخطر منى جرحا .. ولن أشرب قبله ..

(تذهب اسماء الى عمرو لتسقيه .. فيسمع جده الحارث بن هشام ..)

الحــارث : مـاء .. مـاء أعطونى مـاء ..

فيرفع عمرو الماء عن فمه ويقول لاسماء ..

عمــــرو : أعطوا الشيخ الماء قبلى ..

أســماء : اشرب يا عمرو وسأعطيه بعدك ..

عمــــرو : لا اشرب قبل الشيخ ..

(تذهب اسماء الى الحارث بن هشام لتسقيه فيسمع عكرمة وهو يحتضر ..)

عكرمـــة : مـاء .. مـاء .. فتجرى اليه بالماء ..

(ويسمع عكرمة الفتى سهيل يطلب الماء .. فيزيح القـدح عن فمـه ..)

عكرمـــة : هذا أخى فى الله يطلب ماء فأعطه قبلى ..

أســماء : اشرب يا عكرمـــة ..

عكرمـــة : لن أشرب قبـــله ..

(اسماء تذهب الى سهيل لتسقيه فتجده قد مات ..)

اسماء منفعلة : تبض سهيل الى ربه (.. ثم تذهب الى عكرمة فتجده قد مات).

أســـماء : لقد لاقى عكرمة ربه (تذهب الى عمرو) .

أســـماء : لقد لاقى عمرو بن عكرمة ربه (تذهب الى الحارث) .

أســـماء : لقد لاقى الحارث بن هشام ربه .

(تنفعل أسماء وتبكى وتقول :)

هنيئا لكم جميعا لقاء ربكم .. انتم السابقون الى الله ونحن

اللاحقون بكم حتى فى لحظة الموت يؤثر كل منكم اخاه على نفسه وصدق الله العظيم إذ يقول : « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » . **(تنظر الى أم حكيم وتقول) :**
ــ تجلدى يا أم حكيم . فهذا موقف الصبر والامتحان والايمان.

(نساء الصحابة كلهن يتجمعن حول أم حكيم يعزينها ويواسينها) .

هنــــد : لك الله يا أم حكيم .. أتفجعين فى زوجك وولدك وابيك فى ساعة واحــــدة .

(أم حكيم ترد عليهم فى ثقة وعزم وبصوت تعلو نبراته بقوة) :

أم حكيـم : والله ما هذه بفجيعة أبدا .. الفجيعة لو كنت فقـدتهم فى الجاهلية عندما كانوا يحاربون لغير غاية ولا هدف .. ويقتلون بعضهم بعضا فى الثأر والسطو والعدوان ..
أما اليوم فنحن نبذل دمنا وارواحنا لتعلو كلمة الله ..
لنحرر الانسانية من الجهل والوثنية..ومن الشرك والعبودية.
ولنخرج الشعوب من جور الاديان الى عدل الاســلام . ومن عبادة الانسان الى عبادة الديان .. ووالله ما تذهب دماؤنا اليوم هدرا .. إنما هى الشهادة وهى الجنة : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون . فرحين بما آتاهم الله من فضله . ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » .

هنــــد : لله درك يا أم حكيم .. فى الصباح كنت فارسة الميدان وفى المساء انت راهبة الايمان ..

أم حكيـم : لست والله بأقوى مبدأ ولا إيمانا منكن .. فهذه الخنســـاء شاعرة الجاهلية التى فقدت بصرها حــزنا وبكاء على اخيها صخر قبل الاسلام .. ثم جاء الاسلام فغير كيانها ووجدانها ..
فلما قتل اولادها الأربعة فى سبيل الله فى يوم واحد قالت : « الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم جميعا .. وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته » .. وأنا لا أملك إلا ان أقول مثلها « اللهم ارزقنى الشهادة مجاهدة فى سبيلك مثل زوجى وولدى وابى واجعلنى معهم فى الجنة .. » .

(وتقوم أم حكيم الى فرسها وتتوشح بدرعها وسيفها فتسالها اسماء ..)

اســماء : الى اين يا أم حكيم ..

أم حكيـم : سأظل أضرب فى العدو بسيفى هذا حتى انتقم لأهلى أو الحق بهم فى الجنـــة ..

« يسمع صوت آذان المغرب .. وتخفت الأضواء فى الخيمة الا من ضوء مصباح صغير خافت . وتقوم الصحابيات الى الصلاة مع جيش المسلمين ويخلو الميدان تماما الا من جثث الشهداء ويسمع صوت ابو عبيدة الجراح وهو يؤم المسلمين الى الصلاة ويقرا قول الله تعالى : « محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم .. تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم فى وجوههم من اثر السجــود .. ذلك مثلهم فى التــوراة ومثلهم فى الانجيل .. كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه .. يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار .. وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما » .



مــن تايلنــد

نحيي جهادكم المستمر في نشر الدين كما نراه في مقالاتــكم الدائمة ولقــد ترجمنا منها الكثير الى اللغة التايلدنية عن طريق مجلة سبيل السلام التى يراس تحريرها وصاحبها الأستاذ مصطفى الحنفى ويساعده على الترجمة ابنى غــازى سالم بن هلابى أى الترجمة من العربية الى التايلندية ومن ضمن هذه المقالات التى ترجمت مقالكم (أحاديث يجب تصحيح فهمها) وأيضا مقال (حكم الاسلام فــى تحريم لحم الخنزير) لأن هذه المقالات اخترناها لأنها تتناسب مع ظروف هــــذا البلد .

سالم بن عمر بن هلابى ــ تايلند

هياة دولية اسلامية

يعانى اليوم اخواننا فى الأقطار الاسلامية المختلفة وخاصة الأقليات نقصا فى كل ما يشد أزرهم وينشر بينهم الروح الاسلامية هذا بالاضافة الى حمــلات الابادة الجسدية والروحية من أعداء اللــه فى الأرض ، والمخططات المعاديــة للاسلام منسقة ومترابطة ، وتعمل فى جهد ودأب بعقلية منظمة .

فالشيوعية تدفع الملايين لكسب أتباع جدد لها فى الأرض .

والصليبية تدفع الملايين فى ايدى المبشرين الى أطراف الأرض ليعلوا كلمة الدين المسيحى .

ونحن قسمان : قسم يعادى الاسلام لجهله به وانسياقة لحملات التشكيك الشرقية والغربية .

وقسم لا يعادى الاسلام ولكنه غيور عاجز .

وحتى نكون شيئا فى الحياة ــ حتى يكون لنا مبدأ وعقيدة نحيا ونموت من اجلها ــ أرى أن تكون هياة دولية اسلامية تجمع الأموال من الخيريــن والزكاة لنساعد بها اخواننا بالغذاء والكتاب .

مسلم

التعريف بأحوال المسلمين

ان مجلة (الوعى الاسلامى) قد علقت بها قلوب قرائها العديدين فى العالم العربى والاسلامى فتوثقت الألفة بينهم وبينها على هذا الوجه الذى يطلع عليهم مع طلوع الهلال فى كل شهر .

وحبذا لو عنيت ببحوث للتعريف بأحوال المسلمين فى الجهات النائية حيث يكاد المسلمين هناك يعيشون وهم أقلية فى شبه عزلة عن العالم الاسلامى ، وحيث لا يكاد يلتفت اليهم المسلمون فى مواطن الاسلام ..

وحبذا لو شغلت الدراسات الأدبية واللغوية حيزا من المجلة ، تكشف به هذه الدراسات عن عظمة اللغة التى اختارها الله تعالى لتكون محملا لدينه ووعاء لشريعته ولسانا معجزا بالكلمة ، وبهذا نضع اللغة بمكانها الذى ينبغى أن يكون عند أهلها والذى يعلو كل لغة غيرها .. ويومئذ يرد للأمة العربية اعتبارها، فبالكلمة وحدها يقام ميزان الأمم كما يقام ميزان الرجال لأن الكلمات هن أمهات الأعمال ، وليس ثمة عمل الا وراءه كلمة هى محصول فكرة ونتاج تفكير .

عبد الكريم الخطيب

غلاف المجلة

هناك حقلان رئيسيان ما زلت أتمنى أن تغطيهما (الوعى الاسلامى) باستمرار مهما كلفا من جهد :

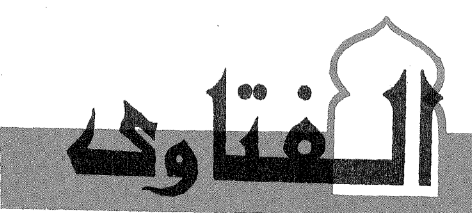
أ) ريبورتاجات مصورة ومطولة وموضوعة بحذق وعناية تركز على :

(١) الاتجاهات الاسلامية فى كل بلد اسلامى .
(٢) المؤسسات الاسلامية التعليمية وغيرها ..
(٣) أهم الشخصيات الفكرية والجمعيات ..
(٤) مطالب ومصاعب وتطلعات المسلمين ..
(٥) ما ينبغى أن يكون معروفا فى كل بلد لدى سائر العالم الاسلامى .

وحين تصور مجلة ما امرأة شبه عارية على الغلاف لتوهم بأن ذلك الوضع المنحرف يمثل امرأة نموذجية من بلد اسلامى ، فان الوعى لو نشرت صورة فى منتهى الحشمة واللباس الشرعى الاسلامى للبلد الذى يجرى فيه الريبورتاج فهى حرية بقلب مساعى العابثين .

ب) ندوات أو آراء لأبرز المفكرين المسلمين فى العالم فى قضايا تشغل الأذهان ، ومتابعة مستديمة لما ينشر عن الاسلام والمسلمين من كتب تستحق الاهتمام فى العالم .

أحمد العنانى



التيمم خوفا من خروج وقت الصلاة

السـؤال :

استيقظت من نومي جنبا ، ولم يبق على طلوع الشمس إلا دقائق ، ولو اغتسلت من الجنابة خرج الوقت وطلعت الشمس ، فهل يجوز لى أن أتيمم لأؤدى صلاة الصبح فى وقتها ، أو لا بد من الغسل وأصلى بعد طلوع الشمس ؟

الاجـابة :

جمهور الأئمة على أنه لا يجوز التيمم لخوف فوات وقت الفريضة لأنها تفوت الى بدل وهو القضـاء ، فلا بد أن يغتسل الجنب ثم يؤدى الفريضـة ولو بعد وقتها ، وأجاز بعضهم التيمم لخوف فوات الوقت ، ويرى فريق أن الأحوط أن يتيمم ويصلى ، ثم يعيد الصلاة بعد الغسل خارج الوقت .

سـيدنا ابراهيـم

السـؤال :

لماذا نخص سيدنا ابراهيم بالذكر فى تشهدنا فى الصـلاة دون سائر الأنبيـاء والمرسلين ؟

الاجـابة :

خص الله سيدنا ابراهيم بمزيد من الفضائل ، فهو خليل الرحمن ، وأبو كثير من الأنبياء والمرسلين ، ومن ذريته اسماعيل أبو العـرب ، واسحاق أبو اسرائيل ، ومن ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى والياس ، وهو جد خير خلق الله محمد صلوات الله وسلامه عليه وقد طلب من الله أن يجعل له لسان صدق فى الآخرين فاستجاب الله دعاءه فهو محمود فى جميع الملل وهو الذى سمانا المسلمين لهذه الفضائل والمناقب كلها خصَّ سيدنا ابراهيم عليه السلام بذكره فى التشهد للصلاة .

حـكم الختـان

السؤال :

انا اعمل فى الكويت وقد ولد لى فيها بنت ، ورغبت فى ختانها كما هو المألوف فى بلادنا ولكن كثيرا من اصدقائى قالوا لى أن ختان البنات غير مطلوب شرعا ، فارجو توضيح حكم الشريعة الاسلامية فى الختان .؟

الاجابة :

اختلف الفقهاء فى حكم الختان لكل من الذكر والأنثى هل هو واجب أو سنة فمذهب الشافعية انه واجب فى حق الذكر والأنثى ، ومذهب الحنابلة انه واجب فى حق الذكر ، وليس بواجب فى حق الاناث ، بل هو سنة ومكرمة ، ومذهب المالكية والحنفية أنه سنة فى حقهما ، وهو من شعار الاسلام .

وخلاصة القول : ان أكثر العلماء على أن خفاض ـ ختان ـ البنات ليس واجبا وهو قول المالكية والحنابلة والحنفية ، وان ختان الذكور واجب شرعا ، وهو شعار المسلمين وملةابراهيم ، وهو مذهب الشافعية والحنابلة ، فلا اثم فى ترك ختان البنت كما هو متبع فى كثير من الشعوب الاسلامية .

خرافـــة

السؤال :

سمعت أحد المحدثين فى المساجد يروى ان الامام الغزالى لم يدخله الله الجنة الا لأنه كان يوما يكتب ، فوقفت على قلمه ذبابة ، فتركها حتى رويت من المداد ، ثم طارت ، فما نصيب هذه الرواية من الصحة وما حـكم الشرع فى مثل هذه الروايات .. ؟

الاجابة :

هذه حكاية مختلقة ولا يجوز أن تذكر للوعظ لأن الوعظ انما يكون بالقول الصادق الحق ، والدلالة على العمل النافع الموافق لعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهل كل ما قدمه الامام الغزالى من علم نافع وما تركه من آثار وكتب قيمة غير مقبول عند الله وان الله عز وجل لم ينجه من النار الا بقطرات المداد التى شربتها الذبابة ، هذا كلام لا دليل عليه وهو غير مقبول شرعا ، ويجب على هذا المحدث وامثاله أن لا يروى للناس كل ما يقرأ أو يسمع بل عليه ان لا ينقل لهم الا الثابت الصحيح ..

زوال العقـم

السؤال :

فى جزيرة فيلكا من جزر الكويت ، قبر عليه قبة ، ويقول العامة انه مقام الخضر ، وقد طلبت منى زوجتى أن أذهب معها الى هذا القبر لتخطو فوق عتبته سبع مرات لتحمل ، وزعمت أن كثيرات من النساء نصـحنها بذلك ، فهل لهذا الكلام أصل فى الشرع .. ؟

الاجابة :

هذه خرافة لا أصل لها فى الدين ولا فى الطب ، وما أكثر الخرافات الشائعة بين العامة فى كل مكان ولهذه الخرافة نظائر فى البلاد الاسلامية فبعض النساء كن يصعدن الى أعلى مأذنة السيد البدوى فى طنطا من محافظات مصر ، ويمكثن قليلا ، ثم يهبطن معتقدات ان ذلك يزيل العقم ، ولا يخفى ما فى هذا من جهالة وضلال ، وواجب الأزواج وأولياء الأمور ان يمنعوا النساء منعا باتا من هذا العمل لأن للحمل أسبابا طبيعية وعادية لمن أراد الله لهن الحمل ، وليس من هذه الأسباب تخطى عتبة الخضر ولا صعود المأذنة .

بأقلام القراء

حول تحفيظ القرآن الكريم

من المشروعات التي تقوم بها وزارة الأوقاف المصرية وتنفق عليها مشروع المقارىء ، وهو مجموعة من الحفاظ يتناوبون تلاوة القرآن فى بعض المساجد ربعا بعد ربع الى أن ينتهى المصحف في عدة جلسات ولكل قارىء فى الجلسة جنيه أو نصف وفى كل اسبوع جلسة واحدة ولهم شيخ ومشرف وكاتب .

وهدف المشروع ظاهر وهو تنفيذ شروط الواقفين وتشجيع القراء على استدامة التلاوة والحفظ وعمارة المساجد بقراءة القرآن ، ومن المعروف أن حفظ القرآن في خطر وان كل عشرة حفاظ من الأجيال القديمة يقابلهم حافظ واحد وهذه نسبة تقريبية ومن أجل هذا كان مشروع التحفيظ اولى بالعناية والرعاية النفقة وبمقتضاه يلتزم المحفظ بتحفيظ عشرة على الأقل اجزاء وسورا من القرآن .

فماذا يحدث لوضم المشروعان الى بعضهما واضيفت نفقات المشروع الأول الى الثاني فيأخذ المحفظ ما كان يأخذه فى المقراة وبعض ما يتقاضاه فى التحفيظ أما الباقي فيعطى للتلاميذ أو الطلاب مكافأة تزاد كلما تقدم الطالب فى الحفظ .

واعتقد أن هذه المكافأة اليسيرة لكل طالب ستحدث اثرا كبيرا واقبالا عظيما وتكون عاملا مهما فى جذب جمهرة الراغبين فى الحفظ بصفة دائمة وخصوصا صغار الأطفال الذين يلعبون فى شهور الصيف وليست عليهم مسئولية كبيرة فى الشتاء لأن المقررات لا ترهقهم خصوصا فى سنوات النجاح الأولى مع التشديد فى امتحانات الحفظ حتى لا تضيع الأموال سدى دون ان تحقق الأغراض التى تبذل من اجلها وتنفق فى سبيلها . .

ويكفى حرمان الطالب الذى يقصر فى الحفظ من المكافأة التشجيعية التى ينالها المجتهدون من زملائه .

اما ان نأتى بالراغبين فى الحفظ دون ان نجعل لهم مكافأة مالية تجذبهم الى المشروع بصفة دائمة فانهم يقبلون على الحفظ فى فورة الحماسة الأولى ثم يقلون بالتدريج الى ان يجد المحفظ نفسه وحيدا قد فر عنه طلابه ومهما اعطيناه وحده من المال فلن يستطيع أن يصنع شيئا . .

وهم يقبلون فى الصيف وينصرفون فى الشتاء الى مدارسهم ومعاهدهم ولو لا ارتباط المدارس والمعاهد والجامعات بالأعمال والارزاق والوظائف لعانت نفس المصير السابق . .

ومشروع التحفيظ يحقق أهداف المشروع الأول (المقارىء) ويزيد عليه ايجاد حفاظ جدد ونقل القرآن سليما وبذلك نعطى القرآن فرصة يزاحم فيها البرامج التى تتدفق ادوات الاعلام على قلوب الأجيال الجديدة الغضة كما يتدفق السيل . .

وموجة البخل على مصالح الأمة تزداد اتساعا فلا تجد الأوقاف موارد تنفق منها على رسالتها ، ومن أجل

هذا كان من المحتم عليها أن تتجر فى اموالها وتستغلها فى انشاء المصانع وبناء العمارات والمدن السكنية واصلاح الأراضى البور واستخراج النفط الخ . ومصادر الأرزاق تنفع العاملين بها وتؤدى فى نفس الوقت الى مكاسب جديدة تساعدها فى اداء رسالتها وهى أغنى واقدر فلا يكون هناك تفاضل بين مشروعات الخير بابقاء واحد وحذف آخر لقلة المال .. وعلى الله قصد السبيل .

عبد الرحمن احمد شادى

الاثر النفسى للاسلام

ان القلب اذا امتلا بالايمان الخالص ينظر الى ما حوله نظرة تفاؤل ورجاء يدفعه الى ذلك طلبه ثواب الله ورضوانه فالايمان وحده يهدى للتى هى اقوم اذ هو اصل الفضائل وقوام الضمائر وسند العزائم .

الاسلام يهيى مناخا طيبا ليحيا الانسان حياة هانئة هادئة فتعاليمه توفر للافراد اسباب العزة والكرامة بجانب الحاجات المادية . كما ان هذه التعاليم تؤدى الى القضاء على كل سبب للقلق النفسى وتحقيق الاستقرار ومن امثلة ذلك : ــ

١ ــ الايمان بالقضاء والقدر يطمئن الانسان فلا يندم على ما فات ولا يخاف مما هو آت لان الانسان يعلم ان الله وحده هو المعز المذل يقول للشىء كن فيكون قال تعالى **(وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم)** .

٢ ــ الايمان بالبعث والحساب يملأ قلب المسلم بالاحساس برقابة الله عليه فى كل حركة وفى كل تصرف وفى كل عمل يأتيه ، وايمان المسلم بالبعث والحساب يتولد عنه اليقين بان هذه الحياة الدنيا ليست الا مزرعة للآخرة قال تعالى **(قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى بل تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وابقى)** .

٣ ــ الصبر عند الشدائد له اثر عظيم فى مواجهة القلق النفسى اذ هو طرد للجزع الذى تحدثه المضرة حتى لا يغلب على النفس فيؤدى بها الى اليأس والقنوط وقد قال سبحانه وتعالى فى وصية لقمان لابنه **(واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور)** .

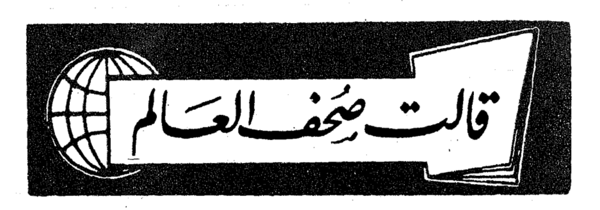
٤ ــ التفاؤل والاستبشار فى احلك الظروف لكى يكون القلب متفتحا للحياة فيقبل على مزاولتها بهمة لاتعرف الكسل وعزيمة لاتعرف الملل قال عز وجل (**فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا)** .

هكذا احاط الاسلام النفس الانسانية بضمانات كثيرة توفر لها حياة افضل كما حرم قتلها قال تعالى **(ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل انه كان منصورا)** .

حقا حرص الاسلام على تهذيب النفس وتوجيهها الى ما فيه صلاح الفرد والمجتمع وجعل عوامل النصر قوية فى نفوس المؤمنين فقال تعالى **(قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها)**

هذا هو الاسلام الذى حرر العقل البشرى من قيود العبودية وحرر النفس الانسانية من الحيرة والضلال .. وهذا هو الصراط المستقيم لمن اراد العزة .

احمد ابراهيم ابو حمد



الشريعة الاسلامية ليست ارهابا

عن صحيفة (اخبار اليوم) القاهرية

ان الشريعة الاسلامية ليست ارهابا لكنها فى الحقيقة قانون عالمى انسانى يطرح نفسه للبشرية جميعها وتطبيقها هو طريق النصر والسعادة للفرد والجماعة .. وهى ، لا تستحق كل هذا الجدل والعناء . فكما أنها قادرة على تحقيق مصالح الناس . فانها ايضا تكفل سعادة الفرد والمجتمع ولانها إتمام لنعمة السماء الى أهل الارض .. فانها كاملة ، ولانها من عند الله .. فانها تبيان لكل شىء لان الله لا يضل ولا ينسى .

وقد آمن كثير من الناس فى مناطق مختلفة من العالم .. « بالاسلام » عن علم واقتناع . لان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله الى الناس جميعا .. ولانه ارسل رحمة للعالمين فان ما جاء به خير ورحمة للناس جميعا وهو لا يتعارض مع طبيعة الانسان وفطرته . لان الله يريد للانسانية اليسر ولا يريد لها العسر وأحكام الشريعة الاسلامية تلجأ الى مراعاة الصالح العام وتقلل التكاليف وتراعى الاعذار .. وكثير من المسلمين المؤمنين يراعون شريعة الله فيصلون فى حياتهم الى أقصى درجات الكمال . ويبلغون درجات عالية من السعادة .. حتى ولو لم تأخذ المجتمعات التى يعيشون فيها بشريعة الاسلام .. والمسلمون فى أوروبا وامريكا وكندا امثلة واضحة لهؤلاء .. وهم دليل صلاحية الشريعة الاسلامية للقرن العشرين .

وفى مؤتمرات دولية متعددة للقانون فى فترات مختلفة من التاريخ الحديث — حتى أواخر الستينات — اجمع فقهاء القانون — الاجانب — على أن « القيم التشريعية فى الاسلام لا يرقى اليها الجدل وتفوق جميع التشريعات الانسانية لأنها تتجه دائما الى مصلحة الانسان وطريق الخير والنور للفرد والمجتمع » .

وفى مناطق كثيرة من العالم الاسلامى دعوات صريحة الى اقامة نظام المجتمع على الشريعة الاسلامية « والشريعة الاسلامية » تتطلب الحكم بما انزل الله والتسليم بحاكمية الله وقوانينة التى نزلت فى القرآن وفى البلاد العربية خاصة وباكستان وبعض الدول الاسلامية اتجاهات جادة لتطبيق الشريعة الاسلامية فى كافة انواع القوانين الوضعية التى عرفتها هذه البلاد .. وهذه القوانين

يحتاج كثير منها الى تعديل ليتلاءم مع الشريعة .. كما ان جهودا جبارة ينبغى أن تبذل ليجتمع فقهاء الشريعة والقانون معا ليضعوا الاصطلاحات والاجتهادات الجديدة لهم فى ظروف العصر وتغير المكان .. ولا يختلف اثنان — حتى من الاجانب — فى ان الاسلام دين يسر يتلاءم مع الانسان — أى انسان — والشريعة فى تطبيقها هى الاطار الذى يحدد للانسان والمجتمع سعادته .. وهى ليست عذابا أو ارهابا كما يتصور بعض الناس .. لكنها فى الحقيقة طريق السعادة والنور والنصر .

والشريعة الاسلامية هى الاحكام التى وضعها الله فى كتابه مباشرة ونفذها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطق عـن الهوى والله يقول له « **ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها** » الجاثية ١٧ — والمؤمنون يحبون الرسول ويتبعونه ويأخذون ما أتاهم به وينتهون عما نهاهم عنه . وكان الرسول دائما يحكم بما اراه الله وكانت السماء متصلة بالارض طوال حياة النبى اكمل الله للانسانية دينها ورضى لها الاسلام دينا .. وفى العهود التالية للنبى صلوات الله وسلامه عليه . كان المؤمنون يلتزمون باحكام القرآن والسنة ثم القياس والاجماع فان لم يجدوا فانهم يجتهدون .

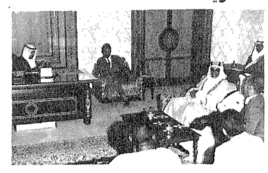
وقد نفر عدد كبير من علماء المسلمين وتفقهوا فى الدين والفقه الاسلامى ودرسوا حياة الفرد والمجتمع فى اطار الشريعة الاسلامية ووصلوا الى درجات عالية من الكمال .. ونحن نستطيع ان نفعل مثلهم وكما يقول الدكتور السنهورى ان الشريعة الاسلامية مليئة بعناصر لو تولتها يد الصياغة لصاغت منها مبادىء تفوق أخطر النظريات الفقهية الغربية » .. وقد شارك الفقه الاسلامى — داخل العالم الاسلامى — فى كافة القوانين الوضعية .. القوانين المدنية والجنائيـة والاجراءات والدستوريـة والدولية .. وقدمت مصر بصفة خاصة دراسـات ممتـازة ، فـى الملكيـة والاحكـام القرآنية والاشتراكية والمصلحة العامـة ، والاستحسان ونظرية الحق .. والاقتصاد الاسلامى ، .. وعيب هذه الدراسات التى تجرى فى كثير من بلاد العالم الاسلامى ان احدا لا يعلم بها أو لا يهتم بنشرها أو لا يحب أن يطبقها .. أو يخاف اذاعتها .

بينما نجد ان فقهاء المسلمين فى المراحـل الاولى .. ولمدة عشـرة قرون استطاعوا أن يضعوا الاطار الناجح للمجتمع الاسلامى الذى ازدهرت فى ظله العلوم الطبيعية والفلك والرياضيات والاجتماع والاخلاق وكان نتاج هذا المجتمع هو النور الذى اضاء لاوربا نهضتها .. ورغم تقدم الغرب المادى الرهيب .. فان تجربته الانسانية جوفاء وهم يعترفون بان المجتمع الاسلامى لا ينقصه ذلك .. لان الشريعة الاسلامية تتعلق بالعقيدة والاخلاق والمعـاملات وهى فى اصولها الرئيسية تنص على مبدأ الحريات — القول والفكر والعبادة والشورى ، والعدل والمساواة والتسامح والتضامن الاجتماعى والملكية الفردية وحقوق المراة والزواج والطلاق والاسرة والميراث — ثم البيع الشراء والعقود وغيرها ، وقد اصطلح العلماء على أن لها مقاصد خمسة هى الدين والنفس والعقل والنسل والمال .. وقد عنى القرآن بوضع الاحكام التى تحفظها وتصون كيانها .. لانها فى الحقيقة الاطار العام الذى يصون حياة الفرد والمجتمع .

أخبار العالم الإسلامي

اعداد : فهمى الامام

الكويت :



☐ استقبل سمو أمير البلاد المعظم الوفد الموريتاني برياسة وزير الخارجية السيد حمدي ولد مكناس . وقد بحث الوفد مع المسئولين الكويتيين تدعيم العلاقات بين الكويت وموريتانيا ومناقشة بعض القضايا الافريقية .

☐ يزور حضرة صاحب السمو أمير البلاد المعظم كلا من السعودية ومصر والجزائر والمغرب وموريتانيا والسودان ، ويشترك سموه فى اجتماعات دول عدم الانحياز ، كما يبحث سموه مع الزعماء العرب القضايا العربية والدولية .



☐ قام سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء الشيخ جابر الاحمد الجابر بزيارة رسمية للعراق ، تلبية لدعوة من أخيه سيادة نائب رئيس مجلس قيادة الثورة العراقى السيد صدام حسين .

☐ عاد الى البلاد الاستاذ راشد عبد الله الفرحان وزير الأوقاف والشئون الاسلامية بعد أن قام بزيارة الاردن والجزائر والمغرب وعدد من الدول الاوربية .

☐ احتفلت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بذكرى الاسراء والمعراج جريا علي عادتها السنوية ، وقد نقلت الاذاعة والتلفزيون وقائع الحفل فى حينه .

☐ تستعد الوزارة لاقامة الموسم الثقافى الاسلامى فى رمضان كما اتبع فى السنوات السابقة ، وتستضيف لهذا الموسم عددا من كبار المحاضرين والمقرئين .



☐ قام الاستاذ عبد الرحمن المجحم وكيل وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بزيارة لاحد مراكز تحفيظ القرآن الكريم — التابعة لجمعية الاصلاح الاجتماعي .

وقد اطلع سيادته على سير الدراسة الدينية بالمركز حيث يتلقى الطلبة الى جانب حفظ القرآن الكريم دروسا فى السيرة والفقه والحديث .

☐ دعت الكويت الى استعمال اللغة العربية فى الاتحاد الدولى للمواصلات السلكية واللاسلكية .. كان ذلك فى المؤتمر التنفيذى الثانى للاتحاد العربى للمواصلات السلكية واللاسلكية الذى عقد بالاسكندرية .

السعودية :

□ وزعت رابطة العالم الاسلامى ٢٠ الف نسخة من ترجمة معانى القرآن الكريم الى لغة اليوربا على مسلمى نيجيريا .

□ تم اعتماد ٧٠ منحة دراسية لأبناء الدول العربية والاسلامية للعام الدراسى القادم فى كليتى الشريعة واللغة العربية والمعاهد العلمية .

مصر :

□ بحث فضيلة الامام الاكبر الشيخ عبد الحليم محمود شيخ الازهر مع السيد عبد الملك يوسف الحمر وكيل وزارة التربية والتعليم بدولة الامارات العربية ، فى انشاء جامعة اسلامية فى أبو ظبى .. كما تم بحث دعم العلاقات الثقافية بين الازهر ودولة الامارات .. وامدادها بالمدرسين والوعاظ والأئمة لنشر الدعوة الاسلامية فى ربوع البلاد .

□ استقبل شيخ الأزهر مفتى مسلمى رومانيا الشيخ محمد يعقوب وتناول الحديث بينهما وسائل تدعيم العلاقات الدينية والثقافية بين الازهر ومسلمى رومانيا ومدهم بالمدرسين والوعاظ والأئمة والكتب وتعليم عدد من أبناء المسلمين الرومانيين فى الأزهر

□ دعا السيد محمود رياض الامين العام لجامعة الدول العربية الى عقد مؤتمر قمة عربى فى الجزائر بعد مؤتمر عدم الانحياز الذى سيعقد فى سبتمبر .

سوريا ولبنان :

□ انتهت أزمة الحدود بين البلدين .. وتم فتحها وعاد الانتقال بين رعايا البلدين الى طبيعته بعد أن ظلت الحدود مغلقة لأكثر من ثلاثة شهور .

فلسطين المحتلة :

□ صادف ٨/٢١ الماضى ذكرى احراق المسجد الاقصى وهى الذكرى الخامسة للجريمة النكراء .. وتمر الذكرى بالمسلمين والاراضى العربية ما زالت محتلة .. والعدو الاسرائيلى يدنس المقدسات وما حولها .

□ أدان مجلس الامن بالاجماع القرصنة الاسرائيلية .. واختطافها طائرة ركاب مدنية لبنانية .. وارغامها على الهبوط فى احدى المطارات العسكرية الاسرائيلية .

الجزائر :

□ أعلن الرئيس الجزائرى : ان الجزائر تؤيد المقاومة الفلسطينية وتمدها بالسلاح والمال من سنة ١٩٦٥ — وقال : ان اطلاق رصاصة واحدة خير من الف مؤتمر قمة ، وأفضل من ألف قرار للامم المتحدة .

□ سيجتمع فى الجزائر زعماء دول عدم الانحياز فى مؤتمرهم الرابع فى الفترة ما بين ٥ الى ٨ سبتمبر .. وهم يمثلون ٧٤ دولة من أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية .

المغرب :

□ رأس الشيخ مكى ناصر وزير الأوقاف والشئون الاسلامية والثقافية فى المغرب نهاية المرحلة التدريبية لتأهيل ٦٠٠ من الوعاظ والموجهين الدينيين بالمغرب .

وحضر الاحتفال مدير جامعة أندونيسيا الاسلامية والوفد الاسلامى الكورى الجنوبى وأشار الوزير المغربى الى اهتمام الحكومة بالتربية الدينية وتأهيل الأئمة والوعاظ الذين يضطلعون بهذه المهمة .

مانيلا :

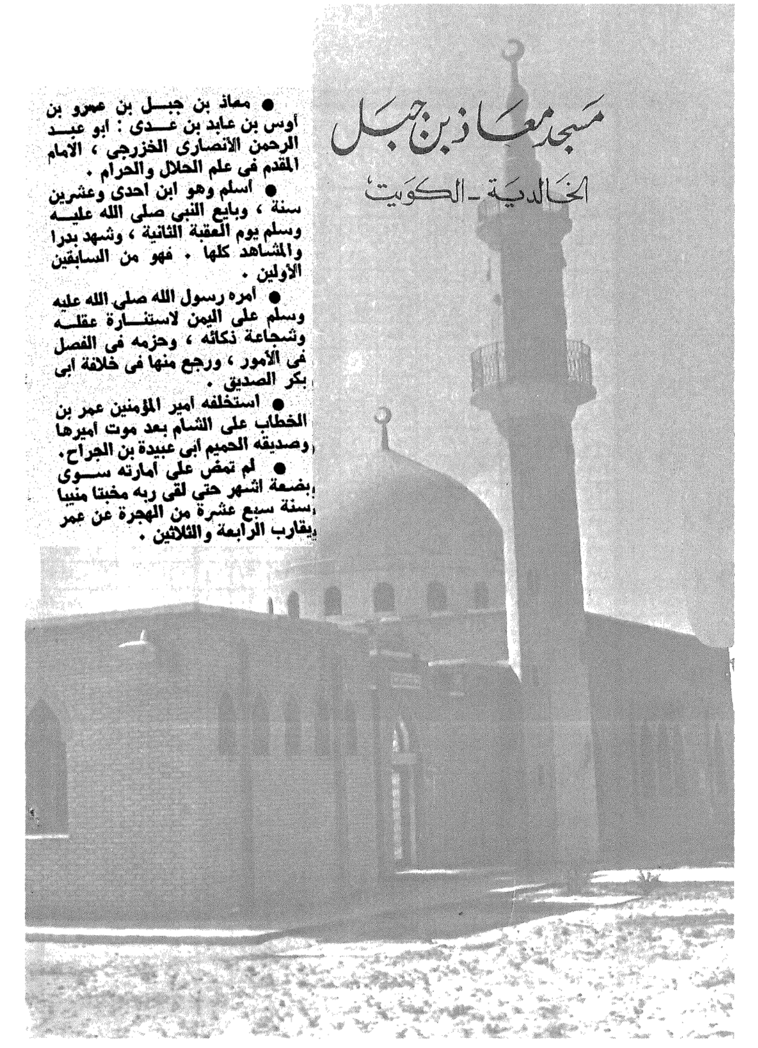
□ تم انشاء مركز اعلام اسلامى يتولى تنظيم الاتصال الفعال بين الاقلية المسلمة فى الجنوب وبقية أجزاء الفلبين .

سايغون :

□ تم اختيار ثلاثة من مسلمى فيتنام الجنوبية منهم سيدة للاشتراك فى المسابقة الدولية لتلاوة القرآن الكريم ، والتى ستعقد فى كوالا لمبور بماليزيا من ١٥ الى ١٨ سبتمبر .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	شعبان	أغسطس	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الأربعاء	١	٢٩	٣ ٥١	٥ ٢٣	١١ ٤٩	٣ ٢٣	٦ ١٤	٧ ٣٥	٩ ٣٧	١١٩	٣٥	٩	٢١ ٩
الخميس	٢	٣٠	٥٢	٢٣	٤٨	٢٣	١٣	٣٤	٣٩	١٠	٣٥	١٠	٢١
الجمعة	٣	٣١	٥٣	٢٤	٤٨	٢٢	١٢	٣٢	٤١	١٢	٣٦	١٠	٢٠
السبت	٤	سبتمبر	٥٣	٢٤	٤٨	٢٢	١١	٣١	٤٢٠	١٣	٣٧	١١	٢٠
الأحد	٥	٢	٥٤	٢٥	٤٨	٢٢	١٠	٣٠	٤٤	١٥	٣٨	١٢	٢٠
الاثنين	٦	٣	٥٤	٢٥	٤٧	٢١	٩	٢٩	٤٥	١٦	٣٨	١٢	٢٠
الثلاثاء	٧	٤	٥٥	٢٦	٤٧	٢١	٨	٢٨	٤٧	١٨	٣٩	١٣	٢٠
الأربعاء	٨	٥	٥٦	٢٦	٤٧	٢٠	٧	٢٧	٤٩	١٩	٤٠	١٤	٢٠
الخميس	٩	٦	٥٧	٢٧	٤٧	٢٠	٦	٢٥	٥١	٢١	٤١	١٤	١٩
الجمعة	١٠	٧	٥٧	٢٧	٤٦	١٩	٤	٢٢	٥٣	٢٣	٤٢	١٥	١٩
السبت	١١	٨	٥٨	٢٨	٤٦	١٩	٣	٢٢	٥٥	٢٥	٤٣	١٥	١٩
الأحد	١٢	٩	٥٩	٢٩	٤٦	١٨	٢	٢١	٥٧	٢٧	٤٤	١٦	١٩
الاثنين	١٣	١٠	٤ ٠٠	٢٩	٤٥	١٨	١	٢٠	٥٩	٢٨	٤٤	١٧	١٩
الثلاثاء	١٤	١١	١	٣٠	٤٥	١٧	٠٠	١٩	١٠ ٠١	٣٠	٤٥	١٧	١٩
الأربعاء	١٥	١٢	١	٣٠	٤٥	١٦	٥ ٥٨	١٧	٣	٣٢	٤٦	١٨	١٩
الخميس	١٦	١٣	٢	٣١	٤٤	١٥	٥٧	١٦	٥	٣٤	٤٧	١٨	١٩
الجمعة	١٧	١٤	٣	٣١	٤٤	١٥	٥٦	١٤	٧	٣٥	٤٨	١٩	١٨
السبت	١٨	١٥	٤	٣٢	٤٤	١٤	٥٥	١٣	٩	٣٧	٤٩	١٩	١٨
الأحد	١٩	١٦	٤	٣٢	٤٣	١٣	٥٣	١١	١١	٣٩	٥٠	٢٠	١٨
الاثنين	٢٠	١٧	٥	٣٣	٤٣	١٣	٥٢	١٠	١٣	٤١	٥١	٢١	١٨
الثلاثاء	٢١	١٨	٦	٣٤	٤٣	١٢	٥١	٩	١٥	٤٣	٥٢	٢١	١٨
الأربعاء	٢٢	١٩	٦	٣٤	٤٢	١١	٥٠	٨	١٧	٤٥	٥٣	٢٢	١٨
الخميس	٢٣	٢٠	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٨	٦	١٩	٤٧	٥٤	٢٢	١٨
الجمعة	٢٤	٢١	٧	٣٥	٤٢	١٠	٤٧	٥	٢٠	٤٨	٥٤	٢٣	١٨
السبت	٢٥	٢٢	٨	٣٦	٤١	٩	٤٦	٤	٢٢	٥٠	٥٥	٢٣	١٨
الأحد	٢٦	٢٣	٨	٣٦	٤١	٩	٤٥	٣	٢٣	٥١	٥٦	٢٤	١٨
الاثنين	٢٧	٢٤	٩	٣٧	٤١	٨	٤٤	٢	٢٥	٥٣	٥٧	٢٤	١٨
الثلاثاء	٢٨	٢٥	٩	٣٧	٤٠	٧	٤٢	٠٠	٢٧	٥٥	٥٨	٢٥	١٨
الأربعاء	٢٩	٢٦	١٠	٣٨	٤٠	٦	٤١	٦ ٥٩	٢٩	٥٧	٥٩	٢٥	١٨



● معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عابد بن عدى : ابو عبد الرحمن الأنصارى الخزرجي ، الامام المقدم في علم الحلال والحرام .

● أسلم وهو ابن احدى وعشرين سنة ، وبايع النبي صلى الله عليه وسلم يوم العقبة الثانية ، وشهد بدرا والمشاهد كلها . فهو من السابقين الأولين .

● أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن لاستنارة عقله وشجاعة ذكائه ، وحزمه في الفصل في الأمور ، ورجع منها في خلافة ابى بكر الصديق .

● استخلفه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب على الشام بعد موت أميرها وصديقه الحميم ابى عبيدة بن الجراح .

● لم تمض على امارته سوى بضعة اشهر حتي لقى ربه مخبتا منيبا سنة سبع عشرة من الهجرة عن عمر يقارب الرابعة والثلاثين .

« الى راغبى الاشـــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الامر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر : القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.

السودان : الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .

ليبيــا : طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) .
بنغـازى : مكتبة الخـراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .

تونـس : مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شـارع فرنسـا .

المغـرب : الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .

لبنـان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .

عـدن : مؤسسة ١٤ أكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).

الأردن : عمـان : وكالة التوزيع الأردنيـة : ص.ب : (٣٧٥) .

السعودية :
جـدة : مكتبة مكـة ــ ص.ب : (٤٧٧) .
الرياض : مكتبة مكـة ــ ص.ب : (٤٧٢) .
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) .
الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) .
مكة المكرمة : مكتبـة الثقافة .
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

العـراق : بغداد : وزارة الأعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .

البحـرين : المكتبة الوطنية : شارع بـاب البحرين .

قطـر : الدوحـة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .

ابو ظبى : شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .

دبـى : مطبعة دبى .

الكـويت : مكتبة الكـويت المتحـدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الاعداد السابقة من المجلة



اقرأ فى هذا العدد

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية — الكويت